



الحركة الشيوعيّة المصريّة ١٩٤٥ ـ ١٩٦٥

رؤية داخلية

مصطفى طيبة

١١٥٢

المرحوم / يوسف درويش
القاهرة

إهـــــــداء ٢٠٠٦

الحركة الشيوعية المصرية

١٩٤٥ - ١٩٦٥

رؤيـــة داخـليـــة

الناشـــر
ســـــينا للنشـــر
المدير المسئول
راوية عبد العظيم

١٨ ش ضريح سعد - القصر العينى
القاهرة - ج . م . ع
ت : ٣٥٤٧١٧٨

الحركة الشيوعية المصرية ١٩٤٥-١٩٦٥ رؤية داخلية

الطبعة الأولى ١٩٩٠

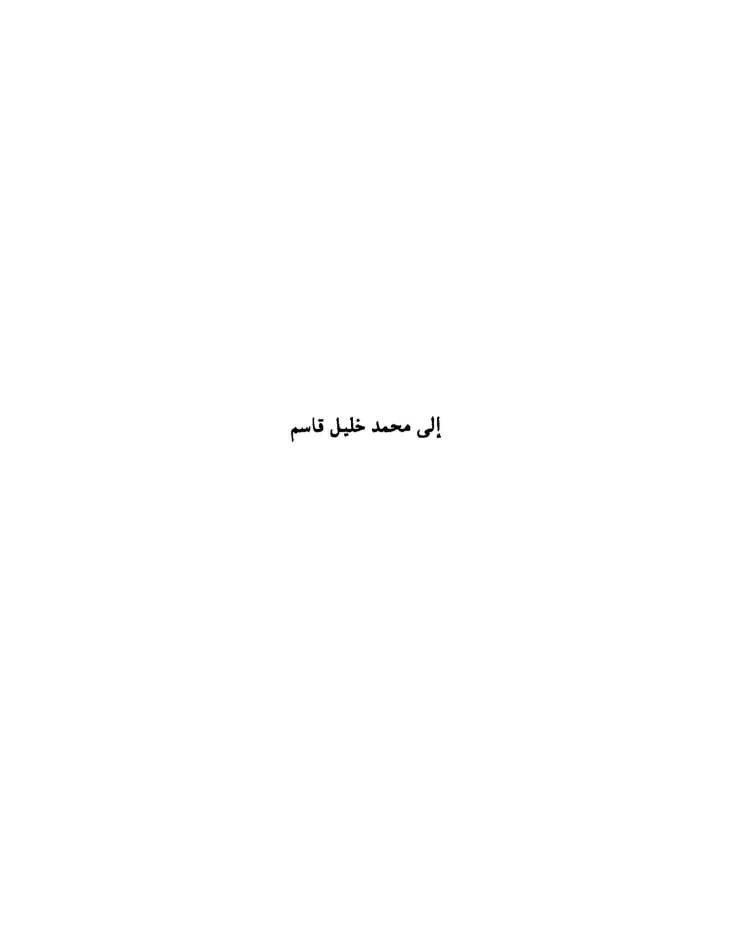
الغـــــلاف : عمـاد حلـيم
الإخراج الفنى : إيناس حسنى



مصطفى طيبة

الحركة الشيوعية المصرية
١٩٤٥ - ١٩٦٥
رؤيـــة داخليـــة





إلى محمد خليل قاسم

المقدمة

خلال رحلتى النضالية الطويله التى استغرقت أكثر من ٤٠ عاما، واجهت الكثير من الصعاب والمحن.. ليس فقط داخل جدران ليمانات أبى زعبل وطره والمنفى فى صحراء الواحات الخارجة، فضلا عن سجون القاهرة وأقسام الشرطه.. وإنما أيضا معاناة التشتت التنظيمى، والتخبط السياسى. ومثل هذا النوع من المعاناة، المشتعل داخل جدران الذات أو النفس، أشد وطأة من أهوال السجون والمعتقلات.

ذلك أن مراحل التحول والتطور فى أفكارى ومواقفى، سبقتها وصاحبتها مشاعر ثقيله وغامضه من الحيرة والقلق.. بل وأحيانا معاناة الاحساس بمن يوشك على الإقتراب من هاوية الضياع.

والسبب يكمن فى الشعور بالمسئولية.. المسئولية تجاه وطنى وشعبى.. وتجاه المئات من الزملاء والأصدقاء الذين منحونى ثقتهم، واعتبروا موقفى الفكرى نموذجا لما ينبغى أن تكون عليه الاستقامة الفكرية. وقد يكون هذا الاحساس أحد الأسباب التى حسمت موقفى تجاه الإقدام على اصدار هذا الكتاب.

فمنذ ظهر كتاب **«رسائل سجين سياسى إلى حبيبته»** فى أواخر السبعينات، وأنا أتعرض لضغوط شديدة من بعض الأصدقاء والصديقات، لكتابة تجربتى فى الحركه الشيوعية المصرية.أو لنقل تسجيل شهادتى عن بعض المراحل الهامه من تاريخ هذه الحركه.

ففى كتاب **«رسائل سجين سياسى إلى حبيبته»** رغم تركيزه على تجربتى السياسية والإنسانية داخل السجون والمعتقلات والمنفى برزت، إشارات كثيرة لبعض جوانب تاريخ الحركه الشيوعية، حتى وان جرت أحداث ذلك التاريخ، داخل الجدران السوداء، أو فوق الرمال الحارقة لصحراء الواحات الخارجه فى جناح والمحاريق.

ولأن عيون بعض الاصدقاء، إلتقطت ما تنطوى عليه هذه الاشارات من دلالات، فمن الطبيعى أن أواجه بعشرات الاسئله.. تتركز حول خفايا هذه المرحله.. وتفسيرى لما جرى فيها من أحداث.. ثم المطالبة والإلحاح بضرورة كتابه هذه المرحله من التاريخ فى كتاب مستقل.

ولم تكن ضغوط أصدقائى وصديقاتى هى الدافع الوحيد لكتابه هذه الشهادة، التى تسجل بعض المراحل الهامة لتاريخ الحركه الشيوعية المصريه.. أو رؤيتى لهذا التاريخ من خلال

تجربتى الطويله، والتى بدأت منذ منتصف الأربعينات وحتى حل الحزب «الوسيط» .

- حزب ٨ يناير ١٩٥٨- حتى عام ١٩٦٥.

إنما كانت هناك دوافع أخرى، تنبع من داخلى، يصعب مقاومتها،تتمثل فى صراع يدورفى اعماقى، بين الانجازات العظيمة التى حققتها هذه الحركه فى الأربعينيات والخمسينات، وبين ماوصلت إليه فى الثمانيات من ضعف وتفكك، ومن عجز عن توحيد اليسار المصرى، بل وسائر القوى الوطنية الديمقراطيه وتيارات الاسلام السياسى المستنيرة، حول برنامج محدد يمكن الإتفاق عليه.

ومن هنا بدأت الخطوة الحاسمة فى طريق اعداد هذا الكتاب.

ولكن، ما أسهل حديث المناضل القديم عن تاريخه.. وما أصعب الوقوف بأمانه وصدق عند منجزات وأخطاء هذا التاريخ.

والصعوبة الأشد، تكمن فى الاعتراف الجاد بفداحه بعض الأخطاء.. ومدى مسئوليته عنها.

وأعترف أن قرار الكتابه كان صعبا.

ليس فقط بسبب ما تنطوى عليه صفحات هذا التاريخ من مفارقات معقده، تتراوح بين أروع الانجازات والبطولات، وأفدح الأخطاء السياسية والتنظيمية، إنما أيضا بسبب إسهامى فى بعض ما تحقق من إنجازات، ومسئوليتى عن كثير من الأخطاء.

المهمة إذن لم تكن سهلة. فالكتابه عن تاريخ مرحلة ما من تاريخ أمه، تتخذ أشكالاً متعددة. أهمها الشكل الذى يعتمد على الوثائق، والمراجع، وغيرها من المصادر التى تؤكد وجهة نظر المؤرخ فيما يقدمه من تاريخ.

لكنى إخترت الطريق الأصعب. هو تسجيل هذه المرحلة، من خلال أحد المسئولين عنها. وهو أمر قد تحيط به الشكوك. فالشهادة تعتمد بالدرجة الأولى على التجربة الشخصية، وإن استندت فى الوقت نفسه إلى قراءة كل ما كتب عن هذه المرحله.. بغض النظر عن مدى دقه «المؤرخين» الذين تخصصوا فى كتابه تاريخ الحركة الشيوعية.. ومدى الانحياز إلى تيار بعينه، وتمجيدة، والمبالغة فى أخطاء التيارات الأخرى.

كما أن الشهادة قد تتخذ صورة الحديث عن « الذات» وأمجادها، وتحميل الغير مسئولية الأخطاء. بل أن الأمر قد يصل إلى حد التشكيك فى قدرة الذاكرة على تسجيل أحداث جرت فى إحدى مراحل تاريخ أمه أو شعب أو تيار سياسى كبير.

كل هذه الاعتبارات جالت بخاطرى.. وحاولت بقدر المستطاع التغلب عليها.. عن طريق اعادة قراءة ما كتب عن هذه المرحله. والمقارنه بينه وبين تجربتى الشخصيه.. بل والاستعانه بما رأيته ضروريا من وثائق نشرت من قبل، وأشرت إلى مصدرها ما دامت تتحدث بدقه عن

أحداث شاركت فيها، أو عن أحداث جرت فى تواريخ محددة. يصعب على الذاكرة الاحتفاظ بها.. بعد مرور أكثر من ٤٠ عاماً على وقوعها.

■ ■ ■

لقد كانت هناك أسئلة تتردد بعنف وإلحاح فى ذهنى خلال السنوات الثلاث التى سبقت اتخاذ قرارى بتسجيل شهادتى وهى:

هل يمكن أن يعيد التاريخ نفسه وان إرتدى ثوباً جديداً؟

هل يمكن أن تتكرر ظاهرة الوحدة والإنقسام فى الحركه اليسارية المصرية، بالصورة نفسها- تقريبا- التى كانت عليها فى مرحلة الأربعينيات والخمسينيات وحتى الستينيات؟

هل تتردد فى الثمانينيات نفس الاتهامات والشعارات.. التى تؤكد إنتهازية الغير، وثورية التيار « الوحيد» والعودة إلى نظرية « النمو الذاتى» رغم ما قيل عن وجود حزب يجمع الكثير من الاتجاهات المتباينة بين صفوفه؟

■ ■ ■

لم تكن هذه الاسئله تنبثق من فراغ.. بل كانت نابعه مما أسمعه من هنا أو هناك.. من شباب متحمس. أو من « شيوخ »تغلب الماضى عندهم على ما فى خبرة السنين من حكمة وتعقل.

وخلاصه ما تجمع عندى من أحاديث، أن قوانين الديالكتيك،أو « الجدليه» تكاد أن يكون مفعولها قد توقف فى مصر وحدها.

فالتاريخ يبدو كانه يعيد نفسه. والمقولة القديمه التى كنت أرفضها بعنف، وهى: **«لا جديد تحت الشمس»** توشك أن تصبح قريبة من الحقيقه.. وما أسمعه اليوم- **١٩٨٨**- سمعته كثيرا منذ أكثر من **٤٠ عاما!**

فما معنى ذلك كله؟

هل هناك ثمه خطأ فى قوانين « الجدليه» التى تؤكد أن الحركه والتغير والتطور هى القانون الأكبر الذى يحكم حركه الكون والشمس والأرض وجميع المخلوقات على الأرض.. وأن التاريخ لا يتكرر، إلا اذا إتخذ فى المرّه الثانية صورة كاريكاتورية لا تصمد طويلا.؟

لم تكن هناك أخطاء فى المنهج. بل أخطاء- وخطايا- فى تاريخ اليسار المصرى.. تمثلت فى تكرار إنقساماته، بصورة تبدو وكأنه يدور فى حلقه مفرغه..أو أن «تاريخه» يعيد نفسه رغم استحاله اعادة الماضى بصورته الأصليه نفسها.

■ ■ ■

هذه الاسئله المتناقضه طرقت ذهنى بعنف.. ودفعتنى إلى الاسراع باعداد هذا الكتاب، الذى أرجو أن يكون مفيداً، لكل باحث جاد يريد الوصول إلى الحقيقة حول مرحلة هامة من تاريخ مصر، وسد الطريق أمام المناهج المتحيزة التى تتناول تاريخ اليسار المصرى بهدف التشهير ونشر المغالطات والأكاذيب.

لقد قرأت للمستشرق الفرنسى مكسيم رودنسون كلمات هامة تضمنتها دراسة له نشرت عام ١٩٥٨، قال: **« إن ظروف السرية التى فرضت على الحركة اليسارية فى مصر، والصراع الفكرى المحتدم بين تنظيماتها، مكّنها دون الاحزاب المماثله فى البلدان العربية الأخرى من تعميق النظرية وإثرائها».**

ويقدر ما إبتهج كثيرون من أبناء جيلى لهذه الكلمات التى تنطوى على تقدير واطراء، فإننى لم أشاركهم هذا الابتهاج.. بل أحسست أن العكس هو الصحيح. فلم يسفر الصراع الفكرى عن «إثراء» أو «تعميق» للنظرية.. بل ابتعد عن جوهرها.. وعجز عن استعياب منهجها. فالإثراء لا يعنى الحفظ عن ظهر قلب لكل أساسيات االنظرية.. ولا يعنى إدارة صراع فكرى بين مثقفين منعزلين عن واقع بلادهم مهما اكتسب هذا الصراع من عمق فكرى زائف. الاثراء ينبع من إضافة جديد.. من ابداع أساليب جديده للمارسه الحية بين الجماهير.. ومن الفهم لمختلف الطبقات أو الفئات التى تتكون منها هذه الجماهير.

فما أسهل الحديث عن الطبقة العاملة كقيادة. وما أسهل الحديث عن البورجوازية الصغيرة أو المتوسطة أو الكبيرة.. بل وما أسهل الحديث عن الرجعية والتقدمية.

لكن الصعب- والاثراء- يأتى من الفهم الدقيق لكل كلمه أو شعار. ومن الدراسه الموضوعية لكل طبقة نتحدث عنها. والوعى بالفروق الجوهرية بين النخبة أو الطليعة المعبرة عن فكر كل طبقة، وبين الواقع الموضوعى للطبقة نفسها.

لم يكن هناك اثراء حقيقى للنظرية. بل يمكن القول، بأن أعظم أمجاد الحركه الشيوعية المصرية، نبعت من مواقفها العملية فى أتون الصراع الوطنى والاجتماعى، عندما كانت تسترشد بالحد الأدنى من فهم أسس النظرية، والتى عبر عنها **كارل ماركس** بقوله **« ان موقفاً عملياً واحداً، أفضل من مائه برنامج»**

وذلك لا يعنى طبعا التقليل من أهمية النظرية العامه. ولايعنى أيضا تجاهل الخبرة العظيمة النابعه من الأحزاب اليسارية فى جميع دول العالم. إنما يعنى فقط الاعتراف بأن الممارسة الحيّه بين الجماهير، هى المصدر الأول لكل إثراء نظرى.وأن الفكر النظرى للطلائع يجب أن يكون مفهوما وواضحاً ومقبولاً لدى أوسع الجماهير، وليس غريباً عنها.

وهنا نعود إلى المقولة المشهورة فى الفكر الماركسى وهى: **يجب أن تبدأ الطلائع من حيث تقف الجماهير.**

الترجمة الحقيقة لهذه المقوله. أو هذا الشعار، لا تتجاهل أن الفكر النظرى للطلائع أكثر تركيبا وتعقيدا من فكر الجماهير العادية.. بل تؤكد على ضرورة أن يكون الفكر التطبيقى للطلائع، ليس غريبا عن فكر ووجدان هذه الجماهير، وليس فى حالة عزلة عنها. أى البدء من تراث ووجدان هذه الجماهير، واحترام تقاليدها، وصياغة أو ابداع مفاهيم العمل النضالى بإتساق مع قاعدة أن نتعلم من الجماهير ونعلمها فى آن واحد.

ومن هنا يبدأ الاثراء. فالإضافات الإبداعية التى قدمتها الثورة الصينية انطلقت من هذا

المنبع. وإنتصار الثوار فى فيتنام على أقوى ترسانه حربية فى العالم- الولايات المتحدة- استند إلى المنبع نفسه. أى من ابداع أساليب نضالية تكون وثيقه الصله بظروف وتقاليد وأفكار الجماهير

■ ■ ■

وتبقى بعد ذلك بعض النقاط الهامة، سأحاول تركيزها فى الآتى:

أولاً: لقد قرأت معظم ما كتب عن تاريخ المرحلة التى يركز عليها كتابى. وكنت أبتسم أحيانا، وأتألم فى معظم الأحيان. فالقراءة عن صفحات من تاريخ أسهمت فى بعض أحداثه- إن لم يكن الكثير من هذه الاحداث- قد تكون باعثه على الإبتهاج أو السخط، وفقاً لنوع المنهج الذى إختاره المؤرخ: الموضوعية أو التعصب.. التأريخ الصادق.. أم التشهير الكاذب.

وقرأت قبل كتابة هذه المقدمة، معظم ما كتب حول اغتيال **هنرى كورييل**، وما نشر حول أوراقه أو مذكراته.

ورغم خلافاتى العميقة مع **هنرى كورييل** ومع التيار الذى ينتمى إليه، فإننى رفضت محاولات التستر وراء هذه القضيه، واتخاذها تكأة للهجوم على تاريخ عظيم للحركه الشيوعية المصرية بغض النظر عن «هويه» من بدأ تأسيسها.

إن إفتعال معركه فكريه حول **هنرى كورييل**، بل وحول أهداف «الأجانب المتمصرين» من المشاركه فى تأسيس الحركه الشيوعية يثير الشك وخصوصا فى ظروفنا المعاصرة، وبعدما يقرب من **٤٠ عاماً** على رحيل كورييل من مصر، ومرور أكثر من عشر سنوات على اغتياله.

إن الهدف الرئيس من وراء الهجوم على هنرى كورييل الآن يصعب تجاهله. وهو تشويه تاريخ عظيم للحركه الشيوعية فى مصر، بدعوى أن مؤسس أحدى المنظمات كان «يهودياً» تحيطه الشكوك.. بتجاهل كامل لحقيقة تاريخية.. تتمثل فى أن تاريخ الشيوعية فى مصر أقدم كثيرا من هنرى كورييل.. وأن اعادة تأسيس منظمات لليسار المصرى أثناء الحرب العالمية الثانيه، كان تعبيراً عن ضرورة وطنية، وكان من المحتم ظهور التنظيمات الشيوعية أثناء أو بعد هذه الفترة.. سواء وجد كورييل أو لم يوجد.

ثانيا: أن الكتاب الذى أقدمه للقارئ، يصدر فى ظروف عالمية يحمل بصمات عصر جديد.

فالمرحلة التى يتحدث عنها الكتاب. كانت تتميز بنوع من الإلتزام الكامل باتجاهات وتوجيهات الأممية الاشتراكيه بقيادة الاتحاد السوفيتى.

وكانت المرحلة «الستاليتيه» فى ذروة تمجيدها.

وما كان من الممكن فى ذلك الحين. اكتشاف ما كان يجرى وراء إنجازات ستالين من أساليب تتعارض مع مفهومنا للديمقراطيه الاشتراكيه.

ثم جاء «عصر» **جورباتشوف**. عصر «بيرستوريكا» و«وجلازنوست».. أى اعادة البناء، والديمقراطيه.

وعندما استخدم كلمه «**عصر**» فإننى أعنى ما تحمله من دلالات.فظاهرة **جورباتشوف** لم تبرز مصادقة. بل جاءت تعبيراً عن ضرورة حتميه.

ذلك أن الصراع الايديولوجى فى عالمنا المعاصر لا يجرى بمعزل عن التقدم التكنولوجى، بل فى إرتباط عضوى معه.وإنتصار الاشتراكيه قضية لاتخضع لضرورة تاريخية «تحتم» إنتصار الاشتراكيه. إنما أصبحت قضية ترتبط بالتقدم التكنولوجى، والتحرر الديمقراطى. والشعاران اللذان رفعها جور باتشوف، وهما «اعادة البناء» و«المكاشفه» إنما يحملان جوهر القضية، أى الإنتصار فى معركه السباق التكنولوجى، وتأكيد الوجه الإنسانى للإشتراكيه.

وفى ظلال هذا العصر، ينطلق الإثراء والإبداع فى شتى الميادين. ويصبح من الضرورى لثوار العالم الثالث، وخصوصاً الاتجاهات اليسارية استعياب دلالاته.فلا التزام إلا بما تفرضه ظروف كل بلد. ولا قيد يحد من ابتداع اساليب جديدة فى النضال من أجل التقدم.ولا معنى لإطلاق «صواريخ» الاتهامات «بالإنتهازيه» أو «الخيانه» لمن يحيد عن دائرة «المبادئ» كما يتصورها هذا الفريق أو ذاك. فالديمقراطيه الحقيقه تبدأ من إحترام حق الخلاف. ومن حق الدفاع عن كل رأى أو اتجاه مهما اتسعت هوّة الخلافات معه.

يونيو ١٩٨٨
القاهـــــرة

* ملحوظه:

يلاحظ القارئ أن هذه المقدمه كتبت بتاريخ يونيو١٩٨٨، أى قبل التطورات السريعه والخطيره التى جرت فى جميع دول شرق أوروبا، وعند مراجعه البروفة الأولى للكتاب لم أغير أى كلمه فيها حيث أن الكثير من فقراتها كانت معبرّة عن حتميه ماجرى من أحداث

ابريل ١٩٩٠.

القسم الاول

شهادة للتاريخ

١- جذور الفكر الاشتراكى فى مصر.
٢- الحركه المصرية للتحرر الوطنى.
٣- الوحدة الأولى للشيوعيين المصريين.
٤- تكوين الحزب الشيوعى المصرى(١٩٥٠).
٥- الوحدة الثانية للشيوعيين المصريين.
٦- جذور الفكر الانقسامى وأثارة.
٧- النهاية المأساوية للحزب الشيوعى المصرى.

الفصل الأول

جذور الفكر الاشتراكى فى مصر

من الصعب الحديث عن تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، خلال مرحلة الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات، بمعزل عن الجذور العميقة للفكر الاشتراكى فى مصر، والتى غرست بذورها فى المجتمع المصرى، منذ المراحل الأولى لما يطلق عليه تاريخ مصر الحديث

ذلك التاريخ الذى أفتتحت أولى صفحاته بحديثين كبيرين، هما الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونا برت عام **١٧٩٨**، ونشأة دوله محمد على عام **١٨٠٥**.

وبسبب أهمية هذين الحديثين، فإن الدراسات حول تأثيرهما على ظهور وتطور جميع التيارات االفكرية المعاصرة، من ليبراليه، وسلفيه ويساريه..الخ، لم تنقطع حتى الأن.

بل إن الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر**، أشار إليهما فى كتاب**«فلسفة الثورة»** الذى صدر عام **١٩٥٣**، أى بعد عام واحد من **ثورة يوليو ١٩٥٢**.

يقول جمال عبد الناصر فى هذا الكتاب[١]:«وجاءت الحملة الفرنسيه وتحطيم الستار الحديدى الذى فرضه المغول علينا وتدفقت أفكار جديده»

ثم يضيف «لقد كنا فى حاجة إلى نسمة هواء.. فإنطلق اعصارعات.. هذا ما حدث لمجتمعنا تماما»

والاعصار الذى يشير إليه كتاب فلسفة الثورة، هو ما أصطلح على تسميته «بالصدمة الحضارية».. الناتجة عن تحطيم الستار الحديدى الذى أسدل على مصر، والدول العربية، قرابة خمسه قرون من العزلة والتخلف.. أثناء سيطرة الحكم العثمانى.. بينما كانت أوروبا تجتاز عصر نهضتها، وتنطلق نحو أفاق الثورة الصناعية الأولى.

■ ■ ■

والواقع أن الأمر لم يقتصر على أعصار واحد.. بل إعصارين

فمع الحملة الاستعمارية الفرنسيه التى قاومها المصريون بصلابة، برزت مجموعة من العلماء الفرنسيين.. فى تخصصات مختلفة.

فكان مما فعله أولئك العلماء استدعاء كبار علماء الأزهر الشريف، لإطلاعهم على عجائب ما وصل إليه العلم من تقدم.

---

(١) جمال عبد الناصر فلسفة الثورة.ص٢٢ هيئه الاستعلامات ١٩٥٥

ولا شك أن المواجهة بين مقدمات عصر الثورة الصناعية فى أوروبا، وبين ما كان عليه الوضع فى مصر، أبرزت الفجوة العميقة بين الاثنين.. والتى تجسدت فيما قدمه علماء الحملة الفرنسية من «أعاجيب» الكهرباء والكيمياء، وما كان عليه الطرف الأخر من أحاديث حول الكرامات، ومعجزات الأولياء.

أما الاعصار الثانى، فإنه تمثل فى تكوين **دولة محمد على** عام١٩٠٥. تلك الدولة التى ولدت فى أحشائها المؤسسات المتطورة للدولة والجيش الحديث.

لقد أدرك **محمد على**، صعوبة تحديث الجيش والدوله. بغير الخبرة المستمدة من تقدم علوم أوروبا. فلم يتردد فى الاستعانة بالخبراء الفرنسيين.. وأرسل البعثات الدراسية إلى أوروبا.. وترجمت جميع القوانين واللوائح الفرنسيه لتنظيم الجيش.. أى أن انفتاحه على التقدم العلمى إنطلق بسرعة لتحقيق مشروعه الكبير.

ذلك أن هذا «الوالى» الذى حكم مصر بموافقة من كانوا يعبرون عن إرادة شعبها، ومباركة السلطان العثمانى فى تركيا، أدرك منذ البداية، أن مصر بلد كبير.. يستطيع من خلاله وراثه الامبراطورية العثمانية التى كانت تعانى من أمراض التخلف.. وبعث دماء جديدة فى شرايينها. ومن هنا كانت سياسة محمد على فى التحديث والتطوير.. والاستعانة بأحدث ما وصلت إليه علوم أوروبا، بواسطة الخبراء، والبعثات الدراسية

■ ■ ■

وكان من بين المرافقين لإحدى البعثات إلى فرنسا، **رفاعه رافع الطهطاوى (١٨٠١-١٨٧٣)** وهوشيخ أزهرى كانت مهمته الرسمية مع البعثه- تقتصر على الوعظ والتوعية الدينيه- لحماية أعضاء البعثه من البلبلة الفكرية، أو الانحراف فى باريس.

ولكن الطهطاوى لم يقف عند إمامة الصلاة والوعظ والإرشاد.. بل درس الفرنسية.. وانخرط فى سلك طلاب البعثه، فدرس علوم الحرب والهندسه والمعادن والقانون.. وتخصص وبرع فى الترجمه. ثم ألف كتابه الشهير «تخليص الإبريز فى تلخيص باريز».. الذى كان أول نافذة أطل منها العقل العربى على الحضارة الأوربية الحديثه[1].

وبعد عودة الطهطاوى إلى مصر. تكونت ونمت حوله مدرسه الفكر المصرى الحديث.. عن طريق تكوينه واشرافه على مدرسه الألسن التى أقامها بموافقة ومباركه«الوالى» الطموح محمد على. وظهرت ثمار هذه المدرسه. فى صورة عشرات الكتب الحديثه.. ترجمة وتأليفاً وتحقيقاً.. بحيث قدمت للمكتبه العربية. خلال أربعين عاما أكثر من ألفى كتاب.. فى شتى صنوف المعرفة.. بينما لم تتعد المطبوعات العثمانيه خلال قرن بأكمله، أكثر من أربعين كتاباً.. أغلبها فى الشعوذة واجترار ما كتب منذ مئات السنين.

ولم تكن جهود رفاعة قاصرة على التنوير والتحديث. والاسهام فى تكوين جيل جديد من

(١) الدكتور محمد عمارة. العرب والتحدى. سلسلة عالم المعرفه. مايو١٩٨٠

المثقفين. والتعبير عن اتجاهات الحركه التنويرية ومشاعلها المضيئه، إنما امتدت إلي الدعوة لنشر التعليم بين أبناء الشعب.. بل والدعوة إلى تعليم النساء، أى أنه يستحق حمل لقب الرائد الأول لقضيه تحرير المرأة من قيود عصور «الحريم» والتخلف.

ثم كانت كتابات رفاعة عن الحرية، والدستور.

ففى كتاب: **«مناهج الألباب المصرية، فى مباهج الأداب العصرية»** «يقول الطهطاوى:« **والتعليم يجب أن يكون عاما لجميع الناس يتمتع به الاغنياء والفقراء على السواء، فهو ضرورى لسائر الناس. يحتاج إليه كل انسان كإحتياجاته إلى الخبز والماء»**[1]

وهو يرفع فى الكتاب نفسه شعار : **الأرض للزارعين..** ويقدم مجموعة من النظريات الاقتصادية، التى تعبر عن تأثره بالتيارات الفكرية التى كانت تموج بها فرنسا، ومن بينها النظريات الاقتصادية التى يستند إليها المفكرون الاشتراكيون. كان الطهطاوى إذن، أول تعبير عما أحدثته الصدمة الحضارية، الناتجه عن الحملة الفرنسية، والبعثات التى أرسلها محمد على الى أوروبا، للإستفادة من علومها فى تحقيق مشروعه الطموح، وبناء الدولة الحديثه.

■ ■ ■

وشهد القرن التاسع عشر، إلى جانب الطهطاوى،بروز عدد من المفكرين والمصلحين، ينتمون إلى مدارس فكرية مختلفة.. لكنهم جميعا عبروا عن تأثرهم بالفكر الاشتراكى.

وذلك نلاحظه عندما نقرأ بعمق أخر مانشر من أفكار **جمال الدين الأفغانى**، وهو«خاطرات جمال الدين» حيث يقول: **«أما الاشتراكية فى الإسلام، فهى ملتحمه مع الدين الاسلامى ملتصقه فى خلق أهله، منذ كانوا أهل بداوة وجاهليه».**، ويقول فى الكتاب نفسه« **والدعوة لطلب الحرية فى فرنسا، هى دعوة ومطلب حق كم صادف أهلوها من المحن، وكم استعر فيها القتل وسالت الدماء، واليوم فالعالم يقدرهم ويحتذى بهم»**

ثم يؤكد الأفغانى، قائلا:« **وكذلك دعوى الاشتراكيه، وإن قل نصراؤها اليوم، فلابد أن تسود العالم يوم يعم فيه العلم الصحيح»**[2].

وكتاب« **خاطرات جمال الدين»** يحتوى على الكثير من هذه المعانى منطلقا من أسس اسلامية.. باعتباره الداعية الأكبر فى عصره لمشروع الجامعه الاسلامية.

---

(١) رفاعه الطهطاوى: مناهج الألباب المصرية فى مناهج الآداب العصرية. الطبعه الثانيه ص ٢٢

(٢) خاطرات جمال الدين الأفغانى الحسين. محمد باشا المخزومى طبعه بيروت ١٩٠١(نقلا عن كتاب المؤلفات الكامله للدكتور رفعت السعيد).

وإذا كان الأفغاني من منطلقاته الاسلامية قد تحدث عن الاشتراكيه في كتابه الأخير- رغم أنه بدأ حياته بالهجوم عليها- في كتابه « **الرد على الدهريين** » فإن هذا التغيير في فكره إنما يرجع إلى تفتحه على ثمار الحضارة الأوربية، ومحاولة الاستفاده من منجزاتها، وتياراتها الفكرية.. مع تطويع ذلك كله بما يتفق مع فهمه العميق للدين الاسلامي، ونظرته العميقه لما ينطوي عليه من ريادة وأصالة في شتى ميادين الحرية والعدالة الاجتماعية.

ومع الأفغاني وبعده، برز رواد للفكر العلمي والاشتراكي..وإن اختلفوا معه في المنطلقات الفكرية.. مثل شبلي شميل، ونيقولا حداد وكثيرون غيرهم.

■ ■ ■

ومع بداية القرن العشرين برز الفكر الاشتراكي بصورة أوضح .ففي بدايه عام١٩٠٨، نشرت جريدة«الإقدام» تحت عنوان«حزب الاشتراكيين» تقول«**علمنا أنه قد تأسس هذا الحزب برياسه الدكتور شبلي شميل، وعضوية كل من الدكتور شدودي، وسامي افندي جريديني، وتوفيق حبيب**»[1].

وشبلي شميل كما أشرنا من الرواد الأوائل للفكر العلمي والاشتراكي، منذ نهاية القرن التاسع عشر وإن كانت أفكاره تجنح أحيانا بما يصطدم مع المناخ الفكري للمجتمع.

وشهد عام **١٩٠٩**، تجربة أخرى لإقامة حزب اشتراكي باسم « **الحزب الاشتراكي المبارك**» الذي أسسه الدكتور حسن جمال الدين.. ونشر الحزب برنامجا من ١٢مادة، يغلب عليها طابع العطف على الفلاحين، والرغبه في تحسين أحوالهم. لكن هذا الحزب لم يعش طويلاً، شأنه في ذلك شأن حزب الدكتور شميل، بسبب الافتقار إلى الجانب التنظيمي.. وعدم وضوح الرؤية.. وإن كانت هذه الإرهاصات المبكرة، تؤكد ما سبق أن أشرت إليه، حول العلاقة بين الانفتاح على التقدم العلمي والفكري في أوروبا. وبين إنتشار مختلف أنواع الفكر العالمي، الليبرالي، والرأسمالي، والاشتراكي.

ثم برز جيل تان من الرواد.. من بينهم سلامه موسى، ومصطفى حسنين المنصوري. ففي كتابه عن «الاشتراكيه» يقول سلامة موسى «**أنه يستهدف تنوير الرأي العام، وبيان أغراض الاشتراكيين في أوروبا وامريكا**»

أما **مصطفى المنصوري** فإنه أصدر عام١٩١٥ كتابه الهام «**تاريخ المذاهب الاشتراكيه**» كما ترجم كتاب «**التقدم والفقر**» للمفكر الاقتصاد **هنري جورج**[2].

وتجدر الإشارة إلى ظاهرة مهمة.. وهي أن بروز الفكر الاشتراكي منذ بداية القرن العشرين، واكبه بداية تحرك الحركه العمالية والنقابية في مصر. الأمر الذي يحمل دلالات عميقة.

■ ■ ■

(١) المصدر السابق

(٢) أمين عز الدين.الطبقة العاملة المصرية منذ نشأتها في عام ١٩٠٧ دار الغد العربي١٩٨٧.القاهرة

ومع إنتصار ثورة اكتوبر الاشتراكيه فى روسيا عام١٩١٧، واشتعال ثورة ١٩١٩ الوطنية فى مصر، تطور الفكر الاشتراكى، وتزايدت أعداد المثقفين المصريين المؤمنين بهذا الفكر.. ممن اشتركوا فى البعثات الدراسية لأوروبا.. أو من تجمعات المهاجرين الأجانب.

ثم جاء اعلان تشكيل «الحزب الاشتراكى المصرى» فى اغسطس عام١٩٢١.. بعد فترة اعداد وتحضير بدأت من عام١٩١٩، وحتى إعلان تكوينه.. ليكون تعبيراً عن صعود هذا الفكر ووصوله إلى إحدى مراحله الهامة. وكان على رأس هذا الحزب، **سلامه موسى. وحسن العرابى، ومحمد عبد الله عنان**.. وغيرهم.

وينبغى الإشارة هنا إلى أن ظهور هذا الحزب فى القاهرة..جاء مواكبا لحزب اشتراكى أخر ظهر فى الاسكندرية.. بقيادة أحد المهاجرين الأجانب، وهو «**جوزيف روزنتال**» الذى يعتبر أبرز الشخصيات الاشتراكيه بين المهاجرين.. وأكثرهم نشاطا وحركه بين العمال، وخاصه العمال الأجانب.. وكان أول من دعا وتحرك من أجل تكوين أول اتحاد مصرى للنقابات عام١٩٢١.[١]

وذلك يعنى ظهور تيارين اشتراكيين فى الوقت نفسه..: تيار الحزب الاشتراكى بقيادة «روزنتال» يغلب عليه الفكر الماركسى.. وتيار الفكر الاشتراكى بقيادة سلامه موسى،الذى يغلب عليه الفكر«الفابى» الذى كان يسيطر على حزب العمال فى بريطانيا.

ومن إلتقاء هذين التيارين،تشكل «الحزب الاشتراكى المصرى» ونشر برنامجه فى اغسطس عام**١٩٢١**، الذى تضمن العمل على تحرير مصر من الاستعمار الأجنبى، والغاء استغلال جماعة لاخرى، ومحو التفريق بين الطبقات، ومجانيه التعليم،وتحرير المرأه من قيود العصور الوسطى، وتربيتها تربية منتجة.

لكن هذا الحزب، كان يحمل فى طياته عوامل انقسامه بسبب وجود تيارين متعارضين.. هما التيار المتأثر بتجربة حزب العمال فى بريطانيا، وهو ما يطلق عليه اسم التيار «الفابى».. والتيار الماركسى المتأثر بالثورة الاشتراكيه فى روسيا التى إنطلقت عام١٩١٧.

ففى مقال نشره **سلامه موسى** فى هذه الفترة بجريدة الأهرام نجده يقول «**اننا انكرنا«البلشفيه»- أى الماركسيه- بكل صراحه.. وجميع مبادئها بلا قيد أو شرط. وقد كنت أنا نفسى عضواً فى الجمعية الفابية الانجليزية.. وهى جمعية الاشتراكيين المعتدلين فى لندن**». ولان التيار الثانى، كان ينتمى إلى التيار الاشتراكى الماركسى، فمن الطبيعى أن ينشب الصراع بين الجانبين.. وهو الصراع الذى أسفر عن نتيجة منطقيه.. حيث إنقسم الحزب فى يوليو عام**١٩٢٢**،واعلنت مجموعة الاسكندرية الماركسيه، طرد الاشتراكيين القاهريين، ونقل مقر الحزب الرئيسى إلى الاسكندرية.

وهنا جاءت الخطوة الحاسمة التى يعتبرها المؤرخون بداية ظهور التنظيم الشيوعى فى مصر. ذلك أن مجموعة الاسكندرية. استقطبت حولها عدداً كبيرا من التيار الاشتراكى «الفابى» وأعلنت تكوين «**الحزب الشيوعى المصرى عام١٩٢٢**».

(١) المصدر السابق.

وتلك كانت البداية الحقيقة لأولى صفحات تاريخ **الحركه الشيوعية فى مصر**.. بعد مرحلة طويلة من ظهور أشكال متعددة من الاشتراكيه. بدءا من الإرهاصات العابرة التى حملتها كتابات **الطهطاوى** والأفكار الأخيرة **لجمال الدين الأفغانى**، وكتابات **شبلى شميل** الواضحة، والمحاولات المتغيرة فى بداية القرن العشرين.

ومع هذه البداية، أى بعد تكوين الحزب الشيوعى المصرى الأول عام١٩٢٢، أعلنت القيادة الجديدة، برنامجا جديداً.. يختلف عن برنامج الحزب الاشتراكى.. بما حمله من أهداف راديكاليه لإحداث تغيير شامل فى المجتمع المصرى، بما يحقق لجماهير الشعب استقلالها الوطنى، وحريتها السياسية والاقتصادية.

ولكن هذا الحزب لم يعش إذ سرعان مابرز تناقض بينه وبين حزب الوفد بقيادة سعد زغلول وهو الحزب الذى تزعم ثورة١٩١٩ الوطنية. وعندما تولى سعد زغلول تشكيل أول حكومة برلمانية بعد الثورة تحول هذا التناقض إلى صدام عنيف.

ومن الصعب تفسير العوامل المختلفة التى أدت إلى هذا الصدام. وأسفرت فى النهاية عن البطش بالحزب. واعتقال قياداته ومعظم أعضائه، ثم اتخاذ قراراً بحله ومعه اتحاد نقابات العمال.

ويبدو أن حزب الوفد، استشعر خطورة من تزايد نفوذ هذا الحزب بين العمال..أو أن ضغوطا خفيه دفعته إلى ذلك..قد تكون من جانب الملك، أو الاستعمار البريطانى. أو من كبار الاقطاعيين الذين كانت تفزعهم كلمه الشيوعية فى ذلك الحين.

كل ما نعرفه، أن محاكمات عسكرية عقدت لقادة الحزب، وأن احكاماً عنيفة بالسجن صدرت..كما صدرت قرارت بوقف جميع المطبوعات المتعاطفة معه.

ومن جهة أخرى، فإن سعد زغلول كان يستهدف من ثورة**١٩١٩**، هدفين محددين، هما التحرر الوطنى، والحكم النيابى. أى القضاء على السيطرة الاستعمارية على مصر، والخلاص من الحكم الاستبدادى. ولم يخطر بباله إطلاقا. أن تتجاوز الثورة هذه الحدود.. أو أن تمتد إلى احداث تغيرات إجتماعية تصطدم بمصالح كبار الاقطاعيين فى مصر وقتئذ. لأن حزب الوفد نفسه، كان يتشكل من فئات إجتماعية مختلفة، تشمل كبار الاقطاعيين.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله، الخوف من استقطاب العمال ونقاباتهم، إلى جانب الحزب الشيوعى، بعيدا عن الهيمنة الساحقه لحزب الوفد على معظم طبقات الشعب المصرى، تكتمل معالم الصورة.

■ ■ ■

وبعد الضربة البوليسية العنيفة للحزب الشيوعى. وزج قياداته فى السجن وانهيار الاتحاد العام للنقابات، لم يعد للحزب نشاط يذكر. ولقد حاولت مجموعة جديدة اعادة تنظيم صفوفه من جديد عام ١٩٢٥، لكن حكومه «زيور باشا» التى خلفت حكومه سعد زغلول، كانت أكثر

بطشا بالحزب.. حيث شنت حمله شاملة عليه وصادرت أوراقه ومطبوعاته.. وقدمت عدداً جديداً من أعضائه إلى المحاكمه فى يناير عام١٩٢٦، وصدرت ضدهم أحكام بالسجن متفاوته.

وبعدالضربه الثانية، لم يقم لهذا الحزب قائمه.. وإن ظلت مجموعات متفرقه من أعضائه محتفظة بأفكارها، وتبحث عن إطار تنظيمى تعيد من خلاله كيان الحزب.

ويمكن القول بأن مرحله الثلاثينيات بأكملها، لم تشهد وجوداً فعالاً لأى تنظيم اشتراكى أو شيوعى.. باستثناء بعض النشاط الفكرى.. وانحصرت صراعاتها الفكرية و الحزبية على النطاق الجماهيرى بين حزب الوفدمن ناحية، وتنظيم الاخوان المسلمين ومعه حزب مصر القناة من ناحية أخرى.

وعلى المستوى الرسمى، كانت هناك مجموعة من الأحزاب الصغيرة المنشقه عن حزب الوفد، والمتحالفة مع السراى، لاترتكز على قاعدة جماهيرية.. إنما على علاقاتها الوثيقة مع السراى.

وذلك يعنى، الغياب شبه الكامل لأى حزب اشتراكى أو شيوعى خلال هذه الفترة.. باستثناء التنظيمات الاشتراكيه داخل الجاليات الأجنبية.. وإن بقيت كما أشرت. بعض المجموعات من بقايا الحزب القديم. المنعزله تماما عن الوجود بين الجماهير،أو المشاركه فى الصراع السياسى بين التيارين الرئيسين فى هذه المرحلة.. وهما الوفد بتفكيره العلمانى المتأثر بقيم الحرية والدستور والديموقراطيه، وتيار الاخوان المسلمين السلفى الرافض لهذه المبادئ.. ولكل إنفتاح على الحضارة الأوربية، والذى يدعو إلى دولة اسلامية.. وإن كانت سياسته الفعليه أثناء هذه الفترة، كانت متعاطفة مع السراى والنظام الملكى، بل وترشيح الملك ليكون خليفة للمسلمين.

■ ■ ■

تلك صورة عامة لأبرز ملامح المرحلة الأولى من ظهور الفكر الاشتراكى بمدراسه المختلفة فى مصر. ولأول تنظيم شيوعى ظهر فى العشرينيات ولم يعش طويلاً .. رغم ما أحدثه ماتأثير ملحوظ على قطاعات هامة من العمال، وما أسهم به من نشاط فى ميدان التنظيم النقابى، وتبنى الفكر الاشتراكى.

ولقد كان من الضرورى الإشارة إلى هذه المرحلة، قبل البدء باستعراض ملامح المرحلة الثانيه من تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، وهى المرحلة التى شاركت فى نشاطها، عضواً، وقيادياً ومؤسساً لأحد تنظيماتها الكبرى.. وهو **«الحزب الشيوعى المصرى»** الذى أعلن **فى يناير عام ١٩٥٠.**

والواقع أن رؤيتى لتاريخ الحركه لشيوعية المصرية، تنطلق من تقسيمها إلى ثلاث مراحل.. لكل مرحله خصائصها المميزة.

المرحلة الأولى بدأت عام١٩٢٢.. ووصلت ذروتها عام١٩٢٤.

ثم جاءت النكسة الكبرى.. عندما إنهالت عليها الضربات البوليسية لتصل فى نهاية الثلاثينيات إلى انحسار نفوذها، ولايبق منها سوى عددمن الأفراد، أو المجموعات الصغيرة، والتى إقتصر نشاطها على ترجمة بعض الكتب، أو إصدار مطبوعات غير منتظمة.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، بدأت **المرحلة الثانيه**.. عندما ظهرت ثلاث تنظيمات أساسية، هى **«ايسكرا» و«الحركه المصرية للتحرر الوطنى» و«الفجر الجديد»**. وهى المرحله التى استمرت حتى عام **١٩٦٥**، عندما اخذ قادة الحركه الشيوعيه قراراً بحل الحزب ،على اعتبار أن الدولة الناصرية فى ذلك الحين كانت تسير فى طريق يؤدى إلى الاشتراكيه.. الأمر الذى تنتفى معه ضرورة وجود تنظيم شيوعى مستقل.

والمرحلة الثالثه من تاريخ هذه الحركه، والتى بدأت منذ السبعينيات، فإننى لم أرتبط بأية صلة معها.. وتفرغت **منذ عام ١٩٦٥**، إلى كتابة الدراسات الفكرية والسياسيه والأدبية حول بعض مراحل تاريخ مصر.

وقبل تسجيل شهادتى عن هذه المرحلة- اى المرحلة الثانية- ينبغى أولاً الإجابة على سؤال هام، وهو: **لماذا حمل تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، أثناء المرحلتين الأولى والثانية، أسماء شخصيات أجنبية، أو أجانب متمصرين، فضلا عن متمصرين يهود؟**

وهو سؤال ينبع من حقيقة يصعب إنكارها وهى أن أسماء بارزه مثل **«روزنتال» و«كورييل» و«شوارتز» و«مارسيل اسرائيل» و«جاكو دى كومب»** وغيرهم أسهمت بدور قيادى فى مراحل تأسيس هذه الحركه. فى العشرينيات، ثم فى الأربعينيات

والإجابة يمكن تركيزها فى الحقائق التاليه:

أولاً: أن تاريخ الحركه الاشتراكية فى مصر، بل وفى أى مكان فى العالم.. لا ينفصل عن تاريخ الطبقة العامله.. وتاريخ تنظيماتها النقابية.. وأيضا تاريخ التنظيمات النقابية والتعاونية للفلاحين. فالعمال والفلاحين هما الطبقتان الأشد فقراً، والأكثر استعداداً للإستجابة إلى منطق الفكر الاشتراكى.

ثانيا: إن تكوين أول نقابة عمالية فى مصر، كان عام ١٨٨٩، وهى نقابة عمال «لفافى السجاير».. وكان أعضاؤها من العمال الأجانب والذى أسهم فى تكوينها كان أحد المهاجرين الروس.. وإسمه **« جوزيف روز نتال»**.. وهو نفسه الذى شارك بعد ذلك، فى تكوين أول **اتحاد لنقابات العمال** فى مصر، وهو أيضا أحد المؤسسين لأول **حزب شيوعى مصرى** الذى أشرت إليه قبل ذلك، ويمثل المرحله الأولى من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ١٩٢٢-١٩٤٠.

ثالثا: أن الدور الذى قام به **«روز نتال»** فى تأسيس المرحلة الأول من تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، ومعه مجموعة من الاشتراكيين المصريين، يشبه من بعض الوجوه ما حدث

فى بداية المرحله الثانية من تاريخ الحركه الشيوعية المصرية. وقد يكون دور «هنرى كوريل» بصفة خاصه، قريب الشبه بدور «روزنتال».. إذا تغاضينا عن الاختلاف الجوهرى للمناخ السياسى الذى كان سائداً أثناء بروز هاتين الشخصيتين.

وهناك بعض الحقائق الأخرى، التى تفسر هذه الظاهرة، والتى يمكن تحديدها فى الآتى:

* أن الأجانب كان لهم ثقلا خاصا فى مصر. كانوا مجموعه من جاليات ضخمه، ذات نفوذ سياسى واجتماعى واقتصادى كبير. وكانوا منذ **أوائل القرن العشرين وحتى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢**، يشكلون نسبه كبيرة من عدد سكان مصر.

ففى بداية الأربعينيات. كان عدد سكان **مصر ١٦ مليون نسمه**، وعدد أفراد الجاليات الأجنبية- **نصف مليون**.. أى أنهم يشكلون نسبه كبيرة من عدد السكان.

* ومن جهه أخرى، فإن هؤلاء الأجانب كانت لهم مدارسهم، وصحفهم، وحياتهم الثقافية الخاصه. واكبر هذه الجاليات هى : اليونانيه - ١٠٠ ألف نسمه - يليها الإيطاليه - **٧٠ ألف نسمه**- ثم الأرمن- **٤٠ ألف نسمه**- فضلا عن أعداد هائله من اليهود الأجانب والمصريين، أو المتمصرين.

* يضاف إلى ما سبق، أن نفوذ هذه الجاليات فى المجتمع المصرى، كان يفوق نسبتهم من عدد السكان. فقد هيمنوا على مفاتيح الحياة الاقتصادية فى البنوك والشركات الصناعية والمؤسسات التجارية، فضلا عن المراكز الحيوية فى الجهاز الحكومى.

* لكن هؤلاء الأجانب لم يكونوا جميعا من الرأسماليين، أو خبراء العمل فى البنوك والمصالح الحكوميه.. بل أن أفواج المهاجرين كانت تأتى بمهنيين وصناع ومن كافة المهن الأخرى.

ففى عام **١٩٠٧**، كان فى مصر **٦٧٧ و٣** مهندساً معمارياً **٢٢٣٧** من المحامين، و**٧١٩** صيدليا و**٥٣** طبيباً بيطريا وجراحاً.. وكان أكثر من نصف هؤلاء من الأجانب. فضلا عن وجود عشرات الألوف من الأجانب المشتغلين فى المصانع. وتفصيل الملابس، والحلاقه، والخدمه فى الفنادق الكبرى[1].

ونظرة سريعه إلى أسماء من قدموا إلى المحاكمة فى العشرينات من هذا القرن، ثم فى الأربعينيات بتهمه الاشتراك فى نشاط اشتراكى أو شيوعى، تؤكد مدى ثقل هذه الظاهرة. ففى **٦ فبراير عام ١٩٠٧** نشرت جريدة الأهرام المصرية نبأ محاكمه قادة مظاهرة عماليه كبرى بالاسكندريه..وهم:«**هركين الكسيان» الأرمنى وحرفته «خياط».وديمترى استاراتى وحرفته «اسكافى» إلى جانب عدد من الصناع الأجانب المصريين**»[2].

---

(١) الدكتور رفعت السعيد. تاريخ المنظمات اليسارية المصرية ١٩٤٠-١٩٥٠.دار الثقافة الجديدة. القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

فإذا أضفنا إلى ذلك ظهور اسم «روزنتال» فى عدد كبير من القضايا التى عرضت على المحاكم المصرية فى الثلث الأول من العشرينيات تتضح معالم الصورة.

لقد كان غالبية العمال الأجانب، يونانيين وايطاليين، وأرمن.. ومن خلال إمتزاجهم بالعمال المصريين، ظهر التأثير الفكرى.. لأن معظم هؤلاء العمال الأجانب، كانوا يتميزون بالوعى النقابى والاشتراكى.. فى وقت كانت الطبقة العامله المصرية فى مرحله النشوء والتطور.

ومن هنا جاء إسهام هؤلاء العمال الأجانب فى نشر الوعى النقابى ثم الاشتراكى بين بعض المصريين.

ذلك أن جميع الجاليات الأجنبية فى ذلك الحين، كانت تزخر باتجاهات وتيارات فكرية متعددة.. تعتبر إنعكاسات لما كان يجرى فى أوطانها الأصلية.. بما فى ذلك الاتجاهات الاشتراكيه بمدارسها المختلفه، والليبراليه، بل والفاشيه والنازيه أيضا.

ومع أن نشاط هذه الاتجاهات، كان منحصرا داخل أفراد كل جاليه، فإن ذلك لم يحل دون ظهور تنظيمات تضم أجانب من جنسيات مختلفة

وذلك يفسر لماذا برز دور الأجانب والمتمصرين من شتى الأقطار والديانات بما فى ذلك اليهود فى الحركه الوطنيه والاشتراكيه المصريه والاسهام فى تكوين التنظيمات الشيوعية.

وهناك حقيقة يسجلها تاريخ مصر، وهى أن **سعد زغلول** نفسه إتخذ أحد هؤلاء الأجانب صديقا ومسانداً هاما، هو «**ليون كاسترو**» الذى امتد تأييده لقادة ثورة١٩١٩ الوطنية المصرية إلى حد اصدار جريدة فى مصر باللغة الفرنسية اسمها «ليبرتى»- أى الحريه- تؤيد الحركه الوطنية المصرية بقيادة **سعد زغلول**.

ومن هنا نستطيع تفسير ما يوصف بالظاهرة الغريبة.. أى وجود أجانب، ويهود مصريين أو متمصرين، فى بداية نشأة الحركة الشيوعية المصرية.. فذلك أمر كان فى عصره لا يثير أية حساسية. فانتقال الفكر العلمى أو الاجتماعى أو العسكرى أو القانونى والنقابى والحزبى إلى مصر، بعد الحملة الفرنسية ونشأه دوله محمد على، اعتمد فى البداية على مجموعة من الأجانب.. كما أن إكتشاف لغة الحضارة المصرية القديمه- الهيرو غليفيه- أنجزه الفرنسى **شمبليون**.. الذى مازال اسمة يبرز على أحد الشوارع الهامة فى القاهرة حتى الأن.

وذلك لايعنى بأية حال، دفاعاً عن وجود أجانب فى بداية تأسيس الحركه الشيوعية المصرية. فمن المؤكد أن اعتماد هذه الحركه على مصريين لحماً ودماً كان أفضل.. وأكثر تأثيراً على تطورها وصراعاتها.

لكن كلمه الأفضل، لامعنى لها بالنسبه لأحداث تاريخية.. ينبغى أن تسجل كما هى، بدون إتهامات جزا فية، أو دفاع أهوج، وبدون استخدام كلمات لاتحمل أى معنى الآن.

وعلى العموم فإن دور هؤلاء الأجانب، لم يستمر طويلاً بعد ظهور قيادات مصرية بارزة.. بل وظهور تنظيمات كبرى، لم يشترك فى تأسيسها أو عضويتها، أية عناصر أجنبية.

وبعيداً عن ظروف التكوين وما صاحبه من صراعات، فإن محصلة هذا التكوين فى منتصف الأربعينيات، تجسدت فى التنظيمات الثلاث التى أشرت إليها.. وهى **«الحركه المصرية للتحرر الوطنى»** التى لعب **هنرى كوريبل** دوراً أساسياً فى تكوينها، و**«ايسكرا»** بإسهام **«هليل شفارتز»**،و **«الفجر الجديد»** بتوجيه من **«جاكو دى كومب»**.

وهنا يبرز سؤال ثان، وهو : لماذا نشأت الحركه الشيوعية المصرية فى الأربعينيات، وهى منقسمه إلى ثلاث تنظيمات رئيسية، بدلاً من اتحادها فى تنظيم أو حزب منذ البداية؟

وهو سؤال يحتاج إلى دراسه قائمة بذاتها.

لذلك ساكتفى بأهم هذه الأسباب، والمتمثله فى خلافات فكرية وتنظيمية بين الأطراف الثلاثه التى تصدت لمهمة التأسيس فى هذه المرحله.

وابرز نقطه فى هذا الخلاف، تمثلت حول مدى دور الأجانب، أو المتمصرين فى عملية التأسيس والقيادة.. ودور المصرين أنفسهم. فهناك من رأى ضرورة وجود قيادة من الأجانب فى المرحلة الأولى من تأسيس التنظيم الشيوعى، وهناك من طالب بالتمصير- أى سيطرة العناصر المصرية مع وجود عدد وقليل من المتمصرين أو الأجانب بينما أصر فريق ثالث على استبعاد الأجانب نهائياً من قيادة التنظيم، واقتصارة على الكوادر المصرية.

وحول هذه النقطه، إلى جانب الخلافات الشخصية بين هذه الأطراف الثلاثه، والخلاف حول مدى تأمين التنظيم من الضربات البوليسية، سار كل طرف فى طريق مستقل. ومن هنا- إلى جانب عوامل أخرى- **ولدت الحركه الشيوعية المصريه منذ البداية منقسمه**.. رغم إعتناق جميع الأطراف المتنازعه لنفس المبادئ الماركسيه.

وبغض النظر عما سجلته هذه الأطراف فى مذكراتها وشهاداتها حول هذه الظاهرة، فمن المؤكد أنها أحدثت ضرراً بليغاً فى تاريخ الحركه الشيوعية المصرية.. بل وانعكس هذا الأثر على الحركه الوطنية والتنظيمات النقابية والجماهيرية فى مصر.

ولأن شهادتى كأحد القياديين للحركه الشيوعية المصرية أثناء المرحلة الثانيه من تاريخها، فأننى أترك ظروف النشأة والتكوين، لأبدأ بتسجيل هذه الشهادة داخل هذه الحركه منذ عام١٩٤٥ وحتى عام١٩٦٥. فلا أريد الإفاضه فى مقدمات أو ظهور هذه الحركه، كما لا أستطيع الادعاء بأن كتابى هذا هو تأريخ لهذه الحركه. حسبه أن يكون **«رؤيه»** لأحد قادتها.. يقدم من خلالها، احداث فترة هامه من تاريخها، كان له شرف الاسهام فى صياغة بعض ملامحها.

الفصل الثانى
[الحركه المصرية للتحرر الوطنى] (ح.م)

إذا كانت الإرادة الحرّة تعنى من حيث الجوهر حرية الاختيار والقرار بعد معرفة الدوافع والأسباب، فإن تجربتى خلال عشرين عاما فى النضال الوطنى، تؤكد سلامة قرارى بالإنضمام إلى مسيرة الحركه الشيوعية المصرية فى عام **١٩٤٥**

واليوم وبعدمرور ما يزيد عن الأربعين عاماً منذ إخترت الفكر الماركسى، يتضاعف يقينى بأن هذا الاختيار كان ولايزال هو طريقى إلى المعرفة التى لا ينضب معينها.

وأزعم أننى حاولت على مدى سنوات عضويتى فى التنظيمات الشيوعية - **١٩٤٥-١٩٦٥**- أن أكون متسقا مع نفسى: فلقد أخطات أحياناً، وعشت الهزيمة وذقت مرارة اليأس احيانا، غير أنى كنت أنقد الخطأ حين أدركه، وكنت أقهر الضعف حين يغزونى، وكانت عيناى تبحث باستمرار عن شعاع أمل يزيح عن كاهلى الإحساس باليأس والهزيمة.

فى منتصف عام **١٩٤٥** بدأت رؤيتى تتضح.. ليس الاستعمار البريطانى مجرد إحتلال عسكرى، وإنما هو استعمار اقتصادى فى الأساس، وأنه ليس تسلطا فحسب، بل هو هيمنة سياسية واقتصادية وعسكريه تفرضها الدول الرأسمالية الكبرى على الشعوب المستعمرة. وأن فى مصر طبقات ترتبط مصالحها الاقتصادية بالاستعمار وطبقات أخرى وطنية وشعبيه تشكل جبهة الثورة وتقودها الطبقة العامله، هدفها كسب الإستقلال السياسى وتحقيق العدالة الاجتماعية

ويوم عرفت من «**مصطفى**»[1] صديقى الحميم وزميل الدراسه والذى كان يمدنى بالكتب الماركسيه أنه شيوعى طلبت منه الانضمام إلى «الحزب الشيوعى».

وحتى اليوم الذى أبلغنى فيه«مصطفى» أنه قد تقرر- بعد وضعى تحت الاختبار- وقبولى عضواً فى «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**». لم أكن أعرف أن هناك تنظيمات شيوعية أخرى مثل ايسكرا والفجر الجديد والعصبة الماركسية والقلعة والطليعة بالاسكندرية، وتحرير الشعب.وكان من الطبيعى بحكم علاقتى «بمصطفى» أن أنضم إلى «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**»ح.م[2] دون غيرها من التنظيمات الشيوعية الأخرى بعد أن عرفت منه أنها«انتهازية».

(١) الاسم التنظيمى للزميل عبد الفتاح الهيندى عضو اللجنه المركزية للحركة المصرية للتحرر الوطنى ومسئول الاجهزة الفنية فى الحركه الديمقراطية للتحرر الوطنى.

(٢)تنظيم شيوعى أسسه هنرى كورييل هو «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» ويرمز لها بالرمز ح.م.

وهكذا كان إختياري للماركسيه إختياراً حراً، وكان إنضمامي إلى « **الحركه المصرية للتحرر الوطني**» محكوماً بالثقه في «**مصطفى**»، أكثر منه قراراً بالإختيار.

ويبدو أنني رضعت منذ اللحظه الأولى لإنضمامي إلى الحركه الشيوعية المصرية «لبن التعصب» «**للحركه المصرية للتحرر الوطني**» بوصفها «التيار الثوري» ولزعيمه- **أبو حجاج**[1]-، وليس فقط لثقتي «بمصطفى» ولكن أيضاً «**بحوتر**»[2] مسئولي الثاني، والذي كنت أرى فيه مثالاً للخلق، واحسن به زاهداً كقديس، هذا إلى جانب ما تفرضه طبيعه التنظيم السري من قيود لا تسمح بغير ما يقوله المسئول المباشر، وما تنشره «النشرة» الداخليه للتنظيم. وكانت أي محاولة لعمل إتصال بغير مسئول الخليه المباشر يعتبر خروجا على التنظيم.

فقد كانت «لائحه التنظيم» تنص على أن «الاتصال الجانبي» مع عضو من نفس التنظيم جريمه تتدرج عقوباتها.. تبدأ من لفت النظر وتنتهي عند الفصل من التنظيم. وكان الاتصال بعضو من تنظيم أخر دون قرار من اللجنة المركزية، جريمه عقوبتها واحده..هي الفصل.

هذا الانضباط التنظيمي الصارم، والذي لا يسمح بمناقشه أو التعرف على أي إنسان آخر غير المسئول المباشر وأعضاء المستوي الذي ينتمي إليه العضو، إلى جانب الهجوم المستمر على التنظيمات الشيوعيه الأخرى «المعادية» ل«ح.م»- **الحركه المصرية للتحرر الوطني**- بوصفها « التيار الثوري»، فضلا عن الحديث الذي لا يتوقف عن « **أبو حجاج**» وقيادته الملهمة التي يدين لها الجميع بالولاء، وبساطته وتواضعه، وعطفة على الفقراء وهو ابن المليونير، جعل التعصب **للحركه المصرية للتحرر الوطني- التيار الثوري**- ولزعيم هذا التيار «**هنري كورييل**» يصل إلى حد اليقين عند أعضاء «ح.م»، وعندي.

لقد شهدت الفترة من اكتوبر عام ١٩٤٥، وحتى فيبراير ١٩٤٦ نشاطا طلابيا واسع النطاق، كان « **للحركه المصرية للتحرر الوطني**» دوراً بارزاً فيه، وكنت وقتئذ مسئولاً عن عدد من خلايا الطلبه. ففي اكتوبر عام ١٩٤٥ تكونت «**اللجنه التحضريه للجنة الوطنية للطلاب**» أهدافها: الاستقلال الوطني والسياسي والاقتصادي والثقافي، وتصفية العملاء المرتبطين بالاستعمار من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين المرتبطين بالاحتكارات العالمية، وتوحيد كل القوى المعادية للاستعمار. ورغم معايشتي ومشاركتي في أحداث هذه الفترة الهامة من تاريخ مصر.. فإنني هنا أجد فيما كتبه الاستاذ **طارق البشري** في كتابه- الحركه السياسة في مصر١٩٤٥-١٩٥٢ تسجيلا دقيقاً لهذه الأحداث..حيث:

---

(١) الاسم التنظيمي لهنري كورييل، وكان الأصل ان يسمى« يوسف» كما كان يطلق عليه في ذلك الحين، وقد تغير هذا الاسم بعد ذلك في فترة تالية واصبح «يونس».

(٢) الاسم التنظيمي لمحمد عرفه وهو صف ضابط في سلاح الطيران الملكي حينذاك.

«تكونت اللجان الطلابية فى مختلف السنوات الدراسية. واجتمعت هذه اللجان لانتخاب اللجنه التنفيذيه لطلاب جامعه القاهرة واللجنه التنفيذية للأزهر وانتخاب مصطفى موسى[1] رئيسا للجنه التنفيذية العليا. وبعد انتهاء عطله نصف السنه للجامعه والمدارس أصدرت اللجنة التنفيذية العليا للطلبه قراراً بدعوتهم إلى عقد مؤتمرات عامة لمناقشه الحاله الحاضرة. وهاجمت مبدأ الدفاع المشترك وطالبت بعدم الدخول فى المفاوضات الأعلى أساس الجلاء التام» «وانعقد المؤتمر العام فى الجامعه فى الجيزة شارك فيه الكثيرون من طلبة المعاهد والمدارس وعم الاجتماع شعور بالوحدة. وأعلن المؤتمر اعتبار المفاوضة عملاً من اعمال الخيانه يجب وقفه وطالب بالغاء معاهدة١٩٣٦ واتفاقيتى١٨٩٩ الخاصتين بالسوادن وضروره جلاء القوات البريطانية فوراً.

بعد هذا خرجت من الجامعه أضخم مظاهرة عرفت منذ قيام الحرب العالمية الثانية تمثلت فيها الوحدة الوطنية والاتفاق الاجماعى على المحافظة على النظام، فعبرت شارع الجامعة ثم ميدان الجيزة إلى كوبرى عباس، وما أن توسطته حتى حاصرها البوليس من الجانبين وفتح الكوبرى وبدأ الاعتداء على الطلبه فسقط البعض فى النيل وجرح أكثر من ٢٠٠ فرد.

وكان يوم ١١ فبراير١٩٤٦ عيد ميلاد الملك السابق فاروق ونظمت الحكومة احتفالاً به وأقامت الزينات على قبه الجامعه وأجرت مهرجانا للشعله الملكية، فحطم الطلبه الزينات وداسوا صورة الملك بالاقدام واشعلوا فيها النار، وهتفوا ضد السراى واستقبلت الجماهير الشعله الملكيه فى الميادين بمظاهرات صاخبة. وفى ١٢ فبراير قامت جنازه صامته على روح الشهداء وأقام طلبه الأزهر صلاة الغائب عليهم وفى ١٤ فبراير كانت المظاهرات فى القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وشبين الكوم والزقازيق والمحله الكبرى وطوخ وأسيوط. **وفى١٦ فبراير١٩٤٦** أغلقت المحال العامه فى الأحياء الوطنية احتجاجاً على الحوادث وحداداً على لشهداء.

وتجسد كلمات المرحوم **عزيز فهمى**[2] فى صحيفة **الوفد المصرى فى١٣ فبراير١٩٤٦** الروح الوطنية فتقول: « إنه وطننا **فإحصدوا أرواحنا حصداً واحشرونا فى السجون حشراً. واستعينوا على خطف جثث الشهداء بالكلب نمر وبغيره من الكلاب وحرموا علينا الاحتفال بالشهداء وأبيحوا دماءنا فما أهون الفداء. لن ننزل عن شبر من الوطن المقدس ولن نفرط فى ذرة من وادى النيل أو نغنى عن بكرة أبينا. أنه وطننا وسنحميه بسواعدنا وإنها لأرضنا وسندفع عنها بأيدينا»**

وكان العمال بالمثل يكونون اللجان الوطنية فى المصانع ومن هذه اللجان تكونت لجنه وطنيه

---

(١) زعيم الطلبة للطليعة الوفدية.

(٢) المحامى البارز وعضو مجلس النواب فى حكومة الوفد. ومن زعماء الطليعه الوفدية.

عامة للعمال فى شبرا الخيمة. ومع أحداث فبراير التقى مندوبو العمال والطلبة وعقدوا عدة إجتماعات اسفرت عن تكوين **«اللجنه الوطنية للعمال والطلبه»** لتقود المعركة ضد الاستعمار وأعوانه فى الداخل وضد المفاوضات والأحلاف. وأصدرت اللجنة بيانا جاء فيه «إن نقابات العمال بالقطر المصرى وطلبة الجامعات المصرية والأزهر والمعاهد العليا والمدارس الفنية والثانوية قررت جميعاً أن يكون يوم**٢١ فبراير** يوم الجلاء ويوم الاضراب العام لجميع هيئات الشعب وطوائفه» ونادت اللجنه بأن تتعطل الموافق العامه ووسائل النقل والمحلات العامة والتجارية ومعاهد التعليم والمصانع فى جميع أنحاء القطر.

وفى اليوم المحدد انتشر مندوبو اللجنه فى كل مكان لتنظيم الاضراب والمظاهرات، وتوقف عمال المواصلات عن العمل وتجمعوا فى المخازن والورش بالجيزة وشبرا والعباسية وتحركوا فى مظاهرة كبيرة كانت الجماهير تنضم إليها تباعاً، وأقبل عمال شبرا الخيمة إلى القاهرة وتظاهر عمال نقابة السكك الحديدية وورش أبو زعبل وعمال الأدوات الصحية وعمال النجاره..الخ وتوقفت جميع المصانع والمحال التجارية والمدارس والكليات، وقامت مظاهرة كبيرة من الأزهر، وانضمت إلى الأخريات وتجمعت المظاهرات فى ميدان الأوبرا حيث عقد مؤتمر وطنى عام قرر مقاطعة المفاوضات وأساليب المساومة والتمسك بالجلاء عن وادى النيل والغاء معاهدة١٩٣٦ واتفاقتى١٨٩٩ (الخاصتين بالسودان) وعرض القضية على مجلس الأمن. بعد هذا تحركت المظاهرات إلى ميدان قصر النيل (التحرير) حيث الثكنات البريطانية واتجه قسم منها إلى ساحة عابدين حيث القصر اللكى. وكانت المظاهرات تسير بانتظام حريصه على الأمن ووقف منظموها محاولين منع أى عنصر من القيام بالتخريب ثم ظهرت سيارات مسلحة للجيش البريطانى فى ميدان قصر النيل واخترقت الجموع فجأة ودهمتهم فألقى المتظاهرون الحجارة على الثكنات، فرد الانجليز بإطلاق المدافع الرشاشه فأشعل المتظاهرون النار فى قشلاق للإنجليز كان يقوم فى مواجهة الجامعه الأمريكيه بالميدان، وثارت الأعصاب واعتدى على بعض المحال الأجنبية وعلى معسكر للجنود الافريقيين يقوم خلف المحكمه المختلطة (دار القضاء العالى) وعلى مخزن أدوية للجيش البريطانى ونادى الطيران الانجليزى وعلى خمس من سيارات القوات الهندية، وظلت الجماهير هائجة صاخبة إلى قرب منتصف الليل. وقصدت بعض المظاهرات إلى ميدان عابدين تلوح بالمناديل المخضبة بدماء القتلى والجرحى، وانتشرت المظاهرات فى الأحياء المختلفة بالجيزه وشبرا وباب الشعرية والقبة ومصر الجديدة والعباسية وحلوان وغيرها، وعمت المظاهرات فى المدن الأخرى إذا خرجت الجماهير فى بورسعيد يقودها عمال شركة القناة والشركات الأجنبية وطلبه المدارس،وفى الاسكندرية قامت المظاهرات من عمال المصانع والتقت بالطلبة فى ميدان سعد زغلول وجذبت إليها الفئات الأخرى واستمرت إلى وقت متأخرمن الليل، كما قامت فى الاسماعليه والزقازيق والمنصورة ودكرنس والمحلة الكبرى وطنطا وكفر الشيخ ومنيا القمح وزفتى والمنزله والسنبلاوين..الخ واسفرت المظاهرات عن مقتل٢٠ واصابة١٥٠ وفقا لتقدير صحيفة المصرى.»

وفى المساء أذاع رئيس الوزراء اسماعيل صدقى باشا بيانا «..**أن المظاهرات التى قامت صباح اليوم قد تحولت بفعل الأيدى التى لم تعد خافية واندساس عناصر الدهماء فى صفوف الطلبة الابرياء..**» وركز صدقى فى هذه العبارة خطته وهى التفرقه بين القوتين المتجمعتين للعمال والطلبة مع محاولة جذب الطلبة أو عزلهم عما يزمع من ضرب تحرك العمال واثاره الشبهات أوخلقها حولهم.»

وأثار البيان ثائرة الجماهير وخاصه المثقفين والطلبه وهاجموا صدقى فى وصفه العمال بالدهماء. كتبت الوفد المصرى «أن ليس الوطن ملكا لصدقى **ولكنه وطننا نحن ووطن الدهماء**» وهاجمت صحيفة البلاغ المليونير الرأسمالى الذى لا يرى للدهماء حقا فى وطنهم أو صوتا. وقررت لجنة الطلبة التنفيذية استنكار بيان صدقى ومحاولته تفريق عناصر الأمه ووصفه العمال- العمود الفقرى للقوى الشعبية- بالدهماء، كما قررت عقد مؤتمرات دورية فى الجامعات والمعاهد لتتبع الموقف» «واضطرد عقد المؤتمرات للطلبه والشباب وغيرهما وسارت المظاهرات فى الأيام التاليه بالقاهرة والاسكندرية وفى أسيوط ودمياط وغيرها من مدن الأقاليم. ثم حددت لجنه الطلبه التنفيذية يوم الاثنين**٢٥فبراير** يوم حداد عام. فصدرت كثير من الصحف مجلّلة بالسواد تحمل المقالات الإثارية وأضرب المحامون عن العمل فى اليوم التالى. ثم عقدت لجنه الطلبة مؤتمراً عاما فى**٢٦فبراير** تقرر فيه عقد مؤتمرات محليه فى كل معهد دراسى فى اليومين التالين. وفى ذات اليوم أصدرت اللجنه الوطنية للعمال والطلبة بيانا نبهت فيه إلى أن وجود القوات البريطانيه فى المدن الكبرى هو ما يعرض الأمن للخطر وطلبت سحبها فوراً، واستنكرت محاولة الحكومة التفريق بين الطلبة والعمال وقررت اعتبار يوم**٤مارس** يوم الحداد العام على أرواح الشهداء.

ونفذ الحداد العام فى ذلك اليوم. وأضربت الصحف عن الصدور واغلقت المصانع ومعاهد التعليم والمتاجر والمحلات العامة وساد القاهرة صمت كثيف.»

ولقد اكدت أحداث هذه الفترة الغنيه فى تاريخ الحركه الوطنيه المصريه، أن التنظيمات الشيوعية وفى مقدمتها «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**»ح.م استطاعت أن تحدد أهداف الحركه الوطنية المصرية باستنادها، إلي الفهم العلمى للاستعمار والتقسيم الطبقى للمجتمع، وأن وحدة القوى الوطنيه بمختلف اتجاهاتها السياسية والفكرية كان من أهم أسباب فاعليه الحركه الجماهيرية. وأن الخلافات السياسية بين التنظيمات الشيوعيه لم تكن جوهرية، وربما لم توجد أصلاً بين أعضاء القواعد التى نظمت وقادت وشاركت أحداث هذه الفترة.

وأذكر اننى كنت وزملائى فى «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» نلتقى بآخرين فى التنظيمات الأخرى. ونكتشف من خلال النضال المشترك عدم وجود خلافات سياسية أو فكرية.

ويسأل كل منا تنظيمه: لماذا هذا التعدد؟ وتأتي إجابات كل قيادات التنظيمات واحده: **لأن تنظيمنا هو «الثورى» والتنظيمات الأخرى «انتهازيه»!**

وكنت، مثل كل الآخرين فى قواعد التنظيمات المختلفة تقتنع بهذه الإجابة خاصه عندما تلعب حيثيات هذا الحكم على نغمة تمجيد «تنظيمنا الثورى» الذى قاد الجماهير، وأجبر التنظيمات الأخرى على «مسايرة» حركه الجماهير كى لا تنعزل عنها، ولكى تضلل قيادات هذه التنظيمات قواعدها المخلصه وتصرفها عن الانضمام إلى تنظيمنا «الثورى»!

ويبدو أن هذه الإجابة الواحدة، كانت أضعف كثيرا مما يحسه ويراه كل أعضاء التنظيمات الشيوعية المختلفه من خلال نضالهم المشترك. وكانت الأصوات التى تطالب بالوحدة قد أصبحت ظاهره لا يمكن تجاهلها. ويبدو أن هذه الحقيقة هى التى جعلت أبو حجاج- **هنرى كورييل**- يمسك بزمام المبادرة ويدعو إلى وحده كل التنظيمات.

وأذكر أن مسئولى "هادى"[1] همس فى أذنى فى أوائل يوليو عام ١٩٤٦ بسر خطير.. **«أبو حجاج» هنرى كورييل** يقوم باتصالات مكثفة بكل التنظيمات يعرض عليها الوحده. وأضاف.. أن خطه كورييل هى «فضح» إنتهازية قيادات «**إيسكرا**»[2] و«**الفجر الجديد**»[3] والتنظيمات الأخرى، والعمل على كسب قواعدها المخلصه إلى «**تيارنا الثورى**» «**ح.م**».

والغريب أننى تحمست لمبادرة «**أبو حجاج**».. ليس من منطلق وحدة كل التنظيمات، ولكن من منطلق أنها حركه بارعة منه لكسب قواعد هذه التنظيمات التى. تقودها عناصر إنتهازية.

ويبدو أن نجاحى فى كسب عدد من أعضاء التنظيمات الأخرى خلال تلك الفترة إلى «ح.م»، إلى جانب تعصبى «الأعمى» لتيارنا الثورى وقائده «**أبو حجاج**». ضاعف من حماسى لمبادرته .

كان **اسماعيل صدقى «باشا»- رئيس وزراء مصر فى ذلك الحين**- قد بدأ المفاوضات مع الانجليز. وفى نهاية يونيو وافقت الحكومة على إنشاء «**لجنه الدفاع المشترك**». وخرجت المنظمات الشيوعية والشعبية تنادى بعقد المؤتمرات وتنظيم المظاهرات، وأصدرت «**اللجنة الوطنية للعمال والطلبه**» بيانا طالبت فية بقطع المفاوضات. وتقرر أن يكون يوم **١١ يوليو** (ذكرى ضرب الانجليز للاسكندرية فى عام ١٨٨٢) يوم الحداد واستمرار النضال.

---

(١) الاسم التنظيمى للمهندس سعد المهدى.

(٢) تنظيم شيوعى أسسه هليل شفارتز عام ١٩٤٤. وايسكرا كلمة روسيه معناها الشرارة.

(٣) تنظيم شيوعى آخر أسسه جاكودى كومب دى كامب.

وفى اليوم السابق على الاضراب قام باعتقال أكثر من مائتين من الكتاب والصحفيين وزعماء اللجنه الوطنيه ونقابات العمال والشباب الوفدى. وأغلق دور النشر والجمعيات مثل دار الابحاث العلمية ولجنه نشر الثقافة الحديثه، واتحاد خريجى الجامعه.. وغيرها، كما أغلق صحف الفجر الجديد وأم درمان والوفد المصرى والضمير. ومنع الاحتفال بيوم ١١يوليو وأصدر فى غيبه البرلمان قانون تشديد العقوبات الجنائيه- الأشغال الشاقه **عشر سنوات و ١٥سنه سجن**- لحماية النظام باسم مكافحة الشيوعية.

وسميت هذه الحمله بقضية المبادئ الهدامة. وكان اعتقال **هنرى كوربيل**- دون القيادات الأجنبيه للتنظيمات الشيوعية الأخرى- عاملاً قويا آخر يضاف إلى سجل **«التيار الثورى»** الذى تعبر عنه «ح.م». كذلك كانت أشعار **كمال عبد الحليم** التى ساقها **أسماعيل صدقى** للتدليل على تهديد نظام الحكم.

وفى تخشيبة قسم بوليس عابدين، اقتربت من **«عاكف»**[1]. مسئولى الجديد خلال الأيام التى مكثناها معا قبل أن ينقل إلى سجن مصر بعد أن وضعت النيابه اسمه فى قائمه الاتهام فى قضيه «الشيوعيه الكبرى»، وأفرجت عنى مع عدد من الطلبة بكفاله قام حزب الوفد بدفعها. فى تلك الأيام عرفت من المرحوم **خليل قاسم** الكثير مما لم أكن اعرفه من قبل عن أوضاع الحركه الشيوعية المصرية. كان يؤمن بقيادة **«أبو حجاج»** وبأن**(ح.م)** هى التيار الثورى فى الحركه الشيوعيه المصريه.لكنه كان لا يوافق على الحكم الصارم بانتهازيه كل أعضاء قيادات المنظمات الأخرى. وكان يدلل على ذلك بعدد من الأسماء البارزه فى هذه القيادات التى يعرفها عن قرب مثل شهدى **عطيه الشافعى، وجمال غالى من «ايسكرا» ومحمود العسكرى وأبو سيف يوسف من «الفجر الجديد» وفوزى جرجس من «العصبه الماركسيه»** وغيرهم. وعلى الرغم من أنه كان يرى أنه يجب أن تتخلص الحركه الشيوعية من الأجانب، إلا أنه كان يستثنى **هنرى كوربيل**، فهو الذى خصص مكتبه **«الميدان»** لنشر الكتب الماركسيه. وهو الذى أشرف بنفسه على ترجمه وطبع **«الكتب الخضراء»** وجعل الفكر الماركسى فى متناول العناصر الشعبيه التى لا تعرف لغه أجنبيه، وهو الذى اهتم بنشاط النوبيين- كان خليل قاسم نوبيا- وبتوجيهاته أمكن حشد الأقلية النوبية فى العمل النضالى واحباط محاوله الاستعمار لفصل النوبة عن مصر.

قبل أن أفترق عن المرحوم **خليل قاسم «عاكف»** أوصانى بالاهتمام بنشاط الاتحاد العام لخريجى المدارس الثانوية الصناعيه- وأوصانى بالاستمرار فى مسئوليه الخلايا التى كنت مسئولاعنها حتى يتصل بى مسئول جديد أثناء وجوده فى السجن.

---

(١) الاسم التنظيمى للمرحوم محمد خليل قاسم وكان وقتها طالبا بكلية الأداب.

وبعد حوالى شهر ونصف لم يتصل بى خلالها مسئول جديد، خرج «**عاكف**» من السجن وإتصل بى بعد أيام قليله من خروجه.

وكنت خلال هذه الفترة قد ركزت نشاطى فى الاتحاد العام لخريجى المدارس الثانويه الصناعيه و«جندت» عدداً من أعضائه ،كونت منهم خلايا إلى جانب خلايا العمال والطلبه التى كنت مسئولا عنها.

وفى أول انتخابات لمجلس إداره الاتحاد، حصلت على أغلبية كبيره من الأصوات، واسند إلى منصب السكرتير العام للاتحاد. وأصدرت مجله اسبوعيه، ونظمت محاضرات ثقافيه.

وكنت قد بدأت مع الزملاء الذين أصبحوا أعضاءً مرشحين فى «ح.م» بقرار من لجنه المسئولين[1] التى كنت عضوا بها، فى اعداد مذكره لوزير المعارف بعدد من المطالب الهامة لخريجى المدارس الصناعية الثانويه.

وخلال الشهور الثلاثه الأخيره من عام ١٩٤٦ حتى يونيو عام ١٩٤٧، تعلمت على يد المرحوم **خليل قاسم** أضعاف ما تعلمته قبل ذلك منذ انضمامى للحركه المصرية للتحرر الوطنى.

كان لا يكتفى بلقائنا فى لجنه القسم، وكنا نلتقى كثيراً لقاءات منفردة. خلال تلك اللقاءات درست على يديه مبادى الفلسفه. وشجعنى على تقوية لغتى الانجليزية وعلى كتابة مقالات فى صحيفه "أم درمان"[2] تحت اسم مستعار، وكانت كل لقاءتنا حميمه يحرص خلالها على أن لا يكون مسئولاً بل صديقا ومربيا وكان يهتم بشكل أساسى بنشاطى داخل الاتحاد، مما جعله يخفف من أعبائى التنظيمية حتى يكون معظم وقتى للعمل داخل الاتحاد الذى يضم عشرات الألاف ينتشرون فى مدن وقرى مصر. وعلى الرغم من أننى كنت أعرف منه أخبار مناقشات الوحده بين التنظيمات المختلفه.إلاّ أنه كان حريصا على أن لا يغرقنى فى التفصيلات الكثيرة لهذه المناقشات، حتى أنه حين أبلغنى بقيام «**الحركه الديمقراطية للتحرور الوطنى**» «**حدتو**» فى أوائل عام ١٩٤٧ - التى جمعت بين «**الحركه المصرية للتحرور الوطنى**»و«**ايسكرا**» - لم يطرأ ببالى لحظتها أن أساله عن أسباب عدم انضمام مجموعة «**الفجر الجديد**» كما لم يكن هو مهتما بهذا الأمر، وكان إهتمامه الأساسى هو معرفة أخبار نشاطى فى الاتحاد.

---

(١) مستوى تنظيمى يقود خلايا المصنع، أو الكليه، أو الحى.

(٢) صحيفة علنية كانت تصدر عن الحركة المصرية للتحرر الوطنى. ترأسها السودانى عبده ذهب.

الفصل الثالث

[الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى] «حدتو»

أضاف إلى فرحتى بإتمام الوحدة بين **«الحركه المصرية للتحرر الوطنى»** و**«ايسكرا»** استمرار المرحوم **محمد خليل قاسم (عاكف)** مسئولا للجنه منطقة شبرا فى التنظيم الجديد.. **«الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى»**. ولم يكن أعضاء لجنة المنطقة التى ضمت أعضاء من **«ح.م»** ومن **«ايسكرا»** وجوهاً جديدة علىّ، فقد التقيت بهم فى المظاهرات والمؤتمرات.

بعد الاجتماع الأول للجنة **المنطقة**[1] فى التنظيم الموحد الذى اقتصر على كلمات المسئول والأعضاء، يرحبون فيها بالوحدة ويتمنون استكمال توحيد المنظمات الشيوعية الأخرى، حدد معى **«عاكف»** موعداً فى صباح اليوم التالى. وفى هذا اللقاء طلب منى أن أقول له ملاحظاتى على الاجتماع الأول للجنه المنطقة. كانت ملاحظتى الاساسية هى ظاهرة الروح الحلقية عند أعضاء المنطقة. وكان تعليقه أن الوحدة الحقيقة لن تتم إلاً فى الشارع ومن خلال العمل بين الجماهير. وأعاد تاكيده علىّ بالا تطغى مسئولياتى التنظيمية الجديدة على نشاطى الجماهيرى فى الاتحاد. وقال أن نشاطى فى الاتحاد يحظى باهتمام خاص من **«يونس»**- الاسم التنظيمى الجديد لكورييل- وهو يطلب منى أن أكتب تقريراً عن هذا النشاط. وفى الاجتماع التالى للجنه المنطقة نوقش التقرير ونال موافقة اللجنه بالإجماع بعد أن توالت كلمات التناء عليه من الجميع.

وفى إجتماع ثالث أخبر **محمد خليل قاسم** «عاكف» أعضاء اللجنه بقرار **«يونس»** السكرتير السياسى للتنظيم بنقلى إلى مكان آخر فى التنظيم. وقبل أن ينتهى الاجتماع قام أعضاء لجنه المنطقة بتوديعى بكلمات تأثرت بها، فقد كانت تحمل مشاعر الحب والتقدير.

وفى صباح اليوم التالى كنت والمرحوم **خليل قاسم** نجلس فى «امريكين» سليمان باشا- طلعت حرب- فى انتظار **«شوقى»** [2]-الذى سأر افقه لمقابله الزميل **«يونس»**، والذى حضر متاخراً عن موعده أكثر من ساعه.وفى خلال هذه الساعة دار حوار بينى وبين عاكف بدأ حين أبديت دهشتى لتأخر «شوقى» عضو اللجنه المركزيه الذى يفترض فيه أن يكون القدوة فى

---

(١) مستوى تنظيمى يلى مستوى لجنه المدنيه فى التدرج الحزبى

(٢) الاسم التنظيمى لكمال شعبان وكان وقتها طالبا بكلية الفنون الجميلة.

العمل الحزبى. أحسست بدفء مشاعره نحوى والتى كانت مزيجاً من حبه لى، وثقتة بى، وخوفه علىّ

كانت خلاصه هذا الحوار الهام والذى لعب دوراً أساسياً خلال مسيرتى النضاليه أن الواقع هو ما نراه ونعيش فيه وليس ما نجده فى الكتب أو نتخيله. وأن تغيير هذا الواقع إلى الأفضل يبدأ بالصدق مع النفس.

وجاء «**شوقى**» الذى كنت سأصحبه لمقابلة «**يونس**» وودعت «**عاكف**» الذى لم ينس حتى اللحظه الأخيرة تأكيده بأن لا تشغلنى الأعمال التنظيميه عن نشاطى الجماهيرى.

قبل أن نترك «الامريكين» للذهاب إلى حيث يوجد «**يونس**» وعلى فنجان «كابتشينو» دار أول حوار بينى وبين «شوقى». بدأ بسؤال عن رأيى فى الوحدة. وكانت إجابتى هى التى توقعها بالتمام والكمال..«ح.م» هى «التيار الثورى» ودورنا نحن أبناء هذا التيار هو «تجنيد» العناصر المخلصه فى قواعد «**ايسكرا**»، وأن الضمان الوحيد لإنتصار «**ح.م**» هو قيادة «**يونس**» الحكيمه.. وتماسك أعضاء «**ح.م**»، وأضاف «**شوقى**» الجديد من مساوئ وانتهازيه قياده «ايسكرا» والتنظيمات الأخرى، ومالم أكن أعرفه، مثل الانحلال الخلقى «**لشندى**»[1]زعيم «**ايسكرا**»» ومسئول التنظيم فى اللجنه المركزيه **للحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى**، ومثل الحياه المترفه التى يعيشها بعض أعضاء اللجنه المركزيه فى «**ايسكرا**».

(١) الاسم التنظيمى لهليل شفارتز

[العلاقه مع هنرى كورييل]

كانت هذه هى المرّة الأولى التى «أركب» فيها مصعداً، فأبناء الحارات فى زماننا لم تكن لهم علاقه بالعمارات ذات المصاعد. وفى غرفة فسيحه بها أثاث فخم، جلست و «**شوقى**» فى إنتظار الزميل «**يونس**» الذى جاء بعد دقائق.طويل القامه. نحيف. ظهره محنى قليلا يضع نظاره طبية على وجهه. يلبس «شورت» كاكى وقميص ابيض نصف كم.، وصندل فى قدميه.

لو أن الزميل «**شوقى**» لم يكن جالساً بجوارى.. ولو كان فى طول «**يونس**» لإختلط الأمر علّى،وحسبت أن «**يونس**» هو «**شوقى**» أو العكس، فقد كان شوقى بملابسه ونظارته صورة طبق الأصل.

قمت وقام «**شوقى**» لاستقبال «**يونس**». شد الرجل على يدى الممدودة إليه بكلتا يدية والابتسامة تملأ وجهه. بعد أن جلس على الكرسى القريب منى، قال: مبروك قرار اللجنه المركزيه بتوليك. المسئوليه السياسية للجنة مدينة القاهرة. شكرته على ثقته وثقه اللجنه المركزيه[1] وكنت قد عرفت من «**شوقى**» بأن هذا القرار صدر بعد إطلاع اللجنه المركزيه على التقرير الذى كتبته عن الاتحاد العام لخريجى المدارس الثانوية الصناعية، وسألته عن مهام هذه المسئوليه الجديده.

وماسمعته كان أمراً غريبا على مبادئ التنظيم، وهو مالم أكن أدركه حينذاك. فلجنه المدينة فى التنظيم الحزبى هى المستوى الذى يلى اللجنه المركزية مباشرة ومسئولو هذه اللجنه واللجان المماثلة على مستوى القطر اعضاء فى اللجنه المركزية وبالتالى فإن مسئول هذا المستوى يجب أن يكون عضوا فى اللجنه المركزيه . بينما القرار الذى صدر من اللجنه المركزية بأن أكون مسئولاً عن لجنه مدينه القاهرة لم يتضمن تصعيدى إلى اللجنه المركزية. وكان التبرير الذى قدمه الزميل **يونس** هو أنه كان من المستحيل تصعيدى إلى مستوى اللجنه المركزية، حيث أن اتفاقات الوحدة بين «ح.م» و«**ايسكرا**» تنص على أن يكون لكل تنظيم عدد متساو من الأعضاء، وأن يكون لمنظمه «**الطليعه**»- وهى منظمه صغيرة كانت فى الاسكندريه- عضواً ممثلاً لهذه المنظمة فى اللجنه المركزية. كذلك كان من المستحيل تنزيل عضو من أعضاء «ح.م» كى أحل محله، وكان من أكبر المستحيلات تنزيل عضو من أعضاء «**ايسكرا**».

كانت هذه هى **المخالفه التنظيمة الأولى**. وكانت المخالفه الثانيه هى أن يكون المسئول

(١) اللجنه المركزية للتنظيم هى أعلى مستوى له فى الفتره بين انعقاد المؤتمرين. والمكتب السياسى جزء من اللجنه المركزية يتولى مسئوليه قيادة التنظيم فى الفتره بين اجتماعى اللجنه المركزية.

السياسى وهو ليس عضوا فى اللجنه المركزيه مسئولاً عن مستوى لجنه المدينه وكل أعضائها من اللجنه المركزيه هذا فضلا عن أن المسئول السياسى لأى مستوى بدءاً من اللجنه المركزية حتى الخليه هو من تقع عليه مسئوليه اتخاذ قرار فردى فى أمر لا يحتمل التأجيل إذا تعذر إجتماع المستوى التنظيمى.

هذا القرار الغريب على مبادى التنظيم الحزبى، أستند الى إتفاقات الوحدة الاكثر غرابه. فإذا كانت اللجنه المركزيه مكونه من عدد متساو من الأعضاء لكل من التنظيمين المتحدين، يضاف إليهم عضو واحد من التنظيم الثالث الصغير، وإذا كانت القرارات فى أى مستوى حزبى تكون بالاجماع أو بالأغلبية، فمعنى هذا أن مصير كل القرارات والسياسات للتنظيم يمكن أن يحددها هذا العضو الواحد إذا انضم إلى هذا الجانب أو ذاك.

كان تفسير الزميل «**شوقى**» الذى قاله لى خلال الاجتماع الأول مع «**يونس**» تفسيراً أقنعنى تماماً.فمن الصعب إن لم يكن من المستحيل أن يكون للزميل «**يونس**»، رأيا يعترض عليه أحد من اللجنه المركزيه. هذا من ناحيه، ومن الناحيه الأخرى فإن الزميله «**أميرة**»[1] وهى من «**ايسكرا**» قد إنضمت قبل إتمام الوحده إلى «**ح.م**».دون علم منظمتها، واحتفظ الزميل يونس بهذا السر حتى تأكد من أنها- أى **أميره**- سوف ترشح من جانب «**إيسكرا**» لعضوية اللجنه المركزيه.!

بعد أن سمعت هذا التفسير الذى قدمه الزميل **شوقى** ولم يعترض عليه الزميل **يونس**.. اطمأنت نفسى وزالت مخاوفى على «**التيار الثورى**» الذى تجسده «**ح.م**» ويتزعمه **كورييل**.

بعد هذا التفسير لإتفاقيات الوحدة، ولقرار اسناد المسئوليه السياسيه للجنه مدينه القاهره الّى أخبرنى يونس بقرار أخر اتخذته اللجنه المركزيه باحترافى- أى تفرغى للعمل التنظيمى- والاستقاله من عملى بوزارة الحربيه.

ورغم أن المحترف الثورى[2] له مكانته الخاصه فى التنظيم الحزبى، والمحترفون هم الحلقه الضيقه التى تضم الحائزين على ثقه القيادة والتنظيم، وهم فى مقدمه المرشحين للجنه المركزيه، وتسند اليهم المهام الخطيرة التى لا يقوم بها أى عضو عادى.. فإننى قد رفضت بحسم إحترافى. وكانت الحجه التى سقتها ليونس هى أن رئيسى فى العمل- وهو عضو فى التنظيم- يسمح لى بألاّ أذهب إلى العمل غير يوم واحد فى الأسبوع. لكن هذه الحجه لم تكن

---

(١) الاسم التنظيمى لايه ستون. عضو اللجنه المركزيه فى «**ايسكرا**» ثم فى الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى.

(٢) هو من يختاره التنظيم كى يتفرغ للعمل الثورى، لكفاءته وقدراته الفكرية والسياسية والجماهيرية. ويقوم التنظيم بتوفير ظروف حياته المعيشيه والأمنيه. والمحترفون هم قلب التنظيم الشيوعى.

هى السبب الحقيقى. فإذا كنت أثق فى **كوربيل** وفى **«التيار الثورى»** الذى وهبت حياتى من أجله، كان من المنطقى أن أرحب بقرار احترافى الذى سيوفر، لى ضمانات إستمرارى فى العمل الثورى إذن، فلماذا رفضت هذا القرار وبكل هذا الحسم؟ واشتد الصراع داخلى، فإحساسى يرفض الاحتراف، وعقلى يرى أن تفرغى للعمل التنظيمى تدعيم لتيارنا الثورى.

وبعد دقائق لا حظت خلالها أن **كوربيل** لم يكن متوقعا رفضى للاحتراف، قال: دع الصراع داخلك يأخذ مداه ولا تتخذ قراراً الآن قد لا يريحك نفسيا. وأكدت له امتنانى لموقفه المرن منى، وأعلنت مجدداً ثقتى به وبقيادته وبتيارنا الثورى «ح.م».وطلبت منه أن يغفر لى عدم إرتياحى نفسيا للاحتراف، ووعدته بأننى سوف أعيد النظر فى قرارى. ورغم ان قرار اللجنه المركزيه يربط بين مسئوليتى السياسية للجنه مدينة القاهره وبين احترافى، كما قال **«شوقى»**، إلاَّ أن الزميل **«يونس»** قرر على مسئوليته بوصفه السكرتير العام للتنظيم تنفيذ القرار الأول الخاص بمسئوليتى وتأجيل تنفيذ القرار الثانى حتى اقتنع من خلال ممارستى للمسئوليه الجديدة بأنه من الضرورى أن احترف من أجل ضمان استمرار عملى الثورى.

وكانت مسئوليتى الجديده- على الرغم من أننى لست عضوا فى اللجنه المركزيه- ، من المسئوليات التى لا تسند إلاَّ لعضو **المكتب السياسى للجنه المركزيه**[1]، كما قال «شوقى».

وعرفت من خلال عرض «شوقى» بوصفه المسئول التنظيمى فى لجنه مدينه القاهره، أن هذه اللجنه هى القياده التنظيميه لأقسام: المثقفون، والطلبه، والنساء، والأجانب، والأحياء، وأن عدد أعضاء لجنه المدينة عشرة: خمسه لـ«ح.م» وخمسه **«لإيسكرا»**.ولكل قسم من هذه الاقسام لجنه قياديه. الأغلبيه فى جميع اللجان عدا قسم العمال من «ايسكرا». وهو قسم مستقل يتبع اللجنة المركزية مباشرة.

بعد ذلك انتقلت المناقشه ترد على سؤال من يونس: كيف نحافظ على تيارنا الثورى وندعمه بالعناصر المخلصه فى «ايسكرا»؟

ورغم حداثه عهدى بمثل هذه المناقشات فقد كان ردى جاهزاً: الأغلبية فى لجنه مدينة القاهره- بحكم مسئوليتى عنها- أصبحت للتيار الثورى «ح.م». وعن طريق هذه الأغلبية يمكن، ليس فقط الغاء أى قرارت للجان الأقسام، ولكن أيضا الاعتراض على أى قرارات للجنه المركزيه لا تتفق مع اتجاه «التيار الثورى»، فتعيد اللجنه المركزيه مناقشتها، وفى حاله

---

(١) المكتب السياسى هو المسئول عن قيادة التنظيم فى الفترة بين اجتماعى اللجنة المركزية.

اصرارها على قراراتها- لسبب أو لآخر- فإن لجنه المدينه تستطيع تفريغ هذه القرارات من مضمونها الذى لا يتفق مع التيار الثورى، أو تعطيلها.

وعلى الرغم من أننى كنت أدرك أن هذا الاسلوب فى العمل الحزبى أقرب إلى التآمر منه إلى السلوك الحزبى الصحيح، إلا أننى كنت مقتنعاً به من أجل المحافظه على «تيار ح.م الثورى»!! وكان من الطبيعى أيضا أن أحيى «**يونس**» حين سمعت منه إجابته على سؤالى: لماذا التنظيم[1] الفئوى؟ قال:أن قواعد إيسكرا فى أقسام المثقفين والأجانب، والنساء، والأحياء، والطلبه، يشكلون أغلبية كبيره فى التنظيم مما يشكل خطرا على عناصر ح.م الثوريه إذا تم توزيعهم «جغرافيا» ووفقاً لمجالات نشاطهم الجماهيرى، فى ذات الوقت فإن كوادر «ح.م» وأغلبهم من المحترفين الثوريين، قد اسندت إليهم مسئوليات الأقسام العماليه فى شبرا الخيمه والمحله الكبرى وكفر الدوار، ومناطق الاسكندريه، وبحرى، وقبلى، وفى هذه الاقسام والمناطق يطبق التنظيم **الهرمى أو الرأسى**[2]، فكثافه العضوية تقل كثيراً عن القاهره، فضلاً عن أن نسبه أعضاء «**ح.م**» تزيد كثيراً فى الاسكندريه وبحرى وقبلى عن عدد أعضاء «**ايسكرا**» وتتساوى معهم أو تقل قليلا فى المناطق العماليه. كذلك فإن «**ح.م**» تنفرد بالعمل داخل الجيش.

وباختصار كما قال الزميل «شوقى» أصبحت «**ايسكرا**» بأغلبيه أعضائها الكبيرة فى القاهره، محاصرة داخل «**التنظيم الفئوى**» واحتلت كوادر **ح.م** خاصه المحترفين مواقعها فى المناطق الهامه فى التنظيم.

هذا السلوك التآمرى كان عندى وعند أغلب كوادر «**ح.م**»، هو «الحلال» من أجل «التيار الثورى» الذى تعبر عنه «**ح.م**»، وهو «الحرام» بالنسبه للأخرين فى «**ايسكرا**» التى تشكل مع «ح.م» تنظيم «**الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى**»

وكان موقف **هنرى كورييل**- وأنا معه- ضد ما أطلق عليه «**تكتل سليمان**»[3] أول

---

(١) التنظيم الفئوى يقوم على أساس تقسيم أعضاء التنظيم حسب انتماءاتهم المهنيه- المثقفون- الطلبه العمال، أو انتماءاتهم الجنسيه- نساء- أجانب- وهو شكل غريب على التنظيم الشيوعى الذى يقوم على أساس جغرافى ووفقاً لمجال العمل الجماهيرى- وبالتالى فإن أى مستوى من مستويات التنظيم يمكن أن يضم المثقف والطالب والعامل والمرأة.

(٢) شكل التنظيم الشيوعى كما تقره مبادئ التنظيم هو الشكل الهرمى. له قمه وله قاعدة. قمته هى اللجنه المركزيه، وقاعدته هى الخلايا. وبين القمه وبين القاعدة عدد من المستويات مثل.. لجان المدن، لجان المسئولين. والاتصال بين المستويات الأعلى وبين المستويات الأدنى منها، هو الاتصال الرأسى .. أى أن يتصل مسئول واحد من المستوى الأعلى بكل المستوى الأدنى.

(٣) سليمان هو الاسم التنظيمى للشهيد شهدى عطيه الشافعى. أطلق هنرى كورييل على المجموعة التى وافقت على انتقادات سليمان له اسم «تكتل سليمان» وأطلقوا هم على أنفسهم اسم «تكتل الثورى».

تطبيق لهذا السلوك التآمرى- كما سيأتى ذكره بعد- من أجل المحافظه على تيارنا الثورى **«تيار ح.م»**.

بدأت ممارستى للمسئولية السياسية للجنة مدينة القاهرة قبل عودة الوفد الرسمى الذى عرض قضية مصر على مجلس الأمن برئاسه **النقراشى «باشا»** عام١٩٤٧، وكانت **«الجماهير»** الصحفية العلنية **«للحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى»** تهاجم **النقراشى**- رئيس الوزراء فى ذلك الحين- الذى وافق على مشروع صدقى- بيفن، وفضحت وزير الخارجيه **ممدوح رياض** الذى كتب بخط يده اقتراحاً قدمه مندوب كولومبيا إلى مجلس الأمن يوصى باستئناف المفاوضات ويضع شرطا بأن تقرر بريطانيا سحب قواتها من مصر مع عزل مسأله السودان عن المسألة المصرية. وأشادت صحيفة «الجماهير» بوقوف مندوبى سوريا، وبولندا، والاتحاد السوفيتى إلى جانب مطالب مصر الوطنية. لكن النقراشى إضطر إلى معارضته الاقتراح الكولومبى خوفاً من غضب الشعب إن هو وافق عليه.

ذهبت لحضور الاجتماع الأول للجنه مدينه القاهرة وفى ذهنى ملامح خطه تنظيم مظاهرة تهدف إلى إفشال المظاهرة التى دعت إليها الحكومه بالتعاون مع الاخوان المسلمين وشباب الاحرار الدستورين وجبهة مصر لاستقبال النقراشى كبطل عائد من مجلس الأمن وقف ضد الاقتراح الكولومبى.

وكان فى تقديرى أن نجاح هذه الخطه يعتمد على اختيار الشعارات الوطنيه التى تفضح محاوله الحكومه لاستئناف المفاوضات مع انجلترا، أولاً وثانيا على حسن استخدام قواتنا الذاتيه والقوى المتعاطفة معها.

وكان مكان الاجتماع فى حى الزمالك الذى لم تطرقه قدماى من قبل. وكانت اللجنه تضم **شهدى عطيه الشافعى وجمال غالى وعبد المعبود الجبيلى** الذين استمعت إلى محاضراتهم فى دار الابحاث العلميه[1] و**«ايميه ستون»** التى كنت أراها هناك و**كمال شعبان** وآخرين لا أتذكر اسماءهم.

كان الاحساس بالغربة قد بدأ يتسلل داخلى منذ وطئت قدماى حى الزمالك بحثا عن الشارع الذى يقع فيه مكان الاجتماع. وتضاعف هذا الاحساس خلال إنتظارى حضور الأعضاء الواحد بعد الأخر بعد أن استقبلنى أحد الخدم معتذرا عن عدم وجود صاحب المنزل الذى كان آخر من حضر. وحين اقترح «شوقى»- مسئول التنظيم- جدول الأعمال دون أن يتضمن ما تعودت عليه فى المستويات القاعدية، حيث كانت كل جلسه تبدأ بما يطلق عليه

---

(١) دار الابحاث العلميه كانت الوجه العلنى لتنظيم «ايسكرا» كما كانت لجنه نشر الثقافه الحديثه الوجه العلنى لتنظيم «الفجر الجديد» كما كان نادى أم درمان الوجه العلنى لتنظيم «الحركه المصريه للتحرر الوطنى» وقد أغلقت هذه الدور فى حمله اسماعيل صدقى المعروفه ضد الشيوعيه عام ١٩٤٦.

«الأمان»، أى الاتفاق على ما يقوله كل عضو أمام المحقق فى حاله القبض على المجتمعين. والنقطه الثانيه، هى محاسبة من يتأخر عن موعدة وتوقيع العقوبه عليه، كان الغضب قد حل محل الاحساس بالغربه.. وحين نبهت «مسئول التنظيم» إلى ذلك، اعتذر بأدب مصطنع ووضع هاتين النقطتين فى جدول الأعمال الذى كان يتضمن بعدهما، الترحيب بى، ومناقشه الوضع السياسى داخليا وخارجياً، ونشاط التنظيم فى القاهرة، وأضفت من ناحيتى خطه تنظيم المظاهرة.

كنت قبل بدء الجلسه أحس بأن الشهيد **شهدى عطيه الشافعى**- الذى رحب بى بالنيابة عن اعضاء اللجنه، أكثر الحاضرين قربا منى. وزاد هذا الاحساس بعد أن انتهى من كلمته وأعقبها باقتراح، وافق عليه الجميع بأن أعرض خطه تنظيم المظاهره التى أضفتها إلى جدول الأعمال، قبل النقاط الأخرى.

وكانت خطه تنظيم المظاهرة بعد مناقشتها تتخلص فى:

أولاً: عدم تواجد أعضاء التنظيم والجماهير المتعاطفه معهم داخل محطه مصر، أو خارجها فى ميدان باب الحديد، حيث تحتشد القوات المؤيدة للحكومه فضلا عن رجال البوليس فى هذين المكانين لاستقبال النقراشى عند وصوله بالقطار من الاسكندريه، متجها إلى عابدين.

ثانيا: توزيع قواتنا على امتداد شارع ابراهيم باشا- الجمهوريه- عند جمعيه الشبان المسيحيين، وحديقه الازبكيه، وفى ميدان الأوبرا، وعند جامع الكخيا، وفى ميدان عابدين.

ثالثا: أن تلتزم قواتنا بالوقوف على جانبى شارع ابراهيم باشا الذى سيكون خاليا تماماً كى يمر منه موكب **النقراشى**.

رابعا: ألا تبدأ الهتافات بالشعارات المحدده، كذا قذف المنشورات إلاَّ بعد خروج النقراشى من محطه مصر، ثم تحركه من باب الحديد حتى «الشبان المسيحيين».

خامساً: حصر عدد الأعضاء الذين سيكلفون بقيادة المظاهرة وتوزيعهم على الأماكن المذكورة «فى ثانيا» مع الجماهير المتعاطفه معهم، وتحديد مسئول واحد لكل مكان، ويكون على صله بالمسئول العام عن تنظيم المظاهرة بالطريقه التى يتفق عليها معهم.

سادساً: فى حاله ضمان اشتراك عدد مناسب من النساء فى هذه المظاهرات، فيجب حمايتهن بان تسرن وسط مجموعه من الشاب الذين تتشابك أيديهم وتحيط بالمظاهرة النسائية.

وبعد اقرار هذه الخطه، أسندت إلى مسئولية هذا اليوم، وتقرر عقد إجتماعات عاجلة لجميع الأقسام، وتكليفى بحضورها لمناقشه هذه الخطه والاعداد للمظاهرة.

لقد كانت هذه المظاهرة، إلى جانب أنها أفشلت المظاهرة الحكومية، احدى أكبر المظاهرات التى شهدتها القاهرة خلال تلك الفترة.

رياح الانقسام فى الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى

بعد أن شهد صيف عام١٩٤٧ إنتفاضه الشعب التى لعبت فيها **«الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى»** دوراً بارزاً على رأس الجماهير الشعبية ضد الحكومة وضد الاستعمار عند عرض قضية مصر على مجلس الأمن، انحرف الكفاح الشعبى وبسرعة إلى ما يجرى بالجمعية العامة للأمم المتحدة منذ بدأت مناقشه قضيه فلسطين فى ١٧ سبتمبر عام١٩٤٧. ومنذ ذلك الحين بدأ انحسار نشاط الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى وتحول بسرعة فائقه إلى صراع مرير داخلها حول خط **«القوات الوطنيه والديمقراطية»**[1]- المعروف بخط يونس- وإلى صراع مع مجموعة **«الفجر الجديد»** حول الموقف من قضية فلسطين. وهى قضية سأعود إليها.

وشهدت الفترة التى بدأت بعرض قضية مصر على مجلس الأمن فى**١٧ سبتمبر حتى أواخر نوفمبر عام١٩٤٧**. صدور تقرر كتبه كوريبل يحمل اسم «خط القوات الوطنية والديمقراطيه»، والغاء شكل التنظيم الفنوى واقامه التنظيم **الأفقى**[2]، وتكوين **لجنه «الرقابه المركزيه»**[3] ، وظهور **«التكتل الثورى»** الذى **تبنى تقرير شهدى عطيه الشافعى** فى مواجهة **خط القوات الوطنيه والديمقراطيه**.

وعلى الرغم من أن انحسار نشاط **«حدتو»** وانعزالها التام عن الجماهير كان بسبب موقفها من قضيه فلسطين، فإن كلا التقريرين لم يشيرا إلى هذه الحقيقة المؤسفه. فقد كان موقفها وموقف التنظيم كله مستمداً من مقوله «نظريه» **«بالحق القومى لليهود فى تكوين دولتهم على أرض فلسطين»**، والتى صاغها **كوريبل** فى محاضرة كانت تدرس للخلايا.

---

(١) جوهر هذا الخط الذى كتبه هنرى كوريبل- يونس- هو عدم التميز بين ثوريه الطبقة العامله وبين ثورته ووطنية فئات البورجوازية القوميه المختلفة من حيث البرنامج والنظرية والمواقف العمليه. فالطبقة العامله عند الماركسيه طبقه ثوريه حتى النهاية، ومصالحها تتطابق مع استمرار المعركه الوطنية ضد الاستعمار. وبينما تقف ثوريه الفئات الوطنية والديمقراطيه عند تحقيق الاستقلال الوطنى والتحرر الاقتصادى، فإن الطبقة العامله تظل ثورية حتى تحقيق الاشتراكيه، وخلافا لما تقول به الماركسيه بأن الحزب الشيوعى هو حزب الطبقة العامله والمعبر عن مصالحها، فان خط القوات الوطنيه والديمقراطيه يعتبر الحزب هو حزب جميع القوى الوطنية والديمقراطية.

(٢) مثله مثل التنظيم الفنوى.. غريب على التنظيم الشيوعى. والتنظيم الأفقى يقوم على أساس اتصال عدد من أعضاء المستويات العليا بعدد مماثل من أعضاء المستويات الدنيا. فالمسئول السياسى، والدعائى، والتنظيمى فى المستويات العليا، يقوم كل منهم بالاتصال بنظيره فى المستويات الدنيا. ومثل هذا الشكل من الاتصال، ينتهك مبد أ سرية التنظيم ويحوله إلى العلنيه، كما أنه يخل بوحدة الفكر والعمل.

وكان من الغريب أن يسبق تقرير **خط القوات الوطنيه والديموقراطيه**، تكوين« **لجنه الرقابه المركزيه**» وهى «**جهاز مخابرات**».. قيادته العليا تختار «جهازها» المكون من الاعضاء الذين تختارهم من جميع المستويات التنظيميه- من اللجنه المركزية حتى الخليه- بعيدا عنها وبغير علمها. ودور هؤلاء الأعضاء هو مراقبه زملائهم فى المستويات المختلفه وتسجيل ملاحظاتهم عنهم فى تقارير يرسلونها إلى القيادة العليا التى من حقها استدعاء أى عضو فى التنظيم للتحقيق معه فيما ينسب إليه فى هذه التقارير السرية.، وبغير علم المستوى الذى ينتظم فيه هذا العضو .وتلك «**لجنه الرقابه المركزيه**» أرشيفا يضم كل المعلومات الخاصه والعامه عن كل عضو فى التنظيم وفى كل المستويات. الاسم بالكامل والاسم «الحركى» ومحل الاقامه، والسن، والديانه، والوظيفة وحالته الاجتماعيه، ونشاطه النقابى، ونشاطه السياسى السابق على انضمامه للتنظيم وتاريخ إنضمامه واسم من قام بتجنيده للتنظيم.!!

واليوم.. إذا كنت أعترف بأنه لمَ يكن لى أى اعتراض على موقف **الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى**، النظرى والسياسى من قضية تقسيم فلسطين، ولم أقدر خطورة «**التنظيم الفئوى» ولجنه الرقابه المركزيه**».. وكلاهما غريب على مبادئ التنظيم فى كل الاحزاب الشيوعية، بل وكنت عضوا فى قيادة لجنه «**الرقابه المركزية**»، وقمت بالتحقيق مع عدد العناصر المخلصه.. كما لم يكن لى ملاحظه واحدة على «**خط القوات الوطنيه والديمقراطيه**» فإن من حقى اليوم أن أضع اكثر من علاقة استفهام حول دور **هنرى كورييل** فى كل ذلك.. ومن حقى أيضا أن أطرح أمام الباحثين والمؤرخين عدداً من الاسئلة اتمنى أن يجدوا اجابات لها.. هى:

* هل كان موقف **هنرى كورييل** النظرى والسياسى على رأس **الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى** مجرد خطأ نظرى ترتب عليه موقف سياسى خاطئ؟

* هل كان مصادفة أن يصدر **كورييل** تقريره المعروف **بخط القوات الوطنية والديمقراطيه** فى ظروف انحسار نشاط «**حدتو**» بسبب موقفها من قضيه فلسطين؟

* هل كان **هنرى كورييل** يجهل خطورة التنظيم «**الفئوى**» ومن بعده التنظيم «**الأفقى**»، وهو الذى تدل تجربته فى **الحركه المصريه للتحرر الوطنى** على فهمه للمبادئ التنظيميه حيث كان **الشكل الرأسى** فى التنظيم، وهو ما تقره المبادئ التنظيميه فى الأحزاب الشيوعيه؟

* من المعروف أن الرقابة داخل التنظيمات الشيوعيه هى رقابه سياسية وتنظيمية تتم من خلال المحاسبة داخل المستويات التنظيمية، ومن متابعه المستويات الأعلى للمستويات

الأدنى. وهذا الاسلوب الصحيح هو ما كانت تطبقه **الحركه المصرية للتحرر الوطنى** بزعامه **هنرى كورييل**، فلماذا لجأ إلى تكوين «**لجنه الرقابه المركزيه** التى كان دورها أقرب إلى الرقابه البوليسية؟

وهكذا سارت الأحداث بسرعة.

فبينما كان كل أعضاء التنظيم فى كل المستويات مشغولين فى الانقسامات والتكتلات والصراعات التنظيمية التى وصلت إلى حد الاشتباكات بالأيدى، كان قرار هيئه الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين قد صدر. وكان الاخوان المسلمون، والشبان المسلمون، ومصر الفتاه قد سيطروا على الحركه الجماهيرية.. يعبئون الجماهير ضد قرار التقسيم، وينظمون كتائب الفدائين.

وعلى الرغم من أننى كنت مقتنعا بالدور الذى أسند إلى بعد أن أصبحت عضواً بلجنه الرقابه المركزية، وهو حضور الاجتماعات الموسعه التى كانت قيادة «تكتل سليمان» تدعو إليها لشرح «**تقرير سليمان**»[1] وكشف قياده «**حدتو**» وخط «**يونس**» المعادى للطبقة العاملة و«المصفى» لحزبها.. الحزب الشيوعى. الأ أن أول علامة استفهام ثارت داخلى حين التقيت بهنرى كورييل بعد حضورى لعدد من الاجتماعات التى شرح فيها الشهيد شهدى عطيه وجهة نظرة.وهى:

* أن الوحده بين «**الحركه المصريه للتحرر الوطنى**» و«**ايسكرا**» لم تكن مبدئية.

* عدم وجود برنامج ولا تنظيم ولا تكتيك ولا لاتجه للتنظيم.

* اختفاء القدرة القيادية وتقاليد العمل الحزبى والصراع الداخلى.

* النمو غير المتسق للأقسام المختلفة. ففى الوقت الذى كان فيه قسم الأجانب يضم أعداداً كبيرة حزب القوات الوطنية والديموقراطيه كما يقول هنرى كورييل وأقسام الطلبة والمثقفين تتضخم، كان قسم العمال يعانى من قله المنضمين إليه (انخفض عدد الأعضاء فى شبرا الخيمه من ١٢٠ عضوا إلى ٢٠ فقط)

* أن التنظيم الفئوى تسبب في إضعاف دور العمال فى صفوف الحركه، وهو تجسيد لفكرة **يونس** فى خط القوات الوطنية والديمقراطيه عن أن الحزب للقوات الوطنيه والديمقراطيه.

كان السؤال الذى يلّح علىّ وسألته **لهنرى كورييل** هو: **لماذا الاصرار على عدم**

---

(١) هو التقرير الذى كتبه «سليمان» أى شهدى عطيه الشافعى ينقد فيه «خط يونس» أى «خط القوات والوطنيه الديمقراطيه. وكان يؤكد بشكل أساسى على التمييز بين ثوريه الطبقة العاملة وبين ثورية القوى الوطنيه والديمقراطيه الاخرى، وعلى أن الحزب هو حزب الطبقة العاملة وليس حزب القوات الوطنيه والديمقراطية كما يقول هنرى كورييل.

مناقشه «تقرير سليمان» فى اللجنه المركزية؟

وكانت إجابته أنه لا يقبل أن «يلوى» أحد ذراعه وأن «سليمان» ومن معه بورجوازيون صغار دب الرعب فى أوصالهم مع بروز إحتمالات فترة الإرهاب مع نشوب حرب فلسطين. ففضلوا الهرب تحت شعارات براقه تدعى الثوريه!

ما رفضته من إجابة **هنرى كورييل** .. هو إتهام شهدى **عطيه الشافعى** ومجموعته بالهروب من الإرهاب المحتمل مع نشوب حرب فلسطين وقد واجهته، بهذا الرفض. وحين جاء رده بأننى متأثر بأفكار «**التكتل الثورى**» أحسست بالقلق داخلى.

ويبدو أن هذا القلق كان مصدره الخوف من إتهامى بالجبن إذاتهاونت فى القتال ضد «**التكتل الثورى**»، فتضاعفت جهودى وتنوعت أسلحه القتال التى أقترحت بعض أشكالها.

وفى اجتماع «**كوكو**»[1]- لجنه الرقايه المركزيه- وبعد إطلاعها على بعض التقارير التى وصلت إليها عن بعض الاعضاء «المنقسمين» اللذين يرفضون تسليم الأجهزة الفنيه أو المكتبات التى فى حوزتهم، وافقت على قرار يقضى بتكوين مجموعه من «**اليونسيين**»[2]الأشداء المجهزين بالعصى والهراوات والقبضات الحديدية للهجوم على منازل هؤلاء «المخربين» والاستيلاء بالقوة على ما فى حوزتهم من ممتلكات التنظيم. وبحماس كبير أشتركت فى تنفيذ كل الهجمات على بيوت بعض «المنقسمين» فى بعض أحياء القاهرة، وبعضها استخدم فيها العنف، ليس فقط مع هؤلاء المنقسمين، ولكن مع أسرهم!

وعلى الرغم من أننى كنت فى أعماقى أستنكر هذا الاسلوب الهمجى، إلاّ اننى كنت مقتنعا بأن الغايه تبرر الوسيله.وكانت غايتى الحفاظ على «ح.م» **التيار الثورى**.

وكان من المستحيل أن أكون استثناءاً من هذه القاعدة التى يؤمن بها أعضاء الحلقه الضيقه من «**اليونسيين**»، أقطاب «ح.م» **التيار الثورى** الذين كان من بينهم من أثق فيهم.. مثل المرحوم **خليل قاسم** و«**مصطفى**» اللذين كانا مسئولين عنى فى الفترة السابقه.. ومثل «**بدر**»[3]، و«**فاروق**»[4] اللذين التقيت بهما واقتربت منهما، وبهرنى نشاطهما داخل الجيش، فقد كانا من ضباط الصف.

وخلال بعض التحقيقات التى أجريتها بالإشتراك مع «**أرمان بريسى**»[5]أحيانا، ومع «**إيمه ستون**» أحيانا أخرى، تبادلت الشتائم والاشتباك بالأيدى مع بعض الذين حققت معهم. وكنت

---

(١) كوكو : ترمز للحروف الأولى من اسم اللجنه بالفرنسيه.

(٢) المقصود بهم أنصار يونس أى هنرى كورييل.

(٣) الاسم التنظيمى لسيد سليمان رفاعى- وكان صف ضابط بسلاح الطيران الملكى.

(٤) الاسم التنظيمى لفؤاد حبشى- وكان أيضا صف ضابط فى سلاح الطيران الملكى.

(٥) كان عضو اللجنه المركزية فى ايسكرا، ومسئول الرقابه المركزيه فى الحركه الديمقراطيه للتحرر الوطنى.

أحظى بتقدير لجنه الرقابه المركزيه التى كان كل أعضائها من الأجانب وكنت أنا المصرى الوحيد بينهم.

■ ■ ■

ورغم كل هذا الحماس للتيار الثورى «ح.م» فإن كوربيل لم ينس تحفظاتى التى أشرت إليها سابقا، وتحت دعوى المساهمة فى تنشيط الجهود بين العمال نقلنى كوربيل مسئولاً للدعاية فى لجنة المطرية والزيتون . ولم أتوقف كثيراً آنداك لتأمل هذه الخطوة التى أبعدتنى عن المسئولية السياسية للجنة مدينة القاهرة، فقد كنت مقتنعابالمبرر الذى قدمه كوربيل .

اليونسيون والعادليون

بعد فصل **«سليمان» المرحوم شهدى عطيه الشافعى** ومجموعته الذين أقاموا تنظيم **«التكتل الثورى»** انقسمت اللجنه المركزية إلى تيارين متمايزين.. تيار **«ح.م»** وتيار**«ايسكرا»**، وبينما إحتفظ **«يونس»** بزعامته للتيار الأول- حل **«عادل»**[1] محل **«شندى»- هليل شوارتز**- الزعيم السابق **«لايسكرا»**.

وعاد التنظيم إلى معسكرين منفصلين. الأول كسب **«أميره»**- ايمى ستون- والثانى كسب- **«حميدو»**[2]- وهما من اللجنه المركزية.

وبينما كان الصراع بين «اليونسيين» و«العادلين» يمتد ليشمل كل المستويات الدنيا، ظهرت **«صوت المعارضه»** بقيادة السيدة **«أوديت»** تعلن رفضها «لليونسيه» و«العادليه» معا، وتتهم «التكتل الثورى» بالبوليسية، وكانت لاتعتبر نفسها تنظيما مستقلاً، وإنما هى **«منبر»** داخل التنظيم، وأصدرت نشرة داخلية هدفها الضغط على القيادة لإجبارها على عقد المؤتمر. وكان خطها السياسى ينادى بقصر النشاط بين العمال.

وفى الوقت ذاته ظهرت **«نحو منطقة بلشفية»-«ن.م.ب»** التى انقسمت على **حدتو** وكانت تنادى بحق القاعدة فى النقاش حول الخلاف الموجود فى القيادة، وحق كل المنابر والتكتلات فى أن تعرض وجهة نظرها على القواعد فى مجله سرية.

وبعد حوالى سته أشهر- منذ **«تكتل سليمان**- وفى النصف **الثانى من مايو عام ١٩٤٨**- كانت المعتقلات قد فتحت أبوابها على مصراعيها لتستقبل أفواج الشيوعيين الذين مزقتهم الانقسامات والتكتلات والمنابر.

وكما ذكرت كنت خلال تلك الفترة أتولى مسئوليه الدعاية فى لجنه منطقه المطرية والزيتون. وعلى الرغم من أن وضعى التنظيمى فى هذه اللجنه كان أقل بكثير من وضعى السابق، فإن ذلك لم يكن له أدنى تأثير على نشاطى، وعلى الرغم من أن صلتى **باللجنه المركزيه** - وفقاً للتنظيم الأفقى كانت تقتصر على مقابله **«عادل»- عبد المعبود الجبيلى** - مسئول الدعايه المركزى - فإن مقابلاتى **ليونس** المسئول السياسى المركزى لم تتوقف. فقد كنت أحضر معه خلال مقابلته للمسئول السياسى فى اللجنه إلى جانب اللقاءات الخاصه بى.

---

(١) الاسم التنظيمى للمرحوم الدكتور عبد المعبود الجبيلى وزير البحث العلمى الاسبق وكان عضوا فى اللجنه المركزيه لايسكرا. كون تنظيما بعد فصله باسم «العمالية الثورية».

(٢) الاسم التنظيمى لمحمد شطا وكان عضوا اللجنه المركزيه للحركه المصريه ثم حدتو ثم الحزب الشيوعى المصرى الموحد ثم «المتحد» ثم «المصرى-٨ يناير».

فى الاجتماع الأول للجنه المنطقة، كان أهم ما نوقش هو الوضع التنظيمى فى هذه المنطقة العماليه التى انخفض فيها عدد أعضاء التنظيم إلى اكثر من ٨٠٪ منذ منتصف يونيو عام١٩٤٧ حتى أواخر نوفمبر من نفس العام. لم يكن أعضاء اللجنه- وهم من العمال- يملكون تفسيراً لهذه الظاهره. وكان «يونس» يرى أنها ظاهرة طبيعيه فى ظل سياسه الإرهاب البوليسى« وحملة الاعتقالات خاصه بين العمال. وكان رايى الذى وافق عليه كل أعضاء اللجنه والذى أغضب «يونس» يتلخص فى أن موقف التنظيم من القضيه الفلسطينية- بصرف النظر عن خطئه أو صوابه-وفى ظل الانقسامات والتكتلات، هو ما يفسر ظاهرة تقلص عدد العمال الأعضاء فى التنظيم إلى هذا الحد الخطير،خاصه وأن عدد الأعضاء المقبوض عليهم، يقل بكثير عن عدد الذين هجروا التنظيم بسبب موقفه السياسى من قضية فلسطين.

وللمرة الأولى فى تاريخ علاقتى **بهنرى كورييل** أراه يشن علّى هجوما شديداً، ويوجه إلّى تهمه العداء للأمميه ويحذرنى من الإنزلاق إلى معاداة الشيوعيه الذى يبدأ بمعارضه الاتحاد السوفيتى.

وعلى الرغم من أن رأيى لم يتضمن أى مساس بموقف الاتحاد السوفيتى وموافقته على قرار تقسيم فلسطين، وإنما كان رصداً لظاهرة تقلص عدد العمال الأعضاء فى التنظيم بعد هذا الموقف الذى تبناه الشيوعيون، إلا أن خوفى من الانزلاق إلى معاداة الأممية والشيوعية شل تفكيرى تماماً. وعجز لسانى عن النطق بكلمه واحدة تدافع عن رأيى الذى لم يهتز أمام هذا الهجوم المفاجئ من **هنرى كورييل** ..

لكن الحياة عادت إلى فكرى المشلول ولسانى العاجز حين صحت بغضب أرفض قراراً أصدره **كورييل** باحترافى كى اتفرغ لتوعية الاعضاء بسياسه التنظيم بشكل عام، وموقفه النظرى والسياسى من قضية فلسطين بشكل خاص.

وكانت انتقادات **«التكتل الثورى»** لأسلوب اختيار المحترفين ومعاملتهم، إلى جانب ماسمعته من «بدر»- **سيد سليمان رفاعى**- من أنه فصل من اللجنه المركزيه وخفض راتبه، لأنه تجرأ يوماً على «يونس» وناقشه، دليلاً على صدق احساسى يوم رفضت قرار إحترافى، حتى لو انتهى الأمر بالغاء قرار اسناد المسئوليه السياسية للجنة مدينة القاهرة، كما سبق أن ذكرت قبل ذلك.

وكانت هذه الصيحة الغاضبه هذه المرّه بدايه تمردى على اسلوب **هنرى كورييل** ولكن ليس على سياسته أو على **«التيار الثورى»** الذى تمثله «ح.م».

ولم يكن غريبا أن يقابل «يونس» رفضى للاحتراف وللمرة الثانيه، بابتسامه، فقط ودون أى تعليق. فقد كان يدرك أن إصراره على احترافى لن ينفع معى، بل ويمكن أن يؤدى إلى أن أترك التنظيم.

خط الطبقة العامله والجماهير الكادحه

« خط شكرى »

كانت صلتى وصله لجنه منطقه المطريه والزيتون، قد انقطعت بكل من «**يونس**» و«**عادل**». الأول بسبب القبض عليه، والثانى لإنشغاله فى الصراع ضد «**اليونسيين**» فى اللجنه المركزيه.

وجدت نفسى أقوم بقيادة المنطقه دون أى إتصال بقيادة التنظيم. وخلال شهرين تقريبا اكتسبت خبره جديدة فى العمل وسط العمال، وتوجية النشاط العمالى والنقابى فى ظل ظروف الإرهاب. فى نفس الوقت أصدرت نشره داخليه وكنت أقوم بتحريرها وتدريب عدد من العمال على الكتابة السياسية فيها كذلك أصدرت مجله جماهيرية تناقش مشاكل العمال وتنشر خطابات وأسئله العمال غير الأعضاء فى التنظيم، وتقوم المجله بنشر الخطابات والرد على الأسئله المثارة. كذلك ألغيت التنظيم الافقى وحل محله التنظيم الرأسى وهو ما يتفق مع المبادئ التنظيمية المألوفة. وذات يوم إتصل بى «**سالم**»[1] وأبلغنى بقرار تصعيدى إلى اللجنه المركزية .. وعرفت من «**سالم**»، أن اللجنه المركزيه كانت تضم خمسه من «**اليونسيين**» وأربعة من «العادليين» وأن الاتفاق كان قد تم بين الفريقين على أنه فى حاله القبض على «**يونسى**» يحل محله «**يونسى**»آخر، ونفس الأمر ينسحب على «**العادلين**»، وكنت أنا «اليونسى» الذى وقع عليه الأختيار بعد القبض على «**يونس**»!

وفى الاجتماع الأول الذى حضرته للجنه المركزية التى كانت تضم «**عبد المعبود الجبيلى، ومحمد شطا**، وأخرين لا أذكر أسميهما» والأربعه يمثلون تيار «**العادليين**»، و«**فؤاد عبد الحليم، وحمدى عبد الجواد، ومحمد يوسف الجندى، وأنا**،و عامل لا اذكر اسمه والخمسه يمثلون تيار «**اليونسيين**»، وافق العادليون على أن تسند إلى المسئوليه التنظميه، ولم يكن أمامهم غير ذلك، فالمطبعه كان مسئولها «**يونسي**» ومن يملك خزانة التنظيم «**يونسى**» وهو على هامش التنظيم ولا يعرفه غير «اليونسيين»!

وناقشت اللجنه فكرة عقد مؤتمر عام ، وثار النقاش هل يكون بالانتخاب أو التعيين. كنا «**اليونسين**» نرى أن يعقد المؤتمر من لجان المناطق، وكان «**العادليون**» يطالبون بانتخابات مباشره من القواعد.

وانتهى الاجتماع الأول بالموافقة على مشروع للمحافظة على الوحدة يتضمن: أن الخلافات

---

(١) *الاسم التنظيمى لفؤاد عبد الحليم وكان عضو اللجنه المركزية وأحد اليونسيين البارزين فى ذلك الحين.*

تحتاج إلى مناقشه، وأن العمل اليومى هو الأساس وليس الخلافات الايديولوجية، ووقف تعديل المستويات التنظيمية محافظة على أغلبية كل مستوى، وإدانه الانقسام بكل صوره.

وبعد شهر مارس فيه الطرفان كل الاساليب غير المبدأيه إنعقد الاجتماع الثانى وتغيب عنه أثنان من «**العادليين**».وطلب «**العادليان**» الآخران تأجيل الاجتماع. وأصر «**اليونسيون**» على عقد الاجتماع. وبعدتبادل الشتائم بين الفريقين، والاشتباك بالأيدى، انسحب «**العادليان**» وقرر «**اليونسيون**» بالاجماع عقد الاجتماع باعتبارهم يشكلون الأغلبيه. وتقرر فى هذا الاجتماع توجيه إنذار بالفصل إلى «**العادليين**» إذا لم يحضروا الاجتماع الذى حدد بعد اسبوع.كما تقرر إصدار بيان عن انسحاب العادليين من إجتماع **اللجنه المركزية**، وما يعنيه هذا الانسحاب من خروج على مبادئ التنظيم بعدم خضوع الاقليه للأغلبية. وقد قمت بكتابه هذا البيان وكان يحمل عنوان «**الانسحاب يعنى التكتل**».

وبعد مضى أسبوع عقد الخمسه «**اليونسيون**» اجتماعاً اعتبروه شرعيا رغم عدم حضور «**العادليين**»، باعتبار أنهم يمثلون الأغلبية. واصدر الاجتماع بيانا يتضمن القرارات التى اتخذها، وهى فصل الأربعه من اللجنه المركزية، وعقد المؤتمر فى خلال شهرين، والغاء التنظيم الأفقى، والعودة إلى التنظيم الرأسى الذى كان مطبقاً فى «**ح.م**» قبل الوحدة مع «**ايسكرا**»، واحتراف عدد من أعضاء لجان المناطق.

وكانت القرارات التى اتخذت ولم يتضمنها البيان هى: اعادة مناقشه خط «**القوات الوطنيه والديمقراطيه**» المعروف **بخط يونس**، وتكليفى بصياغه خط جديد يطرح أمام المؤتمر. وقرار أخر بتوزيع المسئوليات على أعضاء اللجنه المركزيه الخمسه، وكانت مسئوليتى **هى منطقه القاهره**، والاتصال **بيونس** فى المعتقل، والاشراف على الأجهزة الفنية . ووزعت المناطق الأخرى الاسكندريه وبحرى، وقبلى وشبرا الخيمه على الأخرين.

بد أنا العمل نحن «**اليونسيون**» الخمسه بعد أن تخلصنا من «**العادليين**» يوحد بيننا الاتفاق التام على أننا الورثه الحقيقيون للتيار الثورى «**ح.م**». وعلى أنه مع عدم التقليل من الدور التاريخى **لهنرى كورييل** فى وجود هذا «**التيار الثورى**» إلا أنه قد مارس اسلوباً لا مبدئيا خلال إتصالاته من أجل وحدة «**ح.م**» و«**ايسكرا**» وأنه لم يعالج الانقسامات على «**حدتو**» بروح المحافظه على الوحده. وعلى إدانه التنظيم الفنوى والتنظيم الافقى الغريبان على التنظيم اللينينى. وكذا ادانه «**لجنه الرقابه المركزيه**» وما أدت اليه رقابتها «**البولسيه**» فى ظل التنظيم الأفقى إلى مزيد من التمزق والانقسامات والصراعات غير المبدايه.

وبحماس كبير اندفعنا فى العمل التنظيمى والجماهيرى واستطعنا كسب بعض كوادر

التنظيمات الأخرى المنقسمه على «**حدتو**» وتجنيد أعضاء جدد فى مختلف المناطق. وكان إصرارنا على عقد المؤتمر واتخاذ الخطوات العمليه، مثل عقد «**كونفرس**»[1] لكل منطقه لانتخاب مندوبيها الى المؤتمر، والشروع فى اعداد الخط السياسى، ودعوة كل أعضاء التنظيم إلى مناقشه الأوضاع السابقة منذ قيام **الحركه الديموقراطيه** وارسالها من خلال مستوياتهم التنظيمية إلى **اللجنه المركزية**.

وخلال هذه الفترة ناقشت **اللجنه المركزية** التقرير الذى أعددته والذى كان يحمل عنوان «**خط الطبقة العاملة والجماهير الكادحة**» والذى عرف بخط «**شكرى**» - وهو الاسم الحركى لى، ووافقت عليه بالاجماع، وقررت توزيعه على أعضاء المؤتمر قبل انعقاده فى موعده المحدد.

وكان هذا الخط السياسى- **خط شكرى**- لا يختلف فى جوهره عن «**خط يونس**». كان الخلاف الأساسى بينهما، هو أن «خط يونس» لم يركز على قيادة الطبقة العامله عن طريق حزبها الشيوعى. وكان الحزب عند يونس هو حزب «**القوات الوطنية والديموقراطيه**»، بينما كان الحزب عند **شكرى**، هو «**حزب الطبقة العامله والجماهير الكادحه**»، وأضاف **شكرى** فكرة «**الجبهة الشعبيه**» متأثراً بكتابات **ديمتروف** عن الجبهة المعادية للفاشيه فى بلغاريا.

وفى النصف الثانى من عام١٩٤٨، وفى ظل ظروف الإرهاب ومطاردة البوليس للشيوعيين، عقد أول مؤتمر لبقايا التنظيم، وأصدر عدداً من القرارات.. أهمها: الموافقه بالاجماع على خط «**الطبقة العامله والجماهير الكادحه**»، وهو الخط الذى كتبته بعد اعتقال **هنرى كورييل**. وتأييد اللجنه المركزية فى موقفها من فصل «**العادليين**». وأجمع المؤتمر على إعادة انتخاب اللجنه المركزية وانتخاب سته أخرين ليكون عدد أعضاء اللجنه المركزية الجديدة١١ عضوا.

وفى أول إجتماع للجنه المركزية المنتخبة من المؤتمر، تقرر بالاجماع تكوين «**سكرتارية مركزية**»[2]من **فؤاد عبد الحليم وحمدى عبد الجواد وأنا**. وتقرر إسناد المسئوليه السياسية للتنظيم إلىّ، كذا مسئولية الإتصال بالمعتقل، ومسئوليه الاشراف على الأجهزة الفنية إلى جانب مسئوليه لجنه مدينة القاهرة.كما تقرر الاهتمام بالريف، فتولى **حمدى عبد الجواد** مسئوليه وجه قبلى، **وتولى فؤاد عبد الحليم** مسئوليه وجه بحرى.

ومنذ توليت المسئوليه السياسية للحركه **الديموقرطيه للتحرر الوطنى**، كانت القضية

(١) المقصود هو مؤتمر مصغر يضم بعض الكوادر وهو يختلف عن مؤتمر الحزب العام.

(٢) هى القيادة اليوميه للتنظيم وتتكون من السكرتير السياسى والسكرتير التنظيمى والسكرتيرالدعائى.

الأساسيه التى تشغلنى هى انفضاض الجماهير من حول الشيوعيين بعد أن كانوا طليعه وقوة مؤثرة خلال المد الوطنى فى أعوام ٤٥ . ٤٦ . ٤٧ .

وعلى الرغم من إدراكى بأن عزلة الشيوعيين عن الجماهير، تعود فى الأساس إلى موقفهم من قرار تقسيم فلسطين، فإننى لم أفكر فى اعادة النظر فى هذا الموقف «الأممى» الذى لا يقبل المناقشه. فالخروج على الأممية خلال تلك الفترة، كان يوصف بالانحراف، وقد يصل إلى الخيانة!

وكان فى تصورى أن الوحدة غير المبدأيه التى تمت بين «ايسكرا» الانتهازيه، و«ح.م» الثورية هى أصل البلاء. وأن هنرى كورييل الذى جر «ح.م» إلى هذه الوحدة غير المبدأيه هو المسئول عما آلت إليه «الحركه الديموقرطيه للتحرر الوطنى» من تفتت وتشرذم.

ويبدو أن حماسى لقرار فصل «العادليين»- أى مجموعة عبد المعبود الجبيلى المعارضه التى شكلت بعد ذلك تنظيم «العماليه الثوريه»- كان دافعه هو اقتناعى بأنهم يشلون حركه التنظيم، وأن التخلص منهم سوف يعيد للتنظيم كيانه الموحد الفكر والإرادة، والقادر على قيادة الجماهير. كذلك كان استخفافى بالتنظيمات التى خرجت من «حدتو» مبعثه أن التنظيم بقيادته الجديدة، وثقه كل التنظيم بها، وخطه السياسى الجديد الذى وافق عليه المؤتمر بالاجماع، هو «التيار الثورى» الذى تعبر عنه «الحركه المصرية للتحرر الوطنى».. هذا التنظيم بقيادته الجديدة قادر على سحق جميع التنظيمات الأخرى الانتهازية.

وكان تصورى أن المنشورات التى لا تتوقف فى كافه المناطق، والتى لاتقتصر على المناسبات، والتى تتناول مشاكل الجماهير فى المصنع، والكليه، والقرية، والمدنية، إلى جانب الصحيفة المركزيه التى تتناول القضايا السياسية العامة، والصحف المحليه التى تركز على القضايا الاقتصادية والاجتماعية.. هى إلى جانب النشاط داخل النقابات العماليه والمهنيه والمصانع الجامعات، أدوات لتنظيم قيادة الجماهير.

لكن مضى ما يقرب من العام، ولايزال التنظيم يعانى من عزلته عن الجماهير- فيما عدا بعض المعارك الجماهيرية الصغيرة هنا أو هناك- رغم وحدة الفكر والإرادة التى كانت تزدادمع مرور الأيام صلابة، ورغم الثقه المتبادلة بين أعضاء القيادة الجديدة، وبينها وبين جميع المستويات التنظيمية، ورغم أن التنظيم أعاد إلى صفوفه عدداً من كوادر «حدتو» التى خرجت منها.

وبدأ السؤال: أين الخلل؟ يطاردنى، ولا أجدله إجابة مقنعة عند الكوادر التى طرحت عليهم هذا السؤال.

كانت الإجابات التى سمعتها تلقى اللوم على الجماهير، فهى إما مضللة بشعارات زائفه، أو هى تخشى من بطش الارهاب. ولا كلمه واحده عن إحتمال خطأ فى سياسه التنظيم. وفكرت فى البحث عن إجابة تقنعنى عند أعضاء الخلايا والمرشحين للعضوية. وخلال أحد الاجتماعات الكثيرة التى حضرتها اكتشفت أين يكمن الخلل.

كان قد سبق حضورى لهذا الاجتماع توزيع منشور على نطاق واسع فى منطقة شبرا الخيمة. وفوجئت خلال الاجتماع أن هذا المنشور الذى قام أعضاء الخليه بتوزيعه.. لم يقرأه البعض، والبعض الذى قرأه لم يهتم بمعرفه تأثيره على العمال. أكثر من ذلك أن أعضاء الخليه المنتشرين فى عدد من المصانع، لا يعرفون سوى العام جداً من مشاكل العمال.

وفى لحظه تذكرت أننى لم أقرأ فى أى تقرير وصل إلى القيادة ومن كافة المستويات، ملاحظه واحده على أى منشور أو بيان، بالسلب أو الايجاب. حتى إجتماعات اللجنه المركزية لم تناقش أبداً تأثير ما نصدرة من منشورات وبيانات بين الجماهير.

نحن غرباء عن واقع بلادنا!

كانت هذه هى الحقيقة التى جسدتها قراءاتى لأيام متتاليه.

كل التقارير السياسية التى أصدرتها «حدتو» والمنظمات الأخرى التى انقسمت على «حدتو»، كانت لاتختلف على مفهوم «**الحزب الشيوعى**» ولكنها لا تبذل أى محاولة لتكوين هذا «**الحزب الشيوعى**».

بدأ الصراع بعد قيام «**الحركه الديموقرطيه للتحرر الوطنى**» «حدتو» بشهور قليله عن «الحزب».. فقال «**يونس**»- **هنرى كورييل** - أنه «**حزب القوات الوطنية والديموقرطيه**»، وقال «**سليمان**»، - **شهدى عطيه الشافعى**- بل هو حزب االطبقة العامله، وجاء «**شكرى**». وهو الاسم **الحركى لكاتب هذه الدراسه**- ليوفق بين المفهومين فهو «**حزب الطبقة العامله والجماهير الكادحه**»!

وكانت كل الخطوط السياسية تتحدث عن الثورة، ولاتحاول تحديد استراتيجية هذه الثورة، ولا برنامجها، ولاأهدافها، ولاقواها الثورية، والقوى المضادة لها.

وأعدت قراءة بعض الأدبيات الماركسيه فوجدت: لكل بلد طريقه الخاص نحو الاشتراكيه، وحل مشاكل البلدان المستعمرة ليس فى الكتب الماركسيه فقط، ولكن أيضا من خلال دراسه الواقع المحدد فى البلد المحدد.. وأنه لا حركه ثوريه دون نظريه ثورية.

وحملت هذه الأفكار العامه إلى أعضاء اللجنه المركزية الذين استخفوا بها، لكنهم وافقوا على قيامى بأجازه لمدة شهر أعود بعدها بأفكار أكثر تحديداً يمكن على ضوئها مناقشه وضع **استراتيجية، وبرنامج ولائحه**، كذلك مناقشه ضرورة تكوين «**الحزب الشيوعى المصرى**».

وعلى الرغم من أننى أرسلت إلى هنرى كوربيل تقريراً يتضمن ماوصلت إليه من أفكار، إلاّ أنه لم يشر إليها فى كل الرسائل التى وصلتنى منه، والتى كان يؤكد فيها على سلامة الخط السياسى، ويناشدنى بحضور إجتماعات اللجنه المركزية مع تجديد ثقته بى.

وأكدت قراءاتى ومقابلاتى لعدد من الكوادر الذين تركوا التنظيم- خلال شهر الأجازة- حقيقة أن البدايه الثورية هى فى دراسه الواقع المصرى.

وعبثاً راحت كل محاولاتى لإقناع أعضاء اللجنة المركزية بهذه الحقيقة. وتوالت اتهاماتهم لى.. الهروب من الكفاح بدعوى دراسه الواقع.. انحراف المثقفين...إلخ.

واتخذت اللجنه المركزيه فى اجتماعها الذى اعتذرت عن حضوره قراراً بفصلى. وكانت حيثيات القرار أننى هربت بجلدى من إرهاب البوليس تحت نظريات براقه، وأننى هربت من الكفاح.

وجاءت «بولا»[1] بعدها بايام تحمل خطاباً من يونس يتضمن قراراً منه ومن أعضاء اللجنه المركزية فى المعتقل بأن أقوم بحل اللجنه المركزية القائمة وبتشكيل لجنه مركزيه جديدة من العناصر التى اختارها بنفسى، وأن هذا القرار قد أبلغ إلى اللجنه المركزيه خارج المعتقل. وعادت «بولا» تحمل ردى الشفوى بعد أن عجزت عن اقناعى.. أن المشكله عندى ليست مشكله خاصه وإنما هى قضيه موضوعية.. واننى أحمل كل التقدير لزملائى فى اللجنه المركزيه خارج السجن وداخله.

وعادت «بولا» بعد أيام تحمل خطابا آخراً من كوربيل يقول فيه أنه قد عرف من مصدر يوثق به أننى مطلوب القبض علىَّ، وأنه وزملاؤه فى المعتقل يطلبون منى أن أحترف فوراً وأختفى عن البوليس الذى يبحث عنى. وأن «بولا» سوف تدبر محل اقامتى، وتوفير مصروفات معيشتى. واختتم خطابه برجاء أن أعود إلى حضن أمى «حدتو»!

ووجدت نفسى أمام اختيارين لا ثالث لهما:

الأول: أن اعود إلى التنظيم محترفاً رغم كل تحفظاتى، وانجو بذلك من الاعتقال.

والثانى: أن لا أقبل الاحتراف ولا أعود إلى التنظيم مع احتمال كبير بإعتقالى.

واخترت البقاء فى وظيفتى وعدم الاحتراف والعودة إلى التنظيم حتى لا أخسر حريتى التى لن يقيدها الاعتقال.

ومن الملاحظ إن ما أثرته فى إجتماعات اللجنه المركزيه لحدتو، من أفكار عامه وغير محددة عن ضرورة وجود استراتيجية للثورة المصرية، وضرورة تكوين الحزب الشيوعى

---

(١) احدى صديقات هنرى كوربيل كانت تدير مكتبه الميدان. وبعد القبض على هنرى كوربيل، تولت الاتصال بينى وبينه أثناء وجودة فى المعتقل.

المصرى. جعلت أعضاء اللجنة المركزية- بعد فصلى- يعيدون النظر فى كل تاريخ حدتو.

يقول فؤاد عبد الحليم فى حوار له سجله الدكتور رفعت السعيد:[1] «قمنا بمراجعه شامله للفكر والقواعد التنظيمية وحتى للأسم». ويقول محمد يوسف الجندى وكان عضوا باللجنه المركزية فى حواره مع رفعت السعيد «نقدنا خط القوات الوطنيه والديموقراطيه»، وأكدنا أن الحزب هو «حزب الطبقة العامله» وغيرت حدتو اسمها إلى «حدتو الشيوعيه» وشرعنا فى اعداد مشروع للبرنامج ومشروع للائحه».

ولم يكن مصادفه أن تظهر خلال تلك الفترة تنظيمات «المنظمة الشيوعيه المصريه» و«نحو حزب شيوعى مصرى» تنادى بالاعداد «للمؤتمر التأسيسى للحزب الشيوعى المصرى».

لقد كنت خلال بحثى عن بداية جديدة لمسيرة الحركه الشيوعية المصرية، التقى بالعشرات من كوادر «حدتو» والتنظيمات الأخرى، وبعشرات من الذين تركوا التنظيمات، وأناقش معهم أفكارى وهدفى الذى يتلخص فى وضع استراتيجيه وبرنامج ولائحه، تناقشها التنظيمات المختلفة، وتدعو لمؤتمر عام يعلن وحدتها فى «الحزب الشيوعى المصرى».

كانوا جمعيا يوافقون على هذه البداية الصحيحه. وكانت لديهم الرغبه، ولكن لا يملكون القدرة.

من بين هؤلاء كان «يوسف موسى»[2] الذى التقيت به فى الاسكندرية، وكان يرى أن الدكتور فؤاد مرسى الذى عاد عام١٩٤٩ بعد حصوله على الدكتوراه من باريس هو ، من يملك القدرة على التصدى لهذه المسئوليه.

وكان لقائى بالدكتور فؤاد مرسى بداية مرحله تاريخية فى مسار الحركه الشيوعية المصرية.

---

(١) رفعت السعيد تاريخ المنظمات اليسارية ١٩٤٠- ١٩٥٠.

(٢) كان عضوا فى تنظيم صغير بالاسكندريه- الطليعه- وانضم إلى «حدتو» مع هذا التنظيم. وهو صديق للدكتور فؤاد مرسى.

الفصل الرابع
تكوين الحزب الشيوعى المصرى(١)

كيف ومتى تكون «الحزب الشيوعى المصرى»؟

كانت البداية هى لقائى مع الدكتور **فؤاد مرسى فى أوائل عام ١٩٤٩**.منذ اللحظه الأولى أحسست بإقترابى منه. شدتنى إليه انسانيته المتدفقه، وتواضعه الشديد. ورغم انبهارى بثقافته الواسعه، فإننى لم أحس معه بالغربه التى كنت أحسها مع المثقفين أنصاف الأجانب فى «**ايسكرا**» ثم فى «**الحركه الديموقرطيه للتحرر الوطنى**». (حدتو).

وعلى مدى ما يقترب من يوم كامل- بدأ فى الصباح المبكر وانتهى فجر اليوم التالى- رحت أستعيد مع الدكتور **فؤاد مرسى** كل تفاصيل تجربتى منذ التحاقى بمسيرة **الحركه الشيوعية المصرية** وحتى هذا اللقاء الأول معه. وعلى امتداد كل هذه الساعات الطويله. كان لسانى يحكى كل ما بداخلى من معاناة، بينما كانت عيناى تتابع تعبيرات وجه الدكتور **فؤاد مرسى**.. تواضع العالم، تأمل المفكر، تعاطف الإنسان، معاناة الثورى، غضب المتمرد، دهشه الاكتشاف. التحدى المسئول.

ومضى شهر. كنت خلاله أحمل إلى الدكتور **فؤاد مرسى** كل ما صدر ويصدر عن الحركه الشيوعية المصرية، من تقارير، وصحف، ونشرات ومنشورات، وبيانات، وكان هو يواصل الليل بالنهار، يقرأ ويسجل ملاحظاته. وتضاعفت ثقتى به وبقدرته على التصدى لمسئوليتصياغة مقومات **الحزب الشيوعى المصرى** حين عرض علىَّ الخطوط العامه لتقرير «**تطور الرأسمالية وصراع الطبقات فى مصر**» فقد كنت خلال عرضه لهذه الخطوط العامه، أحس بإقترابى الإنسانى منه، واتفاقى الفكرى معه، وفى الوقت ذاته كنت أحس بذاتى المستقله، فلم يكن هو بشخصيته القوية وثقافته الواسعه إنسانا متسلطا، ولم أعد أنا بعد تجربتى المريرة مع **هنرى كورييل**، من يقبل التفريط فى استقلاليته تحت أى ظرف من الظروف.

كانت الخطوات التالية بعد أن انتهى الدكتور **فؤاد مرسى** من اعداد تقرير «**تطور الرأسماليه وصراع الطبقات فى مصر**» هى:

---

(١) تكون عام ١٩٥٠ وأطلق عليه خصومه اسم «الرايه» نسبة إلى صحيفه الحزب الجماهيريه (رايه الشعب). وذلك تجنباً للإعتراف بكونه الحزب الشيوعى المصرى.

أولاً: أن أتولى أنا على مسئوليتى توزيع هذا التقرير على أكبر عدد من الشيوعيين، وأبدأ بأولئك الذين تركوا تنظيماتهم بحثا عن طريق جديد لمسيرة الحركه الشيوعية المصريه.

ثانيا: أن أتولى مسئولية اختيار الكوادر الذين يمكن أن يلتقى بهم **فؤاد** مرسى وأنا ودعوتهم لإجتماع يناقش هذا التقرير.

ثالثا: أن يبدأ الدكتور **فؤاد مرسى** فى اعداد تقرير عن ثورتنا المقبله خلال الفترة التى يجرى فيها توزيع ومناقشه تقرير **«تطور الرأسمالية وصراع الطبقات فى مصر»**

كان كل ما نملكه من أدوات الطباعه... «بالوظه» و«حبر زفر» وبعض الورق «الفولسكاب» الأبيض، تبرع الدكتور **فؤاد مرسى** بخمسه جنيهات لشرائها. وتوليت **أنا وأخى المرحوم سعد** طبع ٣٠ نسخه من التقرير.

وكانت مواقف الذين وصل إليهم التقرير تتلخص فى الأتى:

* الذين تركوا التنظيمات بحثا عن طريق جديد يهتدى بنظرية ثوريه نابعه من دراسه الواقع وافقوا بحماس على التقرير. وشكلوا مع بعض قواعد التنظيمات المختلفة اتجاهاً قوياً يطالب **الرفيق «خالد»**[1] باستكمال صياغة مقومات الحزب تمهيداً لعقد مؤتمر يضم جميع الشيوعيين ويعلن تكوين **«الحزب الشيوعى المصرى»**

* وفى مواجهة هذا الاتجاة ظهرت معارضه تتكون من: تنظيم جديد باسم **«نحو حزب شيوعى مصرى»** تزعمه **«شندى»- هليل شفارتر**- الذى ظهر فجاة بعد إختفائه فترة طويله، بالاضافة إلى تنظيم **«صوت المعارضه»** الذى انشق عن **«حدتو»** وأطلق على نفسه **«المنظمة الشيوعية المصريه»** تزعمته سيدة عرفت فى الأوساط الشيوعيه باسم **أوديت**.

* تحالف هذان التنظيمان بزعامه **شندى وأوديت** لدعوة كل التنظيمات المختلفه لتكوين **«اللجنه التحضيرية لمؤتمر الحزب»**. وبسرعة أرسلت بعض التنظيمات مندوبيها وتكونت هذه اللجنه وأصدرت بيانا يتضمن الدعوة للتحضير للمؤتمر. كما أصدرت نشرة داخليه كرست كل موضوعاتها للهجوم على التقرر الذى أعده **«الرفيق خالد»** - الدكتور **فؤاد مرسى**- والتشكيك فى كاتبه دون التعرض لمناقشه الأفكار التى وردت به.

* جميع قيادات التنظيمات سواء تلك التى اشتركت فى اللجنه التحضيرية أو التى لم تشترك، أخذت موقفاً معاديا للتقرير، وبدلاً من أن تناقشه وتبدى آراءها فيه، كان همها الأول هو معرفه كاتب التقرير وإسمه واتهمته- وأنا معه- بمحاولة سرقه «لافته الحزب».

* وفى مواجهة الهجمه الشرسه لقيادات التنظيمات، ساهم عدد من الكوادر التى هجرت التنظيمات فى شراء أله كاتبه وطابعه «رونيو» خصيصا لطبع التقرير حتى يمكن توزيعه على أوسع نطاق ممكن بين قواعد التنظيمات لتعبئتها ضد قياداتها.

---

(١) الاسم التنظيمى للدكتور فؤاد مرسى.

وفي الاجتماع الأول الذي ضم عبد العزيز عوض- الذي اختاره الدكتور **فؤاد مرسى** لصداقته القديمه به، وسعد زهران وداود عزيز، وكانا من اختيارى حيث جمعنا منذ تركنا **«حدتو»** هدف تكوين الحزب الشيوعى المصرى، وبعد الموافقه الاجماعية على تقرير **«تطور الرأسماليه وصراع الطبقات فى مصر»** وتقرير **«ثورتنا المقبله بأجزائه الأربعه»**[1] ومناقشه موقف التنظيمات المختلفه من التقرير الأول تم الاتفاق على الآتى:

أولاً: أننا نحن الخمسه من الشيوعيين المصريين، يجمعنا هم مشترك وهدف واحد. لسنا تنظيما ولا ننوى أن نكون تنظيما يضاف إلى التنظيمات الكثيرة الموجودة فى الساحة. همنا المشترك هو وضع مقومات الحزب الشيوعى المصرى لحما ودما، والذى هو هدفنا وهدف جميع الشيوعيين المصريين. ووسيلتنا بعد وضع هذه المقومات هى أن نعمل ومعنا من يوافق عليها بعد استكمالها من الشيوعيين داخل التنظيمات وخارجها ودعوة قيادات التنظيمات إلى تأسيس الحزب عن طريق المؤتمر، وما يجمعنا كمجموعه مع الآخرين الذين يوافقون على أفكارنا هو الاتفاق الفكرى والسياسى دون التزام تنظيمى.

ثانيا: أن تقتصر إتصالات الدكتور **فؤاد مرسى** بزملائه فى هذه المجموعة فقط والتى عليها أن تحتفظ لنفسها بكل ما يشير إلى شخصيته، وذلك بهدف تأمينه ضد المحاولات المسعوره لمعرفه من يكون الرفيق **«خالد»**.

ثالثا: أن يبدأ **سعد زهران** بوضع برنامج الحزب و**داود عزيز** بوضع اللائحه، وأن أتفرغ **أنا** و**عبد العزيز عوض** لمناقشه أفكارنا مع الشيوعيين داخل التنظيمات وخارجها.

رابعا: طبع تقرير **«ثورتنا المقبله»** بكميات كبيره وتوزيعه بنفس الاسلوب الذى اتبع فى تقرير **«تطور الرأسماليه وصراع الطبقات فى مصر»**.

وشهد الثلث الأخير من عام ١٩٤٩ نشاطا مكثفا فى توزيع ومناقشه مقومات الحزب، وتضاعف عدد المؤيدين لها.

وفى نفس الوقت تضاعفت شراسه جميع قيادات التنظيمات - التى وصلت إليها جميع مقومات الحزب - فى هجومها على **«الرفيق خالد»** وعلىَّ شخصياً خاصه بعد **افلاس «اللجنه التحضرية لمؤتمر الحزب»** التى دعا إليها **«شندى»** بالتحالف مع **«أوديت»** وبذلت محاولات مشبوهه لمعرفه شخصيه **«خالد»** برصد تحركاتى أحيانا، ومحاصرتى أحيانا أخرى مما أضطرنى إلى الاقلال من الذهاب إلى الدكتور **فؤاد مرسى** فى محل اقامته بالاسكندريه ورغم تواجدى بها بحكم وظيفتى الحكوميه.

وكان من الطبيعى بعد أن اتضحت مواقف قيادات التنظيمات الشيوعيه، أن يبرز فى

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر ص (وثائق الحزب الشيوعى المصرى بين النظريه والتطبيق).

صفوفنا اتجاه قوى يتبنى نفس نظرية «النمو الذاتى»[1]. وعلى الرغم من أننى وقفت ضد هذا الاتجاه، إلا أننى لم أكن أملك البديل

وتجدد أملى فى امكانيه توحيد كل الشيوعيين المصريين حين اقترح الدكتور **فؤاد مرسى** استشاره **الحزب الشيوعى الفرنسى**.وسافر **سعد زهران** إلى باريس يحمل الوثائق، المقترحه من جانبنا كمقومات للحزب الشيوعى المصرى، وعاد بعد أيام ومعه موافقه **الحزب الشيوعى الفرنسى** على هذه المقومات وتوصية ببذل محاولات أخرى كى يضم الحزب جميع الشيوعيين المصريين..

وخلال محاولات أخرى مكثفه استخدمنا فيها سلاح الأمميه، وصل اقتراح من الحزب الشيوعى الفرنسى بتكوين لجنه من **فؤاد مرسى** ومنى، ومن ثلاثه أخرين يثق فيهم الحزب، وأنهم سوف يتصلون بالدكتور **فؤاد مرسى**. ولم يتصل من هؤلاء الثلاثه سوى **أسعد حليم** الذى عقدنا معه **أنا والدكتور فؤاد مرسى** الاجتماع الأول والأخير حيث رفض **أسعد حليم** منذ البدايه مناقشه الوثائق المقترحه منا، واقترح تكوين لجنه تضم بعض أثرياء الشيوعيين حددهم بالاسم، والدكتور **فؤاد مرسى وأسعد حليم، وأنا** ومندوبى القيادات التى تقبل الإنضمام إلى هذه اللجنه. وكان من الطبيعى أن نرفض هذا الاقتراح الذى تضمن إلغاء كل ما توصلنا إليه من مقومات للحزب ، أو مقومات غيرها تطرح للنقاش فى المؤتمر، فضلا عن أن تكوين هذه اللجنه ومن الأسماء المقترحه تعنى فى النهايه إشتراكنا فى الدوامه وإجهاض الطريق الذى بدأناه والذى يتحمس له عدد كبير من كوادر الحركه الشيوعية المصريه.

وفى النصف الثانى من ديسمبر عام ١٩٤٩ كان رأى **الحزب االشيوعى الفرنسى** أن نعلن نحن الخمسه «الدكتور **فؤاد مرسى وسعد زهران، وداود عزيز، وعبد العزيز عوض، وأنا**، قيام **«الحزب الشيوعى المصرى»**. على أساس المقومات التى تم وضعها من جانبنا نحن الخمسه.

وفى أول يناير ١٩٥٠ إجتمعنا نحن الخمسه لمناقشه **«بيان إلى الشعب»** يحمل للمرة الأولى فى تاريخ الحركه الشيوعيه المصرية منذ استأنفت مسيرتها فى الاربعينات توقيع **«الحزب الشيوعى المصرى»**.

(١) تتلخص هذه النظرية فى اعتناق أصحابها لفكره أن تنظيمهم هو التنظيم الثورى الوحيد وأن كل ما عداه من تنظيمات أخرى هى تنظيمات إنتهازية لا تعبر عن الماركسيه اللنيبه. وأن نمو هذا التنظيم هو نمو ذاتى بعيداً عن التيارات الأخرى فى التنظيمات «الانتهازيه».

وثائق الحزب الشيوعى المصرى
بين النظرية والتطبيق

كانت الوثائق الأساسية للحزب الشيوعى المصرى تتكون من:

أولا: تقرير «**تطور الرأسمالية وصراع الطبقات فى مصر**»

ثانيا: استراتيجية الثوره، أو ما عرف باسم «**ثورتنا المقبله**» وتتكون من أربعة أجزاء صغيره.

ثالثا: لائحه تحدد شروط عضوية الحزب، وتحدد الهيكل العام للتنظيم.

رابعا: برنامج الحزب.

الوثيقه الأولى، وهى تقرير «**تطور الرأسماليه وصراع الطبقات فى مصر**» تبدأ بمقدمة تلخص الموقف من التنظيمات الشيوعية التى كانت قائمه فى هذه المرحلة، أى نهاية ١٩٤٩، وبداية عام ١٩٥٠.

تقول مقدمه هذا التقرير الهام : سيطرت الانتهازية على الحركة الثورية فى مصر، وقد أفلحت فى أن تجعل الفكر الماركسى يسوده من الجهل والشعوذة، ماعبرت عنه هذه الحركة حتى الآن من فشل وتردد وانقسام، وبقدر ما تزداد هذه البلبة، بقدر ما تزداد الحاجة إلى فهم سليم للأوضاع الطبقية فى مصر، وتحديد مهامنا المقبلة.

■ ■ ■

تلك خلاصه مقدمه تقرير «**تطور الراسماليه وصراع الطبقات فى مصر**».. ومنها تبين الحكم الصارم على جميع التنظيمات الشيوعية التى ظهرت فى مصر قبل تكوين الحزب، والذى يتلخص فى أنها تنظيمات انتهازية.. خلقت الجهل والشعوذة فى الحركة الثوريه.

وبعد هذه المقدمة استعرض التقرير الأوضاع التاريخية والطبقية فى مصر.. ابتداء من الثورة العرابية، ومروراً بحركه مصطفى كامل ومحمد فريد، حتى ثورة ١٩١٩ إلى أن ينتهى بأن البورجوازية المصرية خانت الثورة منذ عام ١٩١٩، وتهادنت مع الاستعمار والاقطاع، واصبحت عاجزة عن استكمال الثورة البورجوازية الديموقراطية.

لذلك فإن على **الحزب الشيوعى المصرى** مهمه القيام بالثورتين: **ثورة بورجوازية وطنية تقضى على الاقطاع والاستعمار والفئات الاحتكارية المتعاونة معهما، ثم ثورة اشتراكية.**

ومن هذا المنطلق، تبدأ المعالم الرئيسية لإستراتيجية الثورة المقبله، والتى صاغها الحزب فى وثيقته التى تحمل عنوان «**ثورتنا المقبله**» والمكونه من أربعه أجزاء

والأجزاء الأربعه تركز على الحقائق التاليه.

* أن المجتمع المصرى مجتمع شبه إقطاعى، شبه رأسمالى، شبه مستعمر.

* أن الثورة المقبله لن تكون ثورة اشتراكية بل هى «ثورة ديموقراطيه شعبية» تنجز مهام بورجوازيه من حيث الجوهر.. وهى المهام التى عجزت البورجوازية المصريه عن انجازها.

* أن السلطة المقبله لن تكون سلطه البروليتاريا، بل سلطة القوى الوطنية الديموقراطيه، والمكونه من العمال والفلاحين والفئات الوطنية من البورجوازية.

* أن إتمام الثورة البرجوازية الديموقراطيه، سيمهد السبيل أمام الثورة الاشتراكيه، التى ستقودها البروليتاريا بالتحالف مع فقراء الفلاحين والمثقفين الثوريين، والفئات الثورية من البرجوازية الصغيرة.

* أن علينا أن نضع فاصلا بين مهام الثورة المقبله، وهى ثورة بورجوازيه من حيث الجوهر، وبين مهام الثورة الاشتراكيه.

* كما يجب أن نفرق بين السلطة التى ستأتى بها هذه الثورة، وهى سلطة القوى الوطنية الديموقراطية، وبين سلطه البروليتاريا فى الثورة الاشتراكيه.

تلك أبرز معالم هذه الاستراتيجية.

وهنا تبرز ملاحظات هامه، توصلت إليها بعد فتره من تكوين الحزب، ولم افطن اليها فى بادئ الأمر وهى:

* أن تقرير ثورتنا المقبله، يحمل بوضوح تأثير الثورة الصينية، ومفهوم ماوتسى تونج فى كتاب «**الديموقراطيه الشعبيه**»..ذلك المفهوم القائم على التفريق بين **سلطه الديموقراطيه الشعبية**، والسلطه **البروليتارية**.وهو مفهوم تبين أنه ينطوى على خطأ جسيم. فالسلطه واحدة من حيث الجوهر.

* وثانية هذه الملاحظات، أن مفهوم **سلطة الديموقراطيه الشعبية**، المختلفة عن **سلطه البروليتاريا**، وهو المفهوم الذى صاغه ماوتسى تونج فى بداية الثورة الصينيه، أثار جدلاً واسعا داخل الأحزاب الشيوعية فى العالم.

* وثالثة هذه الملاحظات، أن ظهور ما أطلق عليه بعد الحرب العالمية الثانية «**بدول الديموقراطيات الشعبية**» وهى الدول الاشتراكيه فى شرق أوربا، قد أسهم فى حسم هذه القضية، بما يخالف فكر **ماوتسى تونج**.. وخصوصاً تقرير «**هلالى منيك**» الشهير[1]، الذى وجه ضربة قاصمة لهذا المفهوم، باعلانه أن سلطه الديموقرطيه الشعبية، من حيث الجوهر، هى سلطه البروليتاريا، باعتبارها القائد لهذا التحالف.

---

(١) سكرتير عام الحزب الشيوعى البولندى منذ نهاية الحرب العالمية الثانيه وحتى أوائل الخمسينات ومن كبار المنظرين للحزب الشيوعى البولندى فى ذلك الحين.

* ورابعه هذه الملاحظات، أن التجارب العالمية أثبتت، بما فى ذلك تجربة الثورة الصينية بعد إنتصارها عام١٩٤٩، استحالة الفصل بين «السلطه الشعبية» و«سلطه البروليتاريا» طالما أن الحزب الشيوعى هو القائد للثورة، وهو القائد الأول للسلطه أيضا.

* وخامسه هذه الملاحظات، أن تطور الأحداث فى مصر، بعد ثورة٢٣ يوليو، أفقد هذه الوثائق بريقها، وخصوصا بعد أن تضاربت سياسة الحزب وشرع فى اتخاذ مواقف متناقضه من الثورة.

لقد كانت النظريات التى واكبت ظهور الحزب الشيوعي المصري صورة نموذجية لمفهوم الفعل ورد الفعل.. بل أنها تكاد تكون التجسيد الكامل للمفهوم الفيزيائي، القائل بأن لكل فعل رد فعل مضاد، مساوله فى المقدار، ولكن فى عكس الاتجاه.

هكذا جرت الأمور.. فبقدر اندفاع «حدتو» نحو العمل الجماهيري بدون نظرية ثوريه ترشد هذا العمل، بقدر ما إندفع الحزب الشيوعى المصرى فى عكس الاتجاه.. أى بتركيزه على صياغة نظرية كاملة من وجهة نظره للثورة المصرية، وتحديد القوات الرئيسية والاحتياطية لهذه الثورة، مع عزلة كاملة عن نبض الحياة المصرية اليومية.. وانعزال شبه كامل عن تيارات الحركة الجماهيرية.

كان الاعتزاز بوجود «استراتيجية» الثورة، ووجود «مقومات» كامله للحزب، يفضى تلقائيا إلى الفصل بين الاستراتيجية والتاكتيك.. أى بين الخطة الرئيسية للثورة، وبين اختيار الأساليب المتنوعة المؤدية إليها.

ولكن لما كان من المستحيل، الوصول إلى مثل هذه الاساليب بدون الاحتكاك النضالى اليومى بحركه الجماهير المصرية، وتحديد اتجاهاتها، ومدى قبول أو رفض هذه الأشكال أو تلك من الحركة الجماهيرية، فمن الطبيعى أن تصبح «نظرية الثورة المقبلة» مجرد واجهة براقة، خاوية من المضمون الثورى، وصالحة لأن تلصق بأى بلد من البلدان المستعمرة أو شبه المستعمرة.

تلك أولى الظواهر التى حددت، ومنذ السنوات الأولى مصير هذا النوع من القيادات، والتى وإن إجتهدت فى البحث عن نظرية للثورة المصرية، فإن انعزالها عن الواقع حكم على هذا الاجتهاد بالعقم والفشل.

■■■

ذلك لايعنى التقليل من شأن انجازات من صاغ النظرية.. ولا انكار تأثيره على الفكر الماركسى فى مصر. من حيث ضرورة الاهتمام بتفسير المجتمع، وتحديد الاهداف، ومعرفة الفرق بين قوى الثورة، والقوى المعادية للثورة.

لكن الاعتراف بفضل هذه النظرية لا يحول دون الإشارة إلى عدد من النقائص الجوهرية

التى أحدثت آثاراً ضاره للحركه الثوريه فى مصر، من الممكن تركيزها فى الأتى:

أولاً: كان انعزال القيادة عن حركة الصراع الوطنى والديموقراطى والطبقى أثرة السلبى، والذى تجسد بالدرجة الأولى فى العجز عن رؤية التناقضات بين حزب الوفد - اكبر الأحزاب المصرية فى ذلك الحين - وبين السراى رغم مظاهر التهادن السطحيه بينهما.

ومن هنا ركزت مطبوعات الحزب، على خيانة الوفد واستسلامه للاستعمار والسراى، وخيانة **النحاس** رئيس الحزب الذى كان يوصف **«بالمضلل العجوز»**.

ثانيا: وعجزت قيادة الحزب عن رؤية الصراع داخل حزب الوفد، وبين اجنحته المختلفه رغم تسليم الجميع بزعامة **مصطفى النحاس**.

وبسبب هذا العجز لم تستطيع قيادة **الحزب الشيوعى المصرى** تقديم خطه عمل تحدد الموقف من صراع الوفد الخفى مع السراى، ولاكيفية الاستفادة من الأجنحه الوطنية والديموقراطيه واليسارية داخل حزب الوفد.

ثالثا: وامتد هذا العجز إلى ما يجري داخل المؤسسة العسكرية، إلى درجه الجهل باحتمالات وجود تيارات يسارية داخل هذا الجيش.

وبسبب الانعزال والعجز عن رؤية حركة الصراع الحقيقة داخل جميع أحزاب ما قبل الثورة، وداخل الجيش نفسه، لم تستطع القيادة إدراك دلالة وجود تنظيم **«الضباط الأحرار»**.. بينما استفادت **«حدتو»** من علاقاتها القديمه بعدد من الضباط، وساعدها ذلك على فهم طبيعه **«حركه الجيش»** عند إنطلاقها، ومحاولة الإرتباط بها، وإن كان نفوذ العناصر المتخلفه فى «حركه الجيش»، كما كانت توصف فى ذلك الحين، قد أطاح بهذه المحاوله، بل وأدى إلى انقسام **«حدتو»** الشهير عام**١٩٥٣**، بين **«التيار الثورى»** بقيادة أبرز **قادة حدتو** فى ذلك الحين، وهو **سيد سليمان رفاعى** الذى اشتهر فى العمل السري باسم **«بدر»**.. وبين بقية **«حدتو»** تحت قيادة **كمال عبد الحليم ومحمد شطا**.

رابعا: لم يقتصر الأمر على تجاهل الصراعات داخل حزب الوفد، وبين هذا الحزب فى مجموعه وبين السراى.. بل إمتد إلى انعدام وجود تحليل دقيق لبقية الأحزاب المصريه، من سعديين، واحرار دستوريين، واشتراكيين، ووطنيين، إلى جانب حركة إنصار السلام، والمنظمات النقابية وغيرها.. الأمر الذى جعل قيادة الحزب فى واد والعناصر الجماهيرية فى واد آخر.

تلك أبرز النقائص التى برزت خلال عام من اعلان **الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٥٠**.

لذلك برز تناقض لم أفطن إليه فى أول الأمر.. بين الطابع الحلقى للقيادة الذى اتسم بالسرية الشديدة، وبين وجود عناصر جماهيرية إرتبطت بالحزب، وكنت أنا مسئولاً عنها. كانت اتجاهاتى منذ بدايه رحله نضالى.تتجه نحو العمل الجماهيرى، كما سبق أن أشرت، مع رغبه شديدة للدراسة النظرية. وكانت أعظم أحلامى، يتمثل فى خط سياسى يتسم بالوضوح والعمق

ويرتبط فى نفس الوقت بنبض الجماهير، وتلك أيضا كانت أمنية العناصر الجماهيرية التى افتقدت فى «حدتو» وجود مثل هذا الخط، وانفصلوا عنها لهذا السبب، حيث جذبتهم المقومات «الاستراتيجية الكامله للحزب الشيوعى المصرى».ومن هنا كانت البداية.. بداية الاتفاق الكامل بين طموحنا المشترك، فى رؤيه استراتيجية شامله، ترتبط فى نفس الوقت بالعمل الجماهيرى.

وهنا ينبغى الإشارة إلى التناقض الذى برز فى الحزب، ثم أخذ يتصاعد بالتدريج بين طموحى القديم فى عمل نضالى يربط النظرية بالتطبيق، وبين الطابع الذى اتسم به معظم قادة الحزب من اغراق فى التجريدات النظرية واسراف فى السرية.

والواقع أن هذا التناقض، الذى كان أحد قطبية كبار المنظرين فى الحزب، وقطبه الآخر يتجسد فى شخصى ومعى العناصر الجماهيرية، كانت له آثار عميقة على حياة الحزب، بل وعلى الوحدة التى حدثت بعد ذلك بين الحزب وبين التنظيمات التى كان يراها إنتهازية مدمره.

ويمكن تلخيص أبرز مظاهر هذا التناقض فى الحقائق التاليه:

* كانت النظرة إلى كل عمل جماهيرى تشترك فيه «حدتو» تتسم بالشك والرفض.. مثل حركه السلام، أو الصحف ذات الطابع اليسارى، مثل «البشير» و «الملايين» وغيرها. بينما كنت أرى بل وأشجع كوادر الحزب فى المستويات تحت اللجنة المركزية، على الاندفاع فى العمل الجماهيرى.. والاستفادة من أشكال العمل الاعلامى والجماهيرى، مادام يخدم فى النهاية قضايانا الرئيسية ويسهم فى حماية المد الديموقرطى الذى صاحب مجئ **حكومة الوفد عام ١٩٥٠**. فى الوقت نفسه كنت احاول احداث تغيير فى الطابع الانعزالى لكبار «المنظرين» فى الحزب.

* فى ابريل عام١٩٥١ اشترك «الحزب» مع «حدتو» فى التحضير لمؤتمر بجامعه فؤاد- القاهرة- حضره عدد كبير من الكتاب الأحرار، منهم **سلامة موسى**، ليضع ميثاقاً وطنيا، وتكلم مندوب عن «حدتو» كما تكلم مندوب عن «الحزب الشيوعى المصرى». واشترك الاثنان فى الهجوم على الحكومة التى تنكرت لما كان الوفد يطالب به وهو فى المعارضه. وانتهى المؤتمر إلى الموافقة على ميثاق يعلن الكفاح ضد أى معاهدة أو تحالف أو دفاع مشترك، ويدعو إلى تدعيم الكفاح المشترك بين الشعبين المصرى والسودانى من أجل التحرر الكامل من الاستعمار، ويطالب بوقف الاعتداءات على الحريات العامه، حرية الصحافة والرأى والاجتماع والتظاهر..الخ والغاء البوليس السياسى.

كما أعلن الميثاق النضال من أجل قطع المفاوضات فوراً، والغاء الأحكام الصادرة فى القضايا السياسية، وحق تكوين الجمعيات والهيئات والأحزاب.

* واشترك الحزب مع كل التنظيمات الأخرى فى الاحتفال الذى دعا إليه الحزب الاشتراكى

فى١١يوليو ١٩٥١ فى مناسبة ذكرى ضرب الانجليز لمدينة الاسكندريه فى١١يوليو ١٨٨٢. وشكلت لجنة ضمت مندوبين من **الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى المصرى والحركه الديموقرطيه للتحرر الوطنى واللجنه العليا للحزب الوطنى والاخوان المسلمين** للإعداد لهذا اليوم وتنظيم الاضراب.

* وفى**٢٦ أغسطس- ذكرى توقيع معاهدة ١٩٣٦**- خرجت مظاهرات من حى بولاق تضم الألاف من عمال الورش الأميرية، والمطبعة الأميريه، والترسانه البحرية.وعنابر السكه الحديد وورش أبو زعبل... تولى الحزب وحدتو والتنظيمات الوطنيه الاعداد لها وتنظيمها، والتقت هذه المظاهرات العماليه بأعداد كبيره من الطلبه وأفراد الشعب، واتجهت إلى وزارة الخارجية والسفارة البريطانيه، وميدان عابدين.

* وفى مساء اليوم نفسه عقد **الحزب الاشتراكى** مؤتمراً حاشداً اشترك فيه **الحزب الوطنى وحركه أنصار السلام والاخوان المسلمون وكل التنظيمات الشيوعيه**.ولم يكن للحزب خطا واضحاً تجاه هذا المؤتمر، لكن الاتجاه الجماهيرى الجديد، بتشجيع منى، فرض نفسه فى هذا المؤتمر.. بل ونزل بشعارات ثورية واعيه، افسدت محاولات تحطيم هذا المؤتمر. وكان من الممكن أن تسفر هذه المحاولات عن صدام دموى بين الاخوان من جهه، وبين العناصر الماركسيه من جهة أخرى..لولا مبادرة المرحوم «**زكى مراد**» أحد قادة «**حدتو**» ومعه أعضاء «الحزب» برفع شعارات تدعو إلى الوحدة الوطنيه مثل: **صف واحد ضد الظلم، صف واحد ضد الاستعمار، صف واحد ضد الإرهاب**.

* وبعد الغاء معاهدة ١٩٣٦، أصدر **الحزب الشيوعى المصرى** كتيبا يحمل عنوان «**ماذا بعد الغاء المعاهدة ؟**» أعلن فيه تأييده لحكومة الوفد التى ألغت المعاهدة تحت ضغط الشعب وطالبها بقطع العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا واعلان الحرب عليها، وبعقد معاهدة صداقه وعدم اعتداء مع الاتحاد السوفيتى، وتأميم قناة السويس، وطالب بتكوين كتائب الفدائين بعيداً عن الحكومة، وإطلاق الحريات السياسية، وحرية حمل السلاح ضد القوات البريطانيه فى القنال حيث فقدت وجودها الشرعى هناك بعد الغاء المعاهدة ، غير أنه فى الوقت ذاته ابتعد عن محاولة تشكيل كتائب المقاومة، وكانت خشيه القيادة أن يكون فى خوض الحزب الكفاح المسلح فى القنال ما يعرض سلامه كيانه التنظيمى وسريته للخطر.

لكن الاتجاه الجماهيرى فرض نفسه، ووافقت على اشتراك عدد من الطلبه والعمال فى الكتائب التى كونها **الحزب الاشتراكى**. كما قام أعضاء الحزب فى العريش بإمداد الفدائيين بالذخيرة والسلاح.

* ثم جاءت المأساة الكبرى. وهى حريق القاهرة فى **٢٦يناير ١٩٥٢**.كانت أحداث اليوم السابق للحريق، وهى المذبحة التى قامت بها القوات البريطانيه ضد قوات بلوك النظام فى

مدينة الاسماعيلية، تنذر كل عيون واعيه بخطر مظاهرات ٢٦ يناير.. احتجاجاً على هذه المذبحه وضرورة الحيلولة دون تحويلها إلى كارثه وطنية، عن طريق القوى التخريبية العميله، التى كان من المحتم أن تستفيد من غضب الجماهير، وتنحرف بهذا الغضب نحو اتجاه معاد للجماهير وحركتها.. وهو اتجاه التحطيم والحرق والدمار، لكن قيادة الحزب كانت لا تقدر هذه الأحداث.. ولم تجد العناصر الجماهيرية التى شاركت فى مظاهرات هذا اليوم، أى مساندة إعلاميه- مثل المنشورات- تحذر من مخاطر ما حدث.. ولذلك فإنها عجزت عن السيطرة على الاتجاهات التخريبية، والتى بدأت من ميدان الأوبرا فى العاشره من صباح٢٦يناير، حيث كانت «كازينوهات» هذا الميدان هى أولى ضحايا هذا اليوم المشئوم.

* ولم يقف الأمر عند هذا الحد. لقد كان من المتوقع، وخصوصا بعد نزول الجيش فى نهاية ذلك اليوم، أن تعلن الأحكام العرفية، وأن تفتح المعتقلات، وأن يكون قادة العمل الجماهيرى فى الحزب الذين شكلوا لجان المقاومه الشعبية فى عدد كبير من مناطق القاهرة فى قائمه المطلوبين للاعتقال، وبدلاً من إصدار توجيه يحذر من هذا الخطر، تركت هذه العناصر لكف القدر.. وإن كان حذرها ووعيها، قد حماها من الاعتقال، بفضل اختائها الفورى بعد اعلان الأحكام العرفية.

* وفى مساء يوم الحريق أصدر الحزب منشوراً تحت عنوان «**نحن نتهم : الوفد والاخوان والاستعمار**». واحتوى على تحليل غريب عن الواقع.. حيث اعتبر حكومة الوفد شريكه فى المؤامرة، رغم أنها كانت من ضحاياها. وكانت حجة القيادة أن **النحاس** «المضلل» قدم استقالته ليلة الحريق، وأن الملك رفض الاستقاله، ثم كان الدليل القاطع اعلان حكومة الوفد للأحكام العرفيه!

وفى مساء ٢٧ يناير أصدر الملك قراراً بإقالة الوزارة الوفديه، وقبل أن تصل كل المنشورات إلى أعضاء الحزب لتوزيعها، أصدرت قراراً على مسئوليتى بعدم توزيع هذا المنشور وحرق كل ما تسلمته المناطق المختلفة، وأثنت القيادة على هذا القرار.

ولقد كان هذا المنشور تجسيداً لنظره الحزب إلى الوفد باعتباره حزب البورجوازية الوطنيه التى خانت الثورة، وألقت بعلم الوطنية فى «الوحل». ووفقاً لهذه النظرة كانت القيادة تفسر الاجراءات الرجعية التى تتخذها حكومة الوفد بالخيانة. وكانت تفسر الاجراءات الوطنية التى تتخذها بالتضليل.

مرحله جديدة فى حياة
الحزب الشيوعى المصرى

بعد اعلان الأحكام العرفية فى **٢٦ يناير ١٩٥٢**، سادت التنظيمات الشيوعية المصريه بصفه عامة، **والحزب الشيوعى المصرى** بصفة خاصة، حاله من القلق والحذر والإرتباك. ذلك أن الإنتقال من مناخ الحريات الديموقراطية- تكوين فرق المقاومة ضد قوات الاحتلال، وبروز حركه الفدائين فى منطقة القنال - الخ الانتقال من هذا المناخ إلى ظلام الأحكام العرفية، والإعتقالات، والقبض على الفدائين، وسيطرة مناخ القمع والإرهاب، كان صعبا وشاقاً ومثيراً للإضطراب. ورغم أن المعتقلات قد فتحت أفواهها لتبتلع المئات من الشيوعيين، والوطنيين، والاشتراكيين، والفدائيين، إلا أن كوادر الحزب سرعان ما أفاقت من الصدمة، وتحركت بسرعة لمقاومة هذا الاتجاه.

ولعل البيان الذى وزع فى منطقة شبرا الخيمه بعد يومين من اعلان الأحكام العرفيه يعبر عن هذا الاتجاه، فبعد اعتقال النقابيين النشطين فى الحركه العماليه،واغلاق الكثير من النقابات، صدر هذا البيان.. الذى طبع فى مطبعة قانونيه، كان صاحبها من المتعاطفين مع الحزب، وكان عنوانه **«تسقط الأحكام العرفيه»** وفى نهايته اسم اللجنة التى أصدرته والتى تحمل اسم **«لجنة الدفاع عن العمال»**. وكان تكوين هذه اللجنه **«شبه العلنيه»** هو الرد السريع على اغلاق النقابات، واعتقال النقابيين.. واستطاعت خلال فترة قصيره من نشاطها بين العمال، ومن خلال اصدار البيانات، أن تجذب إليها عناصر نقابيه بارزه، أفلتت من الاعتقال، مثل **محمد عبد الغفار، ومحمد السيد زرد** وغيرهما من النقابيين.

وفى نفس الوقت بادرت العناصر الجماهيريه للحزب بين الطلبه وداخل **«الجبهة الشعبيه»** التى تكونت قبل الغاء المعاهدة، إلى تكوين **«لجنه الدفاع عن الطلبة»** وأصدرت بيانا تطالب فيه بالغاء الأحكام العرفيه، والافراج عن المعتقلين، واستطاعت أن تجذب عناصر طلابيه نشطه.

وخلال الفترة من **نهاية يناير عام ١٩٥٢** حتى القاء **القبض علىَّ فى يوليو من نفس العام**، تسارعت خطا نمو وتطور الحزب، وزادت عضويه الحزب بشكل ملحوظ، الأمر الذى فرض أشكالاً من التنظيم الحزبى تتعارض مع شكل التنظيم كما حددته لائحة الحزب مثل ظهور لجان مناطق فى الدراسه، وشبرا الخيمه، وبولاق، وشبرا، تضم عناصر قيادية جديدة، يليها **«لجان المسئولين»** ثم الخلايا. بينما كانت لائحه الحزب، تحدد شكل التنظيم على نحو آخر.. قوامه لجنه المدينة فى كل محافظة- أو مديريه- يليها مباشرة لجان المسئولين ثم الخلايا.

وهنا ينبغى الاعتراف بحقيقه هامه، وهى أن جميع أشكال التنظيم الحزبى الجديدة، كان يحظى بموافقتى التامه، ودون الرجوع إلى اللجنه المركزيه.. بل كنت أتحدث أثناء الاجتماعات المركزية، عن ظهور هذه الاشكال الجديدة من التنظيم الحزبى، دون معارضه، بل ودون الاشارة إلى عدم انسجامها مع ما قررته اللائحه من شكل التنظيم.

فالتطور يخلق دائما الاشكال التى تتناسب معه. ومن المستحيل اخضاع هذا التطور لقوانين أو لوائح، وضعت فى ظروف مغايرة. هكذا تعلمت وآمنت وتحركت فى هذا الاتجاه.

لكن القبض علىَّ فى **١٨ يوليو عام ١٩٥٢**، أى قبل **«حركه الجيش»** بخمسه أيام، وضع نهاية لمرحله، وفتح أبواب مرحلة جديدة فى حياة الحزب. فمن المصادفات النادرة، أن القبض علىّ، اعقبه إنطلاق **«حركه الجيش»**.. بكل ما أسفر عنه هذا الحدث من آثار عميقة فى تاريخ مصر، وتاريخ الحركه الشيوعية المصريه.

والواقع أنه لم يدر بذهنى لحظه، أن اعتقالى سيكون بداية لخلافات جديدة وعميقة، بينى وبين قيادة الحزب، كما لم أكن أتوقع أبداً أن تكون رؤية من يعيشون داخل اسوار السجون، أقرب إلى الواقع، وأصدق تعبيراً عن هذا الواقع، ممن يعيشون خارجه.. على الأقل بالنسبة لحالتى.

ذلك أن انطلاق **«حركه الجيش»** وسيطرتها على السلطه صاحبه موقفان متعارضان، وهما: موقفى من هذا الحركة فى أيامها الأولى وأنا فى **سجن مصر**، الذى اختلف تماماً عن موقف قيادة الحزب، فمن معرفتى بالخطوط العامه لتاريخ مصر، ومن اعجابى الشديد بالثورة العرابية، فضلا عن نجاح قائمة **«الضباط الأحرار»** فى انتخابات نادى ضباط الجيش بالقاهرة، ضد **حسين سرى عامر** رجل الملك وقائمته فى نهاية عام ١٩٥١، هذا إلى جانب أننى كنت التقى - بوصفى مندوب **الحزب الشيوعى المصرى** - مع أحد قادة **«الضباط الأحرار»** - وعرفت فيما بعد أنه **جمال عبد الناصر** - وكنا نناقش الأوضاع السياسية الداخلية والخارجية، وكتبنا معا بعض منشورات الضباط الأحرار ونشرتها **«رايه الشعب» صحيفة الحزب الشيوعى المصرى**.. من معرفتى هذه أيقنت أن هذه **«الحركه»** تعبر عن اتجاه وطنى، يصعب عزله عما يجرى فى المجتمع المصرى، وأنها التعبير **«العسكرى»** عن الرفض لفساد وخيانة واستبداد سلطه الملك وحلفائه من أحزاب الأقليه.. فضلاً عن سخط هذا الجيش بسبب فضائح الاسلحة الفاسدة أثناء **الحرب العربية الاسرائيليه الأولى عام ١٩٤٨**.

وانطلاقا من هذه الرؤية، بادرت وأنا فى السجن إلى إرسال تقرير سريع إلى قيادة الحزب يتضمن رؤيتى هذه وإلى إرسال برقيه تأييد ومسانده لقاده **«حركه الجيش»**. وشاركنى نفس الموقف جميع من كانوا فى السجن وقتئذ من قيادات وأعضاء التنظيمات الشيوعية، - باستثناء فرد واحد كان ينتمى إلى **«المنظمة الشيوعية المصريه»** - . وأذكر منهم **يوسف**

درويش، ومحمود العسكرى، وأحمد رشدى صالح من قادة منظمه الديمقراطيه الشعبية «د.ش» وأحمد شكرى سالم وسعد رحمى «حدتو» و«مارسيل اسرائيل» من منظمة «تحرير الشعب».
كما أعلنت تأييدى لهذه «الحركه» أمام وكيل النيابة الذى كان يحقق معى.

لكن قيادة الحزب- خارج السجن- اسرعت فى الحكم على **«حركه الجيش»**.. فهى إنقلاب **«عسكرى فاشى»** جاء **«ليجر الشعب إلى الحرب»** فى أول بيان أصدره الحزب. ثم بتقرير بعنوان **«الخدعه الكبرى»**.

وكان المقصود بتعبير الحرب فى ذلك الحين، هى الحرب العالمية الثالثه التى يعدلها المستعمرون ضد الاتحاد السوفيتى **«وطن الاشتراكيه وحصن السلام ونصير الشعوب»**. وكان الحزب يركز دائما على خطر نشوب هذه الحرب فى القريب انسجاماً مع رؤية الاحزاب الشيوعية العالميه فى ذلك الحين.

ومع أننى كنت فى قرارة نفسى مؤمنا فى بدايه **«حركه الجيش»** بطابعها الوطنى، وضرورة اتخاذ موقف المساندة والنقد فى آن واحد بهدف التأكيد على اتجاهاتها الثورية، ومعارضه كل اتجاه معاد للديموقرطيه، إلاّ أننى التزمت بعد ذلك بموقف قيادة الحزب- خارج السجن- بعد معرفتى به. بل واعترف بأننى اقتنعت به، ونقدت نفسى على الموقف المتسرع من تأييد **«حركه الجيش»** عند إنطلاقها، وآمنت بأنها انقلاب عسكرى فاشى معاد للشعب ويعد للحرب، بل وانتابنى قلق فى داخلى خشيه أن يكون موقفى من حركه الجيش الذى أعلنته فى برقيه إلى قادتها، وأثبته فى محضر التحقيق معى، كان ضعفاً منى.

والى جانب هذا الخلاف بينى وبين قادة الحزب في الخارج، برزت خلافات أخرى.. أهمها:

* كانت نظرة قيادة الحزب فى الخارج إلى التنظيمات الشيوعية الأخرى تقترب من نظرة تنظيم **«صوت المعارضه»** القائله بأن جميع أعضاء هذه التنظيمات **«جواسيس»** ينبغى على أعضاء الحزب مقاطعتهم، بينما كنت أنا أرى أن «إنتهازية» قيادات هذه التنظيمات لاتعنى مقاطعتها أو عدم التعامل معها. ومن هنا فقد ساهمت فى إنشاء نظام لحياة المسجونين السياسين، أطلق عليه **«الحياة العامه»**.. إنتظم فيه جميع أعضاء التنظيمات فى السجن، عدا العضو الوحيد من **«صوت المعارضه»**. وكان هذا النظام يقضى بمصادرة إمكانيات «القادرين» لصالح جميع المسجونين دون تمييز، وهو ما رفضته قيادة الحزب فى الخارج. كما رفضت مشاركتى مع التنظيمات الأخرى فى المحاضرات والندوات التى نظمتها **«الحياة العامه»** لتبادل الخبرات الثقافية والنضاليه.

* ثم كانت الجريمه الكبرى يوم اشتركت فى **«لجنه الوحدة»** التى نادت بها **«حدتو»** داخل السجن لمناقشه وحدة الشوعيين المصريين. وعلى الرغم من أن جميع التنظيمات التى اشتركت فى هذه اللجنه أدانت موقف **«حدتو»** من **«حركه الجيش»** وبدا واضحاً أن **«الحزب الشيوعى**

المصرى» سوف يفوز بأغلبية مقاعد **اللجنه المركزية للحزب الشيوعى الموحد... فإن** قيادة الحزب فى الخارج أرسلت قراراً بتوجيه اللوم الشديد لى، ويطلب منى الانسحاب فوراً من هذه اللجنه «المشبوهه»!! ثم حملت إلينا **«الحقيقة»**- النشرة الداخليه للحزب- مقالين: الأول بعنوان **«الإنتهازيه تعاود التخريب باسم الوحده»**! والثانى بعنوان **«الحركه الديموقراطيه قيادة بوليسية متعفنه وبؤره منقيحة لتربية الانتهازيين وتخريج الجواسيس»**

وعلى الرغم من اعتراضى الذى تضمنه التقرير الذى أرسلته إلى القيادة فى الخارج، فقد نفذت قرارها وانسحبت من لجنه الوحدة.

الخلاف مع القيادة يتحول إلى صدام

وتدريجياً ومع اصرار القيادة على عدم اشراكى فى اتخاذ القرارت المصيرية المتعلقة بحياة الحزب بدعوى أننى بعيد عن «الواقع»، بينما تسمح لنفسها بالتدخل فى حياتنا داخل السجن الذى لا تعرف عنه شيئاً، أخذ الخلاف يتصاعد ليصل إلى الصدام معها بعد أن أصدرت **قرارات المكتب السياسى فى ديسمبر عام ١٩٥٦**[١].

* ففى الوقت الذى قررنا فيه الإضراب عن الطعام بعد أن وصلنا خبر تقديم قضيتنا إلى المجلس العسكرى الذى شكل خصيصاً لمحاكمتنا، يصل قرار القياده «الشفوى» بوقف هذا الإضراب الذى يمكن أن **«يستفز العصابة الفاشيه»** فتدبر لنا مذبحة. وكان من المستحيل تنفيذ هذا القرار، ليس فقط بسبب أعتراض كل المضربين من اعضاء الحزب المقدمين للمحاكمه. وأعضاء التنظيمات الأخرى الذين تضامنوا معهم.. ولكن لأن نشاط أهالى المسجونين كسب تأييداً جماهيرياً، وأحدث تأثيره على سير المحاكمه بعد ذلك.

* ثم جاء الموقف من المحاكمه ليضيف إلى خلافاتنا مع القيادة، خلافاً جديداً وغريبا، ولا يتسق مع مفهومها عن **«الفاشيه»**! فبينما كنا نرى تحويل محاكمتنا إلى محاكمه سياسية، كان من رأى القيادة الذى أرسلته إلينا فى شكل قرار، التركيز على الجانب القانونى. ورفضت لجنه المنطقه فى السجن هذا القرار، وأصرت على أن يقوم **سعد باسيلى** بالدفاع السياسى الذى يتضمن الاعتراف بعضوية الحزب الشيوعى المصرى.

---

(١) قرارات المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى والتى كان من بينها: الاشتراك فى محادثات الوحدة مع الحزب الشيوعى المصرى الموحد وحزب العمال والفلاحين المصرى..ع.ف.. وهو امتداد «للفجر الجديد».. وفضلا عن فصل عدد من كوادر الحزب بتهمة الجاسوسية. وتقدير الرفيق طلعت.وهو الاسم التنظيمى لصاحب هذه السطور فى ذلك الوقت- لجهوده فى المحافظة على وحدة الرفاق داخل السجن. وقد رفضت ذلك التقدير فى التقرير الذى ارسلته إلى المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى. كما أعلنت رفضى لقرارات فصل الزملاء.

ويبدو أن هذا الدفاع السياسى الذى وصفه المرحوم **عبد الرحمن الخميسى** بأنه نموذج للأدب السياسى، قد فرض نفسه على القيادة التى وافقت على طبعه وتوزيعه خلال محاكمتنا التى استمرت شهوراً أمام المجلس العسكرى برئاسه القائمقام **أحمد شوقى عبد الرحمن**، ثم أمام **اللواء فؤاد الدجوى** بعد اعتقال الضابط الأول. وكان إنضمام بعض الذين وصلهم هذا الدفاع إلى الحزب دليلاً على تأثيره الجماهيرى الكبير.

وبدلاً من أن تعيد قيادة الحزب النظر فى موقفها منا بعد مناقشته مع **سعد زهران** الذى عاصر الفترة التى سبقت محاكمتنا وخلال هذه المحاكمه، وبعدها بقليل، نفاجأ بها بعد خروجه من السجن وكانها قد قررت مقاطعتنا تماماً.

مرحله عدم الاعتراف بالقيادة

وشهد ليمان طره ثم الواحات الخارجة «جناح» و«المحاريق» مرحلة جديدة فى علاقتى بقيادة الحزب.. بدأت بعدم الدفاع عن سياستها، وإنتهت بعدم الاعتراف بها تنظيميا وفكرياً وسياسياً، بعد أن وصلتنا **قرارت المكتب السياسى فى ديسمبر عام ١٩٥٦**. وكانت ابرز ملامح هذه المرحله هى:

* كانت بداية عدم اعترافنا بقيادة الحزب فى الخارج، تتخذ معارضة مواقف الحزب السياسية من حكومة **جمال عبد الناصر**. مثل موقفه المعادى لحلف بغداد، الذى كتبت عنه **«راية الشعب» «ان الخائن عبد الناصر دعا الحكومات العربية لإجتماع عرض عليها خطه لإتمام الحلف توافق الخطه الاستعمارية الانجليزيه»**. وعن موقف عبد الناصر فى باندونج تكتب رايه الشعب **«فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج»**.

* وكانت الخطوة الثانيه، فى نهاية عام **١٩٥٥** التى شهدت وضوحاً أكثر فى سياسة **جمال عبد الناصر** الخارجية، وشهدت فى الوقت ذاته تخبطاً أكثر فى مواقف **«الحزب الشيوعى المصرى»، والحزب الشيوعى المصرى الموحد»** . فكان موقف الحزب المصرى يتلخص فى: «**أنه مع تعاظم النضال الوطنى ضد الفاشيه أحس الامبرياليون بضرورة الإحاطة بحكم هؤلاء الضباط، والإتيان بعصابه جديدة تكون أقل افتضاحاً أمام الجماهير، ولكى يحطم عبد الناصر المعارضه نظم إنقلابا ضد نفسه»**

وكان موقف الحزب الموحد «**ان تأييد الجانب الايجابى للسياسة «الدكتاتورية العسكرية»، لا يعنى أبداً اغفال الجوانب الخيانيه الرجعيه فى سياسة الحكومة الداخلية وفى علاقتها بالاستعمار. وأنه ينبغى الكفاح من أجل إسقاط الحكم الدكتاتورى وإقامة حكومة الجبهة الوطنية»**

* وفى **سجن الواحات الخارجه «جناح»** الذى انتقلنا إليه من **ليمان طرة**، تكونت لجنه مشتركه من قيادتى **«الموحد»** و**«المصرى»** فى السجن، ضمت **زكى مراد**[1] و**محمد شطا** - من **الموحد، ومجدى فهمى**[2] **وأنا من المصرى**، لمناقشه سياسة حكومة الجديده فى جلسات خاصه، من أجل الوصول إلى موقف سياسى مشترك نبعث به إلى قيادتى الحزبين خارج السجن.

---

(١) عضو اللجنه المركزية لحدتو ثم المتحد، ثم المصرى، واسمه التنظيمى «ناشد»

(٢) العضو الاحتياطى للجنه المركزية فى الحزب الشيوعى المصرى، وعضو اللجنه المركزيه فى الحزب المتحد، ثم فى الحزب المصرى.

وبالفعل اتفقنا على أن موقف الحكومه فى باندونج، والاعتراف بالصين الشعبية، ومعارضه حلف بغداد، والتفاوض للحصول على معونات إقتصاديه سوفيتيه، هى مواقف وطنيه واستقلاليه. وفى الداخل كان طرد الملك، وقانون الاصلاح الزراعى، ومصادرة أملاك الأسرة المالكه، هى ضربات ضد الاقطاع. وبعد مناقشه أى الطبقات تمثلها حكومة عبد الناصر، اتفقنا على أنها تعبر عن مصالح البورجوازية الوطنية ذات الطبيعة المزدوجة.

* ولكى يتفق موقفنا السياسى والنظرى مع موقفنا التنظيمى اصدرنا عدداً من المجلات هى: **«الأنباء»** وكانت صحيفة اخبارية تنشر مواقف الحكومه والتعليق عليها، ومجله **«الوطن»** وتتناول تاريخ مصر وفق المنهج المادى التاريخى، وفيها كتب **مجدى فهمى** دراسه عن ثورة ١٩١٩، وقيادة البورجوازية الوطنية لها بزعامة **سعد زغلول**، وعن حزب الوفد الذى يعبر عن المصالح البورجوازية الوطنية المصرية. كما كتب فى مجله **«الفكر»** دراسه عن **«المنهج المادى فى دراسة التاريخ»**. وفى **«الوعى»** كتبت دراسه عن الفاشيه فى ايطاليا، والنازية فى المانيا، وعن الظروف العالمية والداخليه التى افرزتهما، وهى ظروف تختلف جذريا عن ظروف البلدان المستعمرة وشبه المستعمره. كذا دراسه عن الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنيه فى المستعمرات وأشباه المستعمرات

والى جانب هذا كله، كانت كل خليه تحرر بالتناوب **«صحيفة حائط»** تنشر بعض الأخبار السياسية والتعليق عليها، كما تنشر بعض القضايا النظرية. وفى اجتماع دورى يضم كل أعضاء الحزب، كنت ومجدى فهمى نعلق على ما ينشر فى هذه الصحيفة.

وكان هدفى من إصدار هذه الصحف، وتنظيم المحاضرات السياسية والفكرية، هو توعيه الرفاق سياسياً وفكرياً، أكثر منه موقفاً ضد السياسات المتخبطه لقيادة الحزب فى الخارج، ورؤيتها االنظرية التى ثبت افلاسها.

ومع وصول **عبد العزيز عوض** الذى فوجئت به عضوا باللجنه المركزيه- وهو أحد الخمسه الذين أعلنوا تكوين الحزب المصرى فى عام ١٩٥٠- وكان مفصولاً من اللجنه المركزيه بعد شهور من إعلان الحزب حيث أعترف بأنه قدم معلومات كاذبه عن نشاطه فى الاسكندرية خلال مواجهتى له فى اجتماع للجنه منطقة الاسكندريه- الى الواحات الخارجه «جناح» وكان معه **محمد شعراوى** عضو **المكتب السياسى** والذى إنضم إلى الحزب حديثا- فى عام **١٩٥٤**-، وهما يحملان **«قرارت المكتب السياسى الصادره فى ديسمبر عام ١٩٥٦»**، ويحملان أيضا قراراً من الرفيق «عاصم»[1] سكرتير التنظيم بالحزب - قبل أن يفرج عنه من سجن القناطر الخيريه- باجراء تحقيق مع أعضاء الحزب المسجونين منذ عام ١٩٥٢.. بدأت مرحله صدامى مع قيادة

(١) الاسم التنظيمى للدكتور أسماعيل صبرى عبد الله عضو اللجنه المركزية للحزب الشيوعى المصرى، والمتحد، والمصرى. ووزير التخطيط الأسبق.

الحزب تأخذ أبعاداً جديده، اتخذت خلالها عدداً من القرارات التنظيميه ضد القيادة وعلى مسئوليتى.

وعلى الرغم من أننى لم أكن أملك تنظيميا سلطه اتخاذ هذه القرارات، إلا أنها كانت خيارى الوحيدلحمايه ما تبقى ما بنيان الحزب المتماسك فى **سجن الواحات الخارجه** والذى كان يضم أكثر من سبعين من **كوادر الحزب الشيوعى المصرى**.

وكانت القرارات التى اتخذتها على مسئوليتى هى:

أولاً: وقف تنفيذ قرار القيادة باجراء التحقيق مع المسجونين من أعضاء الحزب فى الواحات أسوة بجميع أعضاء الحزب فى سجن القناطر الخيرية وفى الخارج. ذلك أن اسلوب التحقيق الشامل لجميع أعضاء التنظيم هو أسلوب بوليسى غريب على مبادئ التنظيم الحزبى.

ثانيا: الغاء **قرار المكتب السياسى للحزب** الذى تضمنته قرارات ديسمبر ١٩٥٦ بفصل عدد من كوادر الحزب الذين حقق معهم فى **سجن القناطر الخيريه**.. وكان من بينهم **داود عزيز**- سكرتير الدعايه فى اللجنه المركزيه- **ورؤوف نظمى وثروت الياس وشكرى عازر وعبد الخالق الشهاوى ووليم طانيوس وغيرهم** .. وكان بعضهم أعضاء احتياطيين للجنه المركزيه.

ثالثا: ضم **داود عزيز** إلى لجنه المنطقه فى **الواحات الخارجه**، وضم جميع الذين فصلهم المكتب السياسى إلى المستويات التنظيمية الأخرى فى الواحات.

رابعا: وقف عبد العزيزعوض عضو اللجنه المركزيه- الذى أعترف بأنه يملك وسيلة أتصال بقيادة الحزب فى الخارج- ورفض وضعها تحت تصرف لجنه منطقه الواحات التى تتحمل وحدها مسئوليه الاتصال بالخارج.

رابعا: وقف **محمد شعراوى**- عضو المكتب السياسى واللجنه المركزيه- بعد اعترافه بأنه **هو وعبد العزيز عوض** - قد أرسلا تقريراً إلى القيادة دون عرضه على لجنه المنطقه وبدون علمها أو موافقتى باعتبارى المسئول المركزى للمنطقة.

ويبدو أن قياده الحزب فى الخارج لم تعترض على هذه القرارات التى تضمنها تقرير أرسلته إليها، كان بسبب خوفها من أن تفقد أكثر من ٧٠ عضواً تساوم بهم خلال محادثات الوحدة مع «**الموحد**» و «**العمال الفلاحين**» «**ع.ف**» والتى كانت قد بدأت فى فتره العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وبعد أن تأكدت من التأييد الاجماعى لكوادر الحزب فى الواحات لهذه القرارات.

ويبدو أيضا أن القيادة فى الخارج خشيت أن ينتهى هذا الصدام الصريح معها إلى إنقسام لجنه منطقة الواحات، فكلفت الرفيق **خالد** بإرسال خطاب لى يحمل أسفه لعدم إتصاله بى طوال السنوات السابقة، ويعدنى بتنظيم إتصاله بى وأنه سيتولى ذلك بنفسه.

والحقيقة هى أن اتجاها قويا بين أعضاء الحزب الشيوعى المصرى فى الواحات كان يريد الانقسام على قيادة الحزب «**الانتهازيه**» ويرفض الوحدة «**الانتهازيه**» مع «**الموحد**» و «**ع.ف**»

وكاد يفرض نفسه كأمر واقع، لولا الجهود التى بذلتها أنا **ومجدى فهمى وداود عزيز** والتى توجّت بعقد «كونفرس» يضم كل كوادر الحزب فى الواحات لمناقشه ما آلت إليه أوضاع الحزب على يد هذه القيادة.

كانت الأسئله التى طرحها «الكونفرس» كثيرة.. أهمها:

* هل كان قرار التحقيق مع جميع أعضاء الحزب والذى بدأ فى سجن القناطر الخيريه. قراراً فرديا اتخذة الرفيق **عاصم** خلال تواجده بالسجن، أم أنه كان قراراً للمكتب السياسى للحزب؟

* هل كان من المصادفة إنضمام من تبقى من منظمة «**صوت المعارضه**» إلى الحزب بعد صدرو **قرارات ديسمبر ٥٦** بعد **فصل داود عزيز سكرتير الدعايه** وعدد من الكوادر الشعبية الأعضاء الاحتياطين فى اللجنه المركزيه؟

* لماذا حرص **الرفيق عاصم** على أن ينظم إتصالاً بلجنه منطقة الواحات وبعيداً عنها، وأختار **عبد العزيز عوض** ليقوم بهذا الاتصال وهو يعرف أنه أختار شخصا تم فصله من اللجنه المركزيه بعد اعلان الحزب بشهور بعد أن ثبت كذبه!

* هل كان البحث عن «الجواسيس» من العناصر الشعبية فى اللجنه المركزيه، كى يحل محلهم آخرون أكثر أهمية من اعداد الحزب للمساهمة فى معركه الشعب كلّه ضد العدوان الثلاثى. والتى كانت قد بلغت ذروتها أثناء اجتماعات المكتب السياسى لاتخاذ قراراته المشئومه، خاصه وأن كل «**الجواسيس**» الذين كشفهم تحقيق **عبد العزيز عوض** كانوا جميعا وراء الاسوار؟

* ولماذا اندفعت قيادة الحزب بكل هذه الحماس للوحده مع «**حدتو**» «**العصابه التى تربى الجواسيس والخونه**» ومع «**ع.ف**» «الانتهازيه»؟ على حد قولهم فيما سبق.

* وكيف تحولت «**الانتهازيه**»إلى«**ثوريه**» ومتى؟وكانت الوحدة عام١٩٥٣مع «الانتهازيه» تغليب لها. وكيف أصبحت هذه «**الانتهازيه**» بلحمها وشحمها ودمها ثوريه فى عام ١٩٥٦؟

* وهل يقبل من يملك الحد الأدنى من الوعى القول بأن «**الفاشيه**» تحولت إلى **بورجوازيه وطنيه**، ومن ثم فعملاؤها «**الانتهازيون**» قد تحولواهم أيضا إلى «**ثوريين**»! وبالتالى إذا كنا ندعو للجبهة الوطنية مع البورجوازية الوطنيه، فكيف لا نتحد مع «**الثوريين**» رغم أنهم كانوا «**إنتهازيين**»؟

ورغم دفاع **محمد شعراوى وعبد العزيز عوض** عن القيادة، والذى استغرق يوماً كاملاً، فإنهما قد انسحبا من «**الكونفرس**» بعد أن عجزا عن أى رد مقنع على أى سؤال من هذه الاسئله.

وفى ختام «**الكونفرس**» وعلى ضوء مناقشات أعضائه اتخذت القرارت التاليه:

* إدانه قرارات المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى، والمعروفه **بقرارت ديسمبر عام ١٩٥٦**.

* تأييد القرارات التى اتخذها الرفيق «**طلعت**» اسمى الحركى فى تلك الفتره- على مسئوليته فهى التى حمت وصانت وحدة الرفاق فى الواحات.

* لا يعترف «**الكونفرس**» باللجنه المركزية بعد ضم العناصر ذات التاريخ الانقسامى إليها.

* ادانه التبرير الانتهازى الذى إنطلقت منه القيادة مهرولة نحو الوحدة.. ذلك التبرير الذى حوّل «**الفاشيه**» إلى «**بورجوازيهوطنيه**»، وحوّل «**الانتهازيه**» إلى «**ثوريه**».

* أنه على الرغم من أن مصير الوحدة بين «**المصرى**، **والموحد** و«**ع.ف**» والتى بدأت محادثاتها، هو نفس مصير ما سبقها من وحدة بين «**ح.م**، **وايسكرا**» وتكوين **الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى**، فإن أعضاء «**الكونفرس**»- وهم وراء القضبان- لا يقفون ضد هذه الوحدة، كما لا يؤيدونها فى الوقت نفسه.

* أنه على الرغم من إقتناع أعضاء «**الكونفرس**» بأنهم بقيادة الرفيق **طلعت** يشكلون نواه اتجاه جديد، لا يدّعى الثورية دون غيره، ولا يزعم امتلاك الفهم النظرى والسياسى الكامل فإنهم سوف ينضمون كأفراد إلى الحزب الجديد الذى ستسفر عنه محادثات الوحدة، لا تربطهم أدنى صله تنظيميمة، سواء فيما بينهم، أو بينهم وبين **الرفيق طلعت**.

وخلال الشهور السابقة على وحدة «**الحزب الشيوعى المصرى**» و«**الحزب الشيوعى المصرى الموحد**»، شهد سجن الواحات حواراً واسع النطاق بدأ بمناقشه كل مقومات الحزب واستمر حول قضية القوميه العربية، وقضية البورجوازية الوطنيه فى المستعمرات عامة وفى مصر بصفة خاصه، وقضية الجبهة الوطنيه والقوى التى تنضم إليها ومضمون سلطه نظام جمال عبد الناصر، وغيرها من القضايا النظريه والسياسية.. من خلال المحاضرات العامة وعلى صفحات النشرة الداخليه التى كانت تصدر يومياً.

وجاء يوم اعلان قيام «**الحزب الشيوعى المصرى المتحد**» يعلن نهايه مرحله فى مسيرتى، وبداية مرحله جديدة لهذه المسيرة.

مثلما اتحد الشيوعيون المصريون فى عام١٩٤٧،مكونين مايسمى «بالوحدة الأولى»[1]التى ضمت«**الحركه المصريه للتحرر الوطنى**»-ح.م و«**ايسكرا**»، اتحدوا مرَّه أخرى فى ١٩٥٧. ولكن الوحدة هذه المرَّه تمت على مرحلتين. تمثلت المرحله الأولى فى تكوين «**الحزب الشيوعى المصرى المتحد**» عام ١٩٥٧، وضم كلا من «**الحزب الشيوعى المصرى الموحد**» و«**الحزب الشيوعى المصرى**»- **الرايه**-.

أما المرحلة الثانيه فقد تمت فى ٨ يناير ١٩٥٨ حيث اتحد «**الحزب الشيوعى المصرى المتحد**» **مع** «**حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى**» وكونا معا «**الحزب الشيوعى المصرى**»- حزب ٨ يناير ١٩٥٨-.

فكيف تمت هذه الوحدة التى ضمت جميع الشيوعيين المصريين «لأول مرَّه» فى حزب واحد؟

(١) لم تنضم منظمة «الفجر الجديد» فى هذه الوحدة. ويعتبر حزب العمال والفلاحين امتداداً للفجر الجديد بعد أن تغير اسمه إلى «الديموقراطيه الشعبيه» (د.ش) ثم «طليعه العمال» (ط.ع) ثم أخيراً إلى العمال والفلاحين (ع.ف).

الحزب الشيوعى المصرى المتحد

فى أوائل يوليو ١٩٥٧ وصلتنى رساله ثانيه من الرفيق خالد- بعد شهور من رسالته الأولى- «يزّف» إلى وإلى جميع الرفاق بشرى توحيد «**الحزب الشيوعى المصرى**» و«**الحزب الشيوعى الموحد**» وقيام «**الحزب الشيوعى المصرى المتحد**». ويهنئنى أنا ومجدى فهمى باختيارنا عضوين «أصليين» فى اللجنه المركزية، على أن يحل آخران محلى أنا ومجدى فهمى لحين خروجنا من السجن ذلك أنه من الصعب الاتصال بنا لأخذ أصواتنا من جانب، ولأن للموحد أغلبية من الجانب الأخر. أما عن مسئولية منطقة الواحات، فقد تم الاتفاق مع رفاق «الموحد على أن تكون بالتناوب بينى وبين الرفيق «**حميدو- محمد شطا**- كل شهر.!

ولم يكن فى ما حملته إلىّ هذه الرساله جديداً بالنسبه لى حيث كان المرحوم **زكى مراد** يمدنى ببعض أخبار محادثات الوحدة منذ بدأت فى **اغسطس عام ١٩٥٦** وحتى قيام المتحد قبل شهر- **أوائل يونيو**- من وصول رساله الرفيق **خالد** إلىّ.

وشهدت منطقة الوحات وضعاً غريبا على التنظيم الحزبى.. من أمثله ذلك:

* أربعه أعضاء فى اللجنه المركزيه «**للحزب الشيوعى المصرى المتحد**» فى السجن هم: **زكى مراد**، و**محمد شطا**- من **الموحد**- يبا شران مسئوليتهما القياديه للحزب كله- داخل السجن وخارجه-. وأثنان من **المصرى** هما: **مصطفى طيبه ومجدى فهمى** ليس لهما الحق فى مباشرة مسئوليتهما القيادية للحزب، فهما «**مجمدين**» حتى خروجهما من السجن.

* مسئولان مركز يان للجنه منطقة سجن الواحات هما: **محمد شطا- من الموحد**- ويتولى مسئوليه المنطقة مرّه كل شهر- ويتولى بشكل دائم مسئوليتة فى اللجنه المركزيه فى قيادة الحزب كله. و**مصطفى طيبه** يتولى مسئوليه المنطقه مرّه كل شهر- ولا يباشر مسئوليته كعضو فى اللجنه المركزية لأنه «مجمد»!

* **مجدى فهمى**- من المصرى- عضو اللجنه المركزيه للحزب لكنه فى السجن ليس سوى عضو لجنه منطقة، فهو لا يباشر مسئوليته فى قيادة الحزب إلا بعد حصوله على «الحريه»!

* **أما زكى مراد**، فهو على الرغم من أنه عضو فى اللجنه المركزية ويباشر مسئوليته القيادية على نطاق الحزب كلهً، فهو بحكم وجودة فى السجن يخضع لقيادة- **مصطفى طيبه**- عضو اللجنه المركزيه «المجمد» خلال الشهر الذى يتولى فيه مسئولية المنطقه!

* **محمد شطا** أيضا، الكامل العضويه فى اللجنه المركزية يتحول إلى عضو لجنه منطقة خلال الشهر الذى يتولى فيه **مصطفى طيبه** مسئوليه المنطقه رغم عضويته «المجمده» فى اللجنه المركزية.

وإلى جانب هذا الوضع الغريب عن التنظيم الحزبى فى منطقة سجن الواحات التى تضم أفضل كوادر الحزبين «المتحدين» فى حزب «متحد» شهد السجن صوراً «مؤسفة» بعد «إندماج» أعضاء هذين الحزبين فى لجنه منطقة واحده.. منها على سبيل المثال:

* ما كاد الرفيق «**حميدو**» الذى تولى مسئوليه المنطقه خلال الشهر الأول، ينتهى من ترديد قسم الحفاظ على وحدة الحزب مع أعضاء لجنه المنطقة، حتى إنتهك هذا القسم «العظيم» فى كلمته الذى بدأ بها الاجتماع. قال أن «**التيار الشورى**» الذى تجسده «**حدتو**»- وليس **الموحد**- قد إنتصر أخيراً، وأجبر «**الرايه**»- الحزب المصرى- صاحب نظرية «**لا شيوعيه خارج الحزب**» على الرضوخ لتيار الوحدة القوى. وأبدى غضبه على أولئك الذين وافقوا على إصدار قرار بحل «**مجموعة روما**»[1]. وقال إن **لهنرى كوريبل** رفاق مخلصين وهم أكثر مما يتصوره المعادون له. وأفاض فى الدفاع عن **كوريبل**.. مؤسس «**التيار الثورى**» فى الحركه الشيوعية المصرية، وأعلن أنه لايعترف بهذا القرار لن يتوقف عن مراسله «**مجموعة روما**» أبداً حتى لو انقلبت السماء على الأرض. وفى ختام كلمته أبدى حزنه وأسفه على ما آل إليه وضعى التنظيمى على يد «قيادة الدكاتره» التى أزاحت كل العناصر العماليه والشعبيه وفى مقدمتها مجدى **فهمى** وجاءت بأبناء الذوات من أمثال **الهام سيف النصر ومحمد سيد أحمد وعادل سيف النصر**، وبصراحه يحسد عليها دعانى **حميدو أنا ومجدى فهمى** للعودة إلى «أمنا» حدتو التى ستغفر لنا عقوقنا

وبعد أن انتهى **حميدو** من كلمته التى استغرقت أكثر من ساعتين، أبديت اعتراضى فى كلمه موجزه عن دور المسئول المركزى فى تأكيد وحده القاعدة مع القيادة وذلك بالدفاع عن قرارات هذه القيادة حتى ولو لم يكن موافقاً عليها وفقاً لمبدأ خضوع الأقليه للأغلبيه، وخضوع المستويات الدنيا للمستويات الأعلى

وتوالت كلمات أعضاء المنطقه من الجانبين، كل من موقعه السابق على «الوحده»، وتبادل الجانبان أقذع الشتائم وأبشعها كما لم يحدث طوال السنوات الماضيه قبل الوحدة. وقبل أن

---

(١) تكونت هذه المجموعة تحت اشراف هنرى كوريبل بعد ابعاده عن مصر عام ١٩٥٠، وحملت اسم «مجموعة روما للحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى» وفى عام ١٩٥٥ عند وحده حدتو مع عدد من المنظمات الصغيرة وكونت معها «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» فرضت هذه المنظمات إستبعاد إسم هنرى كوريبل من اللجنة المركزية ومعه كمال عبد الحليم، وبعد مناوشات تقرر تجميد عضوية هنرى كوريبل إلى حين إجراء تحقيق، واقناع المنظمات الصغيرة بسلامة موقفه، وإن كانت قيادة حدتو قد وافقت على استبعاد كمال عبد الحليم. وفى عام ٥٧ عندما تمت وحدة «الموحد» مع «الرايه» كان من الشروط الأساسية للوحدة حل مجموعة روما وفصلها واستبعادها تماماً من الحزب «المتحد»، وإن كان ذلك لم يمنع استمرار إتصال هنرى كوريبل مع بعض كوادر حدتو - خاصة فى الواحات الخارجة - من وراء ظهر الحزب. واستمر هذا القرار بعد وحدة التنظيمات الثلاثة - الموحد، الرايه، ع ف - فى الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير ١٩٥٨.

تصل المعركه الكلاميه إلى اشتباك بالأيدى تدخل المرحوم **زكى مراد** ونجح فى وقفه. كانت هذه الصوره «المؤسفه» بعد اعلان **الحزب الشيوعى المصرى المتحد** فى الواحات بيومين!

* ثم كانت الصورة الثانيه بعد أيام لا تزيد عن أسبوع منذ تمت الوحدة.. الزميل **حميدو** يعلن على جميع الزملاء أثناء تناولهم الإنطار.. أنهم مدعوون إلى حفل يقام مساء اليوم بعد عشاء فاخر لمناسبه عيد ميلاد الرفيق **هنرى كورييل**. وقبل أن تصل المعركه الكلاميه الصاخبه بين أعضاء التنظيمن السابقين والمتحدين فى حزب واحد،إلى تشابك بالأيدى، تدخل المرحوم **زكى مراد** معلنا أن حميدو يدعو لهذا الاحتفال بصفة شخصيه بوصفه صديقاً «ليونس»- كورييل- وأنه ليس هناك إلزام لأى عضو بالحضور.

ورغم عدم اقتناع الجانب المعارض- **المصرى سابقا**- لهذا التبرير الذى قدمه **زكى مراد**، فإنه لم يتوقف عن إرسال شتائمه متوعداً بمناقشه هذا الموضوع فى المستويات الحزبية.

وحل المساء وهو يحمل معه نذر معركه بالأيدى. وعلى العشاء كان مسئول الحياه العامه- من **الموحد**- يوزع اللحوم المقددة والبارده فيرفضها أعضاء «**المصرى**» أحيانا بأدب وأحيانا أخرى بسخريه ويقبلها أعضاء «**الموحد**».. البعض على مضض، والبعض الأخر بإقتناع، وبعض ثالث يصيح «**فتح عينك تاكل ملبن**»!

وبعد العشاء كان **حميدو** ومعه كل زملائه فى «الميس» وقد زينته الأنوار الكهربائيه الملونه يتبادلون الكلمات التى تشيد **بكورييل** ودوره فى تحطيم «الانتهازيه» بكل تنظيماتها. وبين الكلمه والكلمه يوزع الشاى أو المرطبات أو الحلوى.

وعلى مسافه قريبه منهم يفترش زملاء «**المصرى**» أرض الصحراء يسمعون بأذانهم الشتائم التى تنهال على رؤوسهم. فيهتفون ضد **كورييل** الصهيونى. **وحدتو الانتهازيه وقتله خميس والبقرى**[1]. ومرة ثانيه يتدخل المرحوم **زكى** وأنا معه لوقف الاشتباك بالايدى بين زميل من هذا الجانب، وأخر من الجانب الثانى، وقبل أن يصل إلى اشتباك جماعى بين الفريقين «**المتحدين**»!

وينتهى الشهر الذى تولى فيه حميدو مسئوليه المنطقه ويحل الشهر الثانى الذى توليت فيه أنا مسئوليه المنطقه.. ويشهد الاجتماع الأول للجنه المنطقة صورة مؤسفة ثالثه.

كان على رأس جدول أعمال المنطقة مناقشه العدد الثانى من «**حياة الحزب**» النشره الداخليه **للحزب الشيوعى المصرى المتحد- الصادره فى سبتمبر عام ١٩٥٧.**

وبادر الرفيق «**حميدو**» بطلب الكلمه ليشن هجوما شديداً على **الرفيق خالد** الذى كتب خط الحزب السياسى الجديد. وليس على ذلك الخط الذى كان جميع أعضاء لجنه المنطقة- فيما عدا **محمد شعراوى وعبد العزيز عوض**- يرفضونه حيث كان يتضمن مفهوماً خاطئا عن البورجوازية الوطنيه المصرية حيث يقول: «**أنها لا يمكن أن تقارن بالبورجوازية التقليدية لا فى**

(١) إشارة إلى موقف الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى من أحداث كفر الدوار بعد أقل من شهر من قيام «حركه الجيش» ثوره يوليو ١٩٥٢

حاضرها ولا فى ماضيها ولا فى مستقبلها » «بل وأكثر من ذلك أنها بورجوازية وطنية ثابته».

وكان من الطبيعى بعد أن أمتد هجوم **«حميدو»** على **«خالد»** إلى الهجوم على تاريخ **الحزب الشيوعى المصرى** الذى «سرق» لافته الحزب، وخربٌ الحركه الشيوعية المصرية.. أن يكون رد الفعل، هو الهجوم على **يونس «الصهيونى»** وأبناء **يونس** الذى اغتالوا **خميس والبقرى** فى كفر الدوار.

ولم تكن هده هى المره الأخيرة التى أنهى فيها إجتماعات لجنه المنطقة خلال الشهورالتى توليت فيها مسئوليه المنطقه فى سجن الواحات.

الحزب الشيوعى المصرى
حزب ٨ يناير ١٩٥٨

وبشهد سجن الواحات الخارجة ثلاث وقائع تسبق اعلان قيام **«الحزب الشيوعى المصرى»** تجسد الصراعات اللامبدئيه التى مارستها الأحزاب الثلاثه التى اتحدت فى حزب ٨ يناير ١٩٥٨.. هى:

الواقعه الأولى: رساله تصلنى من **الرفيق خالد** مع أخت **«سعد باسيلى»** التى حضرت إلى السجن لزيارته.. يقول فيها أن **«تيارنا الثورى»** يتعرض للتصفية نتيجة مؤامرات **«حدتو»** ويطالبنى بالمحافظة على **«وحدة رفاقنا»** فى وجه هذه المؤامرات التى تستهدف ضرب «اتفاقنا» مع **«ع.ف»** وحقنا نحن وع.ف فى الحصول على أغلبية المقاعد فى اللجنة المركزيه.!!

الواقعه الثانيه: وكانت هى زيارة الرفيق « **غليل** »- **كمال عبد الحليم**- للواحات والتى تمت بعد وصول رساله **الرفيق خالد**. فى هذه الزيارة إجتمع **خليل بحميدو وناشد** ساعات طويله خلال يومين متتالين.

وكان هدف الزيارة كما عرفته من المرحوم **زكى مراد** هى أخذ صوته هو **وحميدو** على نسبة تمثيل **«الحزب الشيوعى المصرى سابقاً»** فى اللجنه المركزيه والذى يصر على أن تكون له ٩ مقاعد. و١١ مقعداً **«للموحد** و١٤مقعد لـ **ع.ف** وهو الاتفاق الذى تم بينه- اى بين الرايه- وبين **ع.ف.**

وكما عرفت من المرحوم **زكى مراد**، فان زيارة **خليل** كانت لإقناعه هو وحميدو للتصويت بالموافقه على نسبه التمثيل هذه فى اللجنه المركزية للحزب الشيوعى المصرى- حزب ٨ يناير.

الواقعه الثالثه: وكانت حضور **الرفيق سعد زهران** للواحات فى زيارة مفاجئه بعد زيارة **كمال عبد الحليم** بأيام. كان يحمل معه أسفه وأسف **«الرفيق خالد»** وكل قيادة **«الحزب المصرى»** لعدم إتصالهم بى طوال السنوات الماضية، وهم الذين يقدرون دورى الكبير فى قيام الحزب عام ١٩٥٠ ومحافظتى على وحدة الرفاق فى السجن. وتحدث باسهاب عن محادثات الوحدة حتى قيام **«المتحد»** واكتشافهم تآمر **«حدتو»** ضدهم، واتفاقهم مع **«ع.ف»**، ونجاحهم أخيراً فى الحصول على تسعه مقاعد فى اللجنه المركزيه، تشكل مع المقاعد الأربعه عشر المخصصة **لـ«ع.ف»** أغلبية كبيرة ضد **حدتو** التى حصلت على ١١ مقعداً.

غير أن هذا الحديث الذى استمر ساعات لم يكن هو هدف زيارة **سعد زهران** الحقيقى، فقد كان هدفها هو الحصول على **موافقتى وأنا ومجدى فهمى** على استمرار **«تجميدنا»** فى قيادة الحزب الجديد» حتى« خروجنا من السجن! وهو نفس الوضع الذى كنا عليه فى «المتحد»!!

وفى أواخر يناير ١٩٥٨ يطلعنى المرحوم **زكى مراد** بصفة شخصيه- على رساله من زملائه تتضمن ملخصاً لمحضر الاجتماع الأول للجنه المركزية للحزب الذى اتحد فيه جميع الشيوعيين المصريين فى ٨ يناير. كانت قضية المحترفيين هى القضيه الساخنه.. رفاق «**المصرى**» الذين يساهمون بالقدر الأكبر فى ماليه الحزب لا يوافقون على العدد الكبير من المحترفيين من أصل «**حدتاوى**» ويصفونهم «المرتزقه» و«ع.ف» ونسبه عدد محترفيها أقل بكثير من حدتو تتضامن مع «**المصرى**» ونسبه محترفيه أقل بكثير من «ع.ف». ويستمر الاجتماع ساعات يتبادل خلالها أعضاء **اللجنه المركزية** من المصرى وع.ف الشتائم مع أعضاء اللجنه المركزيه من **الموحد** وينتهى الاجتماع الأول للحزب الذى اتحدت فيه جميع التنظيمات الشيوعية فى مصر إلى استمرار الوضع الانقسامى.

وتأتينا الأخبار بعد ذلك:

* مسئول الماليه وهو من «ع.ف» لا يعطى المحترفين من «حدتو» مرتباتهم بعد الاتفاق مع «الرايه»!

* **الموحد** يمتنع عن دفع الاشتراكات لصندوق الحزب ويخصصها لتغطيه مرتبات محترفيه!

* «**الرايه**» تستخدم امكاناتها الماليه فى «تجنيد» بعض المحترفين من «**حدتو**»!

وفى الاسبوع الثانى من **مارس عام ١٩٥٨**، يأتى **كمال عبد الحليم** إلى سجن الواحات فى زيارة ثانيه- بعد زيارته الأولى منذ مايقرب من شهرين- يجتمع خلالها مع **محمد شطا وزكى مراد** للإتفاق على اللمسات الأخيرة للأنقسام.

بعدها بأيام يخبرنى زكى مراد بأن كمال عبد الحليم قد «أبعد» عن المكتب السياسى واللجنه الدائمه[1].

وتمر أيام أخرى ونسمع خبر فصل أعضاء «**حدتو**» فى اللجنه المركزية من الحزب.

وفى اليوم نفسه نستمع إلى بيان من «**الحزب الشيوعى المصرى- حدتو**» يدين التكتل. وانقسم الحزب إلى فريقين أحدهما متهم بالانقسام، والثانى متهم بالتكتل. كان الفريق الأول هو «حدتو» وكان الفريق الثانى هو «المصرى» بعد إضافه اثنين من «ع.ف» حضرا حديثا إلى الواحات!

ومنذ ذلك التاريخ أخذت العلاقات بين الفريقين تتدهور بشكل مخيف وسريع حتى وصلت إلى حد المقاطعه، بعد اشتباكات بالأيدى تدخلت الاداره- للأسف- فى فضها.

كانت ثورة العراق فى **يوليو ١٩٥٨** قد انطلقت، ومع انطلاقها بدأت سياسه «**حدتو**» تتبلور فى اتجاه التأييد المطلق وبغير أى تحفظ لسياسه عبد الناصر وحكومته.

كما بدأت سياسه «**الحزب الشيوعى المصرى ٨ يناير**» تتبلور فى اتجاه المعارضه المطلقة

---

(١) اللجنه الدائمه. وكانت مكونه من «عباس» عن «ع.ف» و«خالد» عن «الرايه» وخليل عن «حدتو». وهى تقوم بعمل السكرتير العام للحزب حيث كان من المتعذر الاتفاق على شخص واحد.

لجمالعبدالناصر.

وحرصت «**حدتو**» على اعلان التمييز بينها وبين «**الحزب**»، فأطلقت على نفسها اسم «**الشيوعيون المؤيدون**» وعلى الحزب اسم «**الشيوعيون المعارضون**»، وبدأت تتعامل مع ادارة السجن على هذا الأساس. فكان لها مندوبها الخاص الذى يتحدث باسم «**المؤيدين**» وكان للحزب مندوبه الذي اعتبرته الاداره مندوب «**المعارضين**»!

وانتقل **الشيوعيون المصريون** السجناء من الخيام المفتوحه ليل نهار فى صحراء الواحات الخارجه «**بجناح**» إلى الزنازين المغلقه فى قلب الصحراء نفسها «**بالمحاريق**»، وقد وصلت العلاقه بين فريق المسجونين فى «**حدتو**» وبين فريق المسجونين فى «**الحزب**» إلى القاع .

وخلال الربع الأول من عام ١٩٥٩، يصل إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجة، **جميع أعضاء اللجنه المركزية لحزب ٨ يناير**، عدا **الرفيق خليل- كمال عبد الحليم**- من قادة «**الانقسام**»، **والرفيق عباس- أبو سيف يوسف**- من قادة «**التكتل**»، والأغلبية الساحقه من كوادر وأعضاء «**حدتو**» و«**الحزب**»!

وتصل **الحركه الشيوعية المصرية** إلى حالة من التشرذم والتمزق والتشتت الفكرى والسياسى والتنظيمى، لم تشهده منذ الأربيعينات.

وعندما وصل الصراع بين «**الشيوعيين المؤيدين**» و«**الشيوعيين المعارضين**» إلى حافه تصفية الحركه الشيوعية المصرية، نصحت مباحث أمن الدوله بفتح زنازين السجن على مصراعيها بعد أن كانت لاتفتح سوى نصف ساعة لفسحه الصباح، وأخرى لفسحه المساء .

ودب النشاط وتضاعف الصراع اللامبدئى وتنوعت اساليبه المتدنيه والحقيرة.. وجاء **اللواء حسن المصيلحى** رئيس مباحث أمن الدوله يجنى الحصاد.. الذين إستنكروا أفرج عنهم.. والذين فيهم «أمل» يرسلون إلى مدارس «غسيل المخ».. لكن الصراع لا يهدأ أبداً.

كان وضع الأحزاب الثلاثه التى اتحدت فى حزب ٨ يناير داخل سجن المحاريق يتلخص فى الأتى:

* «**الحزب الشيوعى المصرى الموحد**».. هجرة كل أعضاء التنظيمات الصغيرة التى اتحدت مع «**حدتو**» ليقوم هذا الحزب، وتعود «**حدتو**» كتله متماسكه تطلق على نفسها بعد انقسامها عن حزب ٨ يناير «**الحزب الشيوعى المصرى.حدتو**».. امتداد «**ح.م**» بزعامه **هنرى كورييل**.

* «**حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى**»... ورث إسم «**الحزب الشيوعى المصرى**» كما ورث إلى جانب كتلته الأساسية وهى «**مجموعه الفجر الجديد**» كل قيادة وأعضاء «**الحزب الشيوعى المصرى- الرايه**» فضلا عن تنظيمين صغيرين هما «**نواة الحزب الشيوعى المصرى**، **وطليعه الشيوعيين**»... وهو امتداد للمجموعة التى أسسها «**جاكوب دى كامب**» فى الأربعينات ومن بعده «**صادق سعد وريمون دويك** منذ الخمسينيات».

* «**الحزب الشيوعى المصرى -الرايه**».. تقلص عدد ممثلية فى قيادة حزب ٨ يناير إلى ٣

اعضاء، هم **فؤاد مرسى، واسماعيل صبرى، وسعد زهران**، وتشتتت كوادره بين تنظيم **«الأفق»** بقيادة **رؤوف نظمى** ويضم الأغلبية الساحقه من الكوادر والأعضاء، والأقليه التى بقيت ملتزمه بحزب ٨ يناير، والجميع يختلفون مع قيادتهم التاريخية، ومع قيادة الحزب، ومع «حدتو».

وفى ظل هذا الوضع المعقد لمختلف التنظيمات داخل السجن تصدر **قرارت يوليو ١٩٦١** والتى تتضمن تأميم البنوك والشركات الاحتكارية والرأسماليه الكبيرة وتصل إلى السجن أخبار تقول بأن سكرتير **«الحزب الشيوعى المصرى» الرفيق عباس**[1]قدم دفاعاً سياسياً أمام المحكمه يتضمن تأييد قرارات يوليو وحكومة **جمال عبد الناصر** الوطنيه، ويدعو إلى قيام جبهه وطنيه مع الحكم الوطنى.

وعند حضور **عباس** إلى سجن المحاريق بالواحات الخارجه التقيت به ثلاث مرات، وكان موضوعها واحداً، غير أن نتائجها كان متضاربة.

فى اللقاءين الأول والثانى أكد على موقفه السابق من تأييد **جمال عبد الناصر** وسياسته الوطنية، وأكد على تمسكه بهذا الموقف مهما كان حجم ضغوط زملائه فى اللجنه المركزيه بالسجن.

أما اللقاء الثالث فقد حمل تراجعاً عن إصراره السابق الأمر الذى بدا غريبا لى حتى نمى إلى علمى أمر الاجتماعات المغلقه التى تمت بينه وبين زملائه خاصه **صادق سعد وريمون دويك**.

والأمر الأكثر غرابه أنه وقف فى اجتماع عام لجميع أعضاء الحزب فى السجن، يعلن أسفه وتراجعه عن تأييد جمال عبد الناصر وحكومته.

وفى ذلك اليوم نفسه وفى إجتماع للجنه المنطقه قدمت استقالتى من الحزب وفى نيتى أن أبدأ من جديد كما سبق أن بدأت عام ١٩٤٩.

وهكذا فرض تيار «ع.ف» اتجاهه المناهض لجمال عبد الناصر، واستمر هذا الاتجاه سائداً حتى الأيام القليله التى سبقت تصريح **جمال عبد الناصر** للصحفى الفرنسى **إريكرولو** [2] باعتزامه الافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين الشيوعيين فى **أوائل عام ١٩٦٤**. وهنا كانت نقطه التحول. إذ يصدر بيان من اللجنه المركزية للحزب يتضمن الحديث عن **«الحكومة الوطنيه»** و **«نظام الحكم الوطنى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر»** و «الطريق اللارأسمالى فى التطور» وأفاق التحول الاشتراكى بعد **إجراءات يوليو ١٩٦١** » و **«النضال من أجل الجبهة الوطنية مع الحكم الوطنى»**، بعد أن كان شعار الحزب حتى ذلك اليوم هو **«اسقاط جمال عبد الناصر»** وحكومه **«الرأسماليهالاحتكاريه». «الشريك الأصفر للاستعمار»**

---

(١) الاسم التنظيمى لأبى سيف يوسف سكرتير عام حزب ٨ يناير.

(٢) صحفى فرنسى مصرى الأصل- كان عضوا فى حدتو. وقد التقى بجمال عبد الناصر بوصفه محرر شئون الشرق الأوسط بصحيفة لوموند الفرنسيه بعد أن هاجر إلى فرنسا فى أوائل عام ١٩٥٠.

الفصل السادس
جذور الفكر الانقسامى وآثاره

كانت ملحمة رائعه لنضال جيل من الشيوعيين المصريين، خلال الفترة من ١٩٤٥-١٩٦٥.. وهى الملحمه التى انتهى فصلها الآخير، نهاية تراجيدية، حيث يتقدم الأبطال الذين لم تهزمهم أهوال السجون والمعتقلات والمنافى، ليعلنوا طواعيه وبإرادتهم «الحره» إنهاء شكل تنظيمهم المستقل.. والإنضمام- كأفراد- إلى التنظيم الذى اختارته الدولة وتحت قيادتها. «الاتحاد الاشتراكى»

لكن هذه النهاية، يصعب فهمها بعيداً عن المناخ العام الذى ساد الحركه الشيوعية المصرية منذ نشأتها، وحتى لحظه اعلان نهاية تنظيماتها المستقله.

فما كان من الممكن الإقدام على هذه الخطوة لولم يكن وباء الإنقسام قد وصل بالحزب الذى اتحد فيه الشيوعيون المصريون إلى حالة أليمة من الإنقسام والفوضى والتحلل.. فضلا عن إنبهار قياداته بالمنجزات التى تحققت فى ظل قياده عبد الناصر الوطنيه.. التى كانت تسير فى طريق التطور الاقتصادى المستقل، بل وتحمل توجهات ذات طابع اشتراكى.. تتفق مع أهداف القوى الاشتراكية فى مصر والعالم الاشتراكى.

وذلك يعنى أن الظروف الذاتية للحركه الشيوعية المصريه- الانقسامات والفوضى- امتزحت بمنجزات الحقبة الناصرية فى ذروة نضالها ضد الامبرياليه العالمية، وبروز سياستها المعبرة عن إختيار طريق جديد للتطور الاقتصادى- يحمل بعض معالم الطريق الاشتراكى- بدون قيادة القوى القادرة وحدها على السير بحزم فى هذا الطريق. ولقد أثبتت الأحداث التى أعقبت وفاة **جمال عبد الناصر**، مدى هذا الخطأ القاتل. فلا يمكن الحديث عن إختيار طريق إشتراكى بدون حزب يقود هذا الإختيار.

هذه الظروف يصعب تجاهلها.. كما يستحيل تجاهل هيمنة العنصر الأول- أى الانقسامات- لما إنتهى إليه مصير غالبية جيل الأربعينيات، والخمسينيات من الشيوعيين المصريين. يضاف إلى ذلك إغراءات السلطة، فمن الصعب تجاهل هذا العنصر. فالكثير من القيادات المسئوله عما وصل إليه الوضع من تردٍ، كانت على صله بالسلطه، عن طريق «وسطاء» يحملون وعوداً مغريه. فضلا عن وجود صلة قديمه بين هؤلاء «الوسطاء»، وبين عناصر بارزة من القيادات الشيوعية. وخصوصاً «حدتو».

والسؤال الأول الذى يفرض نفسه هو:

إذا كان وباء الانقسام يشكل أحد الحلقات الرئيسية المسئوله عما آل إليه مصير مرحلة خصبة من تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، بل ومصير الاتجاهات اليسارية والديموقراطيه والاشتراكية التى أصابها وباء الانقسام بالتشتت والتردد والإحباط.. فمن أين جاء «ميكروب» هذا الوباء؟ ومن المسئول عن خلقه وانتشاره «واستيطانه» حتى اللحظه الأخيرة من اعلان حل حزب ٨ يناير ١٩٥٨ «**الحزب الشيوعى المصرى**»، بكل ما ترتب على هذا القرار من آثار يصعب حصرها الآن؟

إنه سؤال شائك.. قدمت عشرات الاجابات عليه، كل إجابة طرحت تفسيرها الذاتى النابع من رؤيتها الخاصه.

وأعتقد أن من حقى، بل ومن واجبى، باعتبارى أحد القيادات المؤسسة للحركه الشيوعية المصريه، منذ بداية الأربعينيات، وحتى الافراج عنى عام ١٩٦٤ بعد سجن واعتقال استمر ١٢ عاما، أن أقدم شهادتى النابعه من تجربة بدأت «**بالحركه المصريه للتحرر الوطنى**» ثم «**بالحركه الديموقراطية للتحرر الوطنى**».وإنتهت «**بالحزب الشيوعى المصرى**» الذى أطلق عليه البعض اسم حزب «**الراية**».

وشهادتى للتاريخ وللأجيال الجديدة من المناضلين من أجل الأهداف التى ضحيت من أجلها بمعظم سنوات عمرى، يمكن تلخيصها فى الأتى:-

أولاً: الحركه الشيوعية المصرية التى غرست بذورها أثناء الحرب العالمية الثانية، وامتدت جذورها وأينعت بعد إنتهاء هذه الحرب، اتسمت منذ بدايتها بطابع الانقسام.. الذى تجسد فى ظهور ثلاثه تنظيمات أساسية مستقله، هى «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» و«**ايسكرا**» و«**الفجر الجديد**» لكل تنظيم قيادته المستقله.. وكل قيادة تؤكد ثوريتها وإنتهازية الآخرين.

ثانيا: عندما أحس الشيوعيون المصريون بخطورة الإنقسام، أرتفعت الأصوات المعبرة عن ضرورة الوحدة، فاتحدت «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» مع «**ايسكرا**»، وظهرت «**الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى**» «**حدتو**»، كأول تنظيم يوحد تنظيمين من التنظيمات الثلاثه الرئيسية فى ذلك الحين.

ثالثا: لم تستطع هذه الوحدة مقاومة التيار الانقسامى.. المتمثل فى سعى كل من قيادة «**ايسكرا**» و «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**»، إلى استقطاب كوادر الطرف الأخر نحوها واقناعها بسلامة خطها السياسى.

ولعل موقف قادة «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» بعد هذه الوحدة، وعلى رأسها **هنرى كوريل** يجسد بعمق هذه الحقيقة. فبعد الوحدة وكنت أنتمى إلى كوادر الحركه المصرية وعلى صله وثيقة بزعيم هذه الحركه.. بل وكنت مشهوراً بأننى من أخلص المقتنعين بقيادة الزميل «**يونس**»- أى **هنرى كوريل**-. واستناداً إلى هذه الصلة الوثيقة بينى وبينه أثناء تلك الفترة، كان **كوريل** يعتبرنى ضمن الحلقة الضيقة من كوادر الحركه المصرية الموثوق بها.. ويعبر عن

أفكاره معى بوضوح كامل.. والتى- كما أشرت من قبل- لم تكن تخرج عن ضرورة «تجنيد» كوادر «**ايسكرا**» إلى **خط الحركه المصرية**، رغم أن **الحركه المصرية وايسكرا**، كانتا من الناحية الشكلية على الأقل، متحدين فى تنظيم واحد، اسمه **الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى**، وتحت قيادة واحدة.

رابعا: ولأننى عايشت هذه المرحلة، وعانيت بعد ذلك من آثارها، فإننى أسجل شهادتى عنها، وبعد مرور ما يقرب من ٤٢ عاما على أحداثها، بقدر كبير من الموضوعية.. بعد زوال جميع عوامل التحيز والتعصب لهذا الاتجاه أو ذاك.

ومن هذا المنطلق فإننى أسجل بأن الفترة القصيره ما بين الوحدة الأولى- ١٩٤٧ **ايسكرا والحركه المصرية**- وبين انفجار الانقسامات عن التنظيم الذى جسد هذه الوحدة ١٩٤٨- أى حدتو- لم تكن سوى المحصله المنطقيه والحتمية.. لإتجاهات لم تستطع الوحده الشكليه الحد من شرورها.

ذلك أن قيادات «**ايسكرا**» كانت تتميز بمستو عال من الدراسات النظرية، بينما كانت قيادات «**الحركه المصرية**» تفتقر إلى هذا الجانب وتركز على النشاط العملى. وكان الزميل «**يونس**» يسخر من الاهتمامات النظرية والثقافية لعناصر إيسكرا، ويؤكد لنا أن «**التيار الثورى**» اى الحركه المصرية، يجب أن يجذب إليه جميع المخلصين من التيار الآخر.

خامسا: وخلاصة الدروس المستمدة عن أحداث تلك المرحلة تشير إلى حقيقة يصعب انكارها، وهى أن جذور الفكر والسلوك الانقسامى، بدأت منذ مولد الحركه الشيوعية المصرية،- الوسيطه- أى التى برزت منذ بداية الأربعينيات وأنهت وجودها التنظيمى فى منتصف الستينيات والتى تختلف عما سبقها من تنظيم شيوعى فى العشرينات .. كما تختلف عما أعقبها بعد ذلك فى أوائل الثلاثينيات. ومن هنا إخترت لها اسم «الحركه الوسيطه».

والواقع **أن حدتو، والحزب الشيوعى المصرى، وحزب العمال والفلاحين الشيوعى**، كانوا يشكلون العمود الفقرى للحركه الشيوعية المصرية- الوسيطة- أى ما بعد ذبول ما تبقى من الحزب الشيوعى فى العشرينيات وجزء من الثلاثينيات- وما قبل الحركه الشيوعية التى برزت بعد حل تنظيمات الحركه الوسيطه عام ١٩٦٥.

ولأن هذه التيارات الثلاثه- **حدتو**- و«**الحزب الشيوعى**» و«**طليعه العمال**» كانت تختلف إختلافاً جوهرياً عن التنظيمات الصغيرة - التى اتحدت مع حدتو عام ١٩٥٥-، من حيث الحجم والتأثير وشكلت معها الحزب الموحد فإن وهم إنتصار حدتو لم يكن له ما يبرره.

فإذا كانت حدتو قد استطاعت السيطرة على الحزب الموحد بعد «تجنيد» كوادر التنظيمات الصغيرة فى اللجنة المركزية إليها، فإن **الحزب الشيوعى المصرى، وحزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى**، كانا قضية صعبه معقدة.. كلاهما يؤمن بنفس نظرية النمو الذاتى..

كلاهما يؤمن بقدرته على السيطرة على الحزب بعد الوحدة، بفضل تاريخة، أو قدراته التنظيرية، أو نفوذه بين الجماهير.

وهنا تلزمنى أمانه شهادتى للتاريخ بالاعتراف بحقيقة يصعب الشك فيها.. فإذا كان تيار حدتو قد اشترك فى الوحدة التى اسفرت عن تكوين **الحزب الشيوعى المصرى - فى ٨ يناير ١٩٥٨** - وهو الحزب الذى إنطوت تحت لوائه التيارات الكبرى الثلاث فى الحركه الشيوعيه المصرية- **حدتو- الراية- ع.ف**- بهدف السيطرة عليه، فإن الهدف نفسه كان يحرك الأخرين.

ويعترف الدكتور **فؤاد مرسى سكرتير عام الحزب الشيوعى المصرى** قائلا: **«عندما أعود بالذاكرة إلى هذه الأيام والاحداث، فاننى اكتشف شيئاً غير مقهول، هو ذلك الذى مزقنا شر ممزق وأعتقد أنه فى ذلك الحين. كانت كل منظمة تحاول أن تحصل على أكبر قدر من فرص القيادة فى الحزب الجديد، وأن كل منظمة قد حاولت أن تدعى أنها كانت أكثر عدداً من الأخريات»**

وهو اعتراف خطير، سجله **الدكتور رفعت السعيد**[1] مستنداً إلى محضر نقاش مع الدكتور فؤاد مرسى.

وتكتمل الصورة حين يقول **حلمى يسن** وهو من القيادات البارزه لتنظيم ع.ف **«كان هدفنا أن يدخل الكادر إلى الوحدة مع حدتو محصنا بمفاهيم ثابتة»**. ثم يلخص الموقف كله- وبعبارات بسيطة- **فخرى لبيب** أحد قادة تنظيم «طليعة الشيوعيين»[2] ثم «الموحد» ثم «حزب ٨ يناير» قائلا: **«فى تقديرى أن الوحدة تم التوجه إليها دون هزيمة الأفكار الانقسامية.. الوحدة لم تتم على أساس فكر توحيدى.. وإنما تمت فى إطار افكار وممارسات انقساميقوية»**.

هكذا نرى الوجه الحقيقى للمد الوحدوى الذى بدأ منذ عام ١٩٥٥، ووصل ذروته عام ١٩٥٨عندما أعلن تكوين أول حزب شيوعى مصرى يضم جميع التيارات الرئيسية فى الحركه الشيوعية المصرية «الوسيطة»..

لقد كان مداً زائفاً.. مداً انهزامياً انقسامياً من حيث الجوهر.. جميع الأطراف التى فجرت مياهه، لم تكن مؤمنة بقضية الوحدة.. ولا حتى بوجود جبهة تتحد فيها جميع الأطراف، بصدق، ودون مناورات ومؤامرات مدمرة.

---

(١) رفعت السعيد: تاريخ الحركه الشيوعية المصرية ١٩٥٧- ١٩٦٥ ص٢٢

(٢) أحد التنظيمات الشيوعية الصغيرة التى خرجت من حدتو ويرمز له ب «ط.ش».

الاحباط الفكرى والمعنوى

وإذا كانت جذور الفكر الانقسامى، قد أفرزت كل ما أصاب الحركه الشيوعية المصرية من تشتت وتشرذم، وأجهضت جميع محاولات الوحدة. بل واسهمت بدور رئيسى فى حل الحزب فى نهاية الأمر، فان الأخطاء السياسية أفرزت ما يمكن وصفه بالاحباط الفكرى والمعنوى عند معظم قيادات هذه الحركه، الأمر الذى شكل المزيد من العوامل الأضافيه.. إلتحمت بالخطايا التنظيمية، وألهبت خطى السير نحو الهاوية.. التى ابتلعت فى منتصف الستينات، مرحله مجيده وعظيمه من نضال وتضحيات الآلاف من الشيوعيين المصريين.

والأخطاء السياسية عديدة وخطيرة، تبدأ من العجز عن فهم ظاهرة تفكك النظام الاستعمارى بعد الحرب العالمية الثانية، وأثر هذه الظاهرة فى تحديد خطى النضال الوطنى فى كل بلد مستعمر أو شبه مستعمر.. وتمتد إلى عدم إدراك دور مصر فى حركه التحرر العربى، وحركه التحرر الافريقى، والعجز عن فهم العلاقة العضوية بين الوطنيه المصرية والقومية العربية.. وبالتالى افتقاد الوعى بالأبعاد الخطيرة للحركه الصهيونيه العالمية وتخطيطها الجهنمى لإقامه دوله اسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات.

وعندما أتامل اليوم هذه الرحله النضالية الطويلة، بكل ما حملته من أمجاد وأخطاء، ادرك مدى نسبيه الوعى.. بل سطحيته. ذلك **«الوعى»** الذى ساد الحركه الشيوعية المصرية خلال الأربعينيات والخمسينيات. وأعترف بأننى عشت سنوات طوال، معتقداً بأن أعلى درجات الوعى السياسى، والطبقى، والأممى، لاتتجاوز حدود الوطنية المصرية، والإرتباط بالأمميه الاشتراكيه، وتأييد حركات التحرر الوطنى.

لم يكن هناك وعى بالعلاقه العضوية بين الوطنيه المصرية والقومية العربيه.. ولا وعى بالأبعاد الخطيرة لإقامه دوله «اسرائيل».. وأثرها على قضيه الأمن المصرى ذاته، فضلا عن الأمن القومى العربى.

كما لم تكن هناك دراسات حول الدوائر الثلاث التى تحدث عنها **جمال عبد الناصر عام ١٩٥٣**، فى كتاب فلسفة الثورة. وهى الدائرة العربية، والافريقية، والاسلامية، وعلاقتها بقضية النضال الوطنى.. رغم أنه توصل إلى هذا «الوعى» وهو فى ذروة «الفاشيه»، كما كنا نتوهم فى ذلك الحين.

بل أن مفهوم الحياد الذى طرحته أقسام من البورجوازية المصرية منذ الأربعينيات بين القوى العالمية الكبرى، لم تدرك قيادات الحركه الشيوعية المصرية أبعاده، أو تعى دلالاته، إلاَّ فى مرحلة متأخرة، وبعد أن برزت بالفعل كتله دولية واسعه، جعلت من شعار الحياد الإيجابى قوة نشطه فى النضال من أجل التحرر والتقدم فى العالم.. رغم أن التغيير الذى حدث لهذا الاسم بعد ذلك ليصبح «عدم الانحياز» لم يحدث تغييرا كبيرا على مضمون الشعار القديم.

ثم نصل إلى أفدح الأخطاء، أو الخطيئة السياسية الكبرى، وهى العجز عن فهم ما حدث

صبيحة الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٥٢.

وهو خطأ- أو خطيئه- ينبع من مصدرين يصعب الفصل بينها، وهما:

أولاً: العجز عن إدراك مغزى وأبعاد الانقسام الجديد للعالم بعد الحرب العالمية الثانية.. وأثره على الحركه الوطنية والطبقات الاجتماعية فى المستعمرات وأشباه المستعمرات.

ثانيا: العجز عن فهم النتائج العميقة لهذه العمليه، خلال مجرى الثورة فى كل بلد على حدة.. ومدى الاستقطاب الاجتماعى الناتج عنها.. بحيث يدفع بالقوى الرجعية إلى أحضان الأحلاف الاستعمارية دفاعا عن نظامها.. ويدفع فى الوقت نفسه، بقطاعات واسعه من المعبرين فكرياً عن الشرائح الوسطى والصغيره من البورجوازية المصرية، إلى التجاوب مع الفكر الثورى المعبر عن الطبقات الثورية والوطنية والالتقاء معه.

وكان من المنطقى، أن تكون محصلة هذا العجز، هى الفشل فى فهم ما حدث فى الثالث والعشرين **من يوليو عام ١٩٥٢**.. وأن يتراوح الموقف من هذا الحدث، بين التأييد الكامل دون تحفظ، وبين وصمه بالفاشيه أو الدكتاتورية العسكرية والعماله للإمبرياليه!

كانت **«حدتو»** وهى فى ذروة علاقاتها مع بعض ضباط الصف ومع عدد قليل من الضباط الذين شاركوا فى اندلاع **«حركة الجيش»** قد عجزت عن فهم طبيعة القوى المسيطرة على هذه الحركه. أى أنها استندت فى موقفها إلى عنصر واحد، وهو وجود عناصر على صله بها، لكنها لم تدرك وجود أغلبية فى المراكز القيادية للحركه لاتعرف عنها شيئا.

والواقع أن موقف حدتو يماثل تماماً موقف الاخوان المسلمين من **«حركه الجيش»** فهم أيضا- أى الاخوان- اعتقدوا أنها «حركتهم».. لأن فى قلب قيادتها، عناصر كانت على صله وثيقة بهم. لذلك شاركوا حدتو فى التأييد شبه المطلق، دون معرفه حقيقة بالخلافات العميقة بين هذه المجموعة من الضباط من ناحية، وعمق التناقض بينهم وبين الرجل الذى اختاروه فى أول الثورة قائداً رسمياً، لحركتهم، وهو **اللواء محمد نجيب** من الناحية الثانية.

كانت تحليلات معظم قادة الفكر الماركسى منعزلة تماماً عما يجرى من أحداث وصراعات داخل مجلس قيادة الثورة»

ومن هنا إنقلبت سياسة **«حدتو»** من النقيض إلى النقيض من **«حركه وطنيه»** إلى **«دكتاتورية عسكرية»**. من **«التأييد المطلق»** إلى رفع شعار **«شعب مسلح ضد عصابة مسلحة»**.. أى دعوة الشعب إلى حمل السلاح ضد **«العصابةالحاكمه»**

ونفس المأساة حاصرت التيارات الأخرى.. التى «تفاخرت» بأنها أول من كشف الطبيعة **«الفاشية»** لحركه الجيش- **الحزب الشيوعى المصرى- الذى أطلق عليه «الرايه»**- أو التيارات التى حرصت على منافسته فى حمل شرف المبادرة بالهجوم على هذه الحركه.. ومن بينها **«حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى»**.. والذى عرف فى تاريخ الحركه الشيوعية المصرية باسم «د.ش» ثم «ع.ف».

الفصل السابع
النهاية المأساويه للحزب الشيوعى المصرى

فى إطار المناخ الفكرى للتنظيمات الشيوعيه منذ عام ١٩٥٩، نستطيع إدراك ردود أفعال معظم قياداتها تجاه مواقف وقرارات القيادة الناصرية. فبعد مؤتمر باندونج وتأميم قناة السويس، ومواجهة العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وتمصير البنوك والمؤسسات الأجنبية، وتدعيم العلاقات مع الدول الاشتراكيه.. بعد هذه المواقف وغيرها برزت الحيرة والتخبط والاهتزاز الفكرى. وتصدى بعض المنظرين للتبشير بظهور «**بورجوازية من نوع جديد**».. **وطنيتها ثابته راسخه، متأثرة بانتصارات المعسكر الاشتراكى.** نقدت طبيعتها المزدوجة. وقيل أن «**فاشى مصر الأول**» الذى «**ذهب إلى باندونج يبحث عن المجد**» كان هو **جمال عبد الناصر** نفسه الذى اتخذ هذه السلسله من المواقف، التى رفعته بعد ذلك إلى مستوى القائد الوطنى الثورى، وبطل أمته، إلى آخر ما أطلق عليه من صفات من جانب من كانوا يصفونه بالفاشيه أو الدكتاتورية العسكريه. واستمر الحديث عن فاشى مصر حتى عام ١٩٥٥، بينما كان الحديث عن البطل الوطنى فى عام ١٩٥٦.

والأمر نفسه ينطبق على من كانوا يصفون قيادة ثورة يوليو بالدكتاتورية العسكرية والعصابة المسلحة.. فقد انقلبت الدكتاتورية إلى ذروة الوطنية والثورية، «**وتحولت العصابة العسكريةالمسلحة**» إلى «**مجموعة اشتراكيه**»!

وفى عام **١٩٥٧**، أصدرت التنظيمات الثلاثه «**الحزب الشيوعى المصرى**» و «**الحزب الموحد**» و «**حزب العمال والفلاحين**» خلال محادثات الوحدة بيانا يقول :«**المستعمرون وعملاؤهم يذرفون دموع التماسيح على ما يدعونه من إهدار الحريات فى مصر متجاهلين أن الشعب المصرى والوطنيين جميعا لم يتمتعوا فى يوم من الأيام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم**»

وفى **فبراير ١٩٥٨** أصدر **الحزب الشيوعى المصرى- حزب ٨ يناير**- بيانا يقول فيه «**أنه لا يجب أن ننظر إلى مستقبل التطور الديمقراطى من زاوية وجود الأحزاب وحدها**». وحذر من «**الانحراف بقضية الوحدة الوطنية وتدعيمها إلى وضع مسأله الأحزاب فى مركز الأحداث**»

ولكن إذا كانت أوصاف الفاشيه والدكتاتورية العسكريه قد سقطت عن **جمال عبد الناصر**،

واستبدلت بالوطنية والثورية والديموقراطيه فى اعوام ١٩٥٦، ١٩٥٧، ١٩٥٨، فإن هذه الأوصاف الجديدة قد سقطت هى الأخرى عنه فى عام ١٩٥٩، مع خروج «حدتو» من **«الحزب الشيوعى المصرى»**- حزب ٨ يناير-، واستمرار بقاياة فى صورة أغلبيه تمثلها **«العمال والفلاحين»** وأقليه تمثلها - **«الحزب الشيوعى المصرى» «الرايه»**. وظل توصيف السلطه لدى الأغلبيه هو **«رأسماليه الدوله الاحتكاريه»** ومن ثم رفعت شعار **«اسقاط الحكومه- الشريك الأصغر للإستعمار»**. بينما اعتبرت الأقليه أن السلطه هى سلطه **«البورجوازيه الكبيرة التوسعيه» التى تعمل على السيطره على البلاد العربية لخدمه مصالحها الاقتصاديه.**

ثم جاءت ذروة التخبط والعجز.. بعد الضربات التى وجهت إلى الرأسماليه الكبيرة، **بقرارات يوليو عام ١٩٦١**، وما أعقبها من مؤامرة تحطيم الوحدة المصرية السوريه، واتجاه القيادة الناصرية نحو سياسة أكثر راديكاليه، تمثلت فى حل الاتحاد القومى، واعلان الميثاق الوطنى، وتقديم صفه جديدة للوحدة الوطنية ترتكز على العمال والفلاحين والرأسماليه الوطنية، واستبعاد كل القوى التى ضربت إقتصاديا من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين، والرجعيين عموماً، من التواجد داخل التحالف الجديد، أى الاتحاد الاشتراكى.

ومثلما كانت مواقف باندونج، وتأميم قناة السويس، ومواجهة العدوان الثلاثى، مفاجأة لمعظم القيادات الماركسية عام ١٩٥٦، دفعتها إلى مأزق صعب.. تمثل فى كيفية اقدام الفاشيه أو الدكتاتورية العسكرية على ذلك، ثم الاندفاع والتأييد والإشادة بالقيادة الوطنية والثورية، فإن المأساة نفسها تكررت بعد قرارات التأميم، وما أعقبها من مواقف شديدة العداء للإستعمار والرجعية المصرية والعربية. إذ كيف يمكن للبورجوازية الكبيرة الحاكمه، الشديدة الشراهة للإستغلال والتوسع، أو رأسماليه الدولة الاحتكارية، أن تقدم على ضرب مصالحها الجوهرية وهى فى السلطه؟

كيف تتجه قيادة الرأسماليه التوسعيه الاحتكاريه إلى اتخاذ قرارات ضد مؤسساتها الاقتصادية، وتضع أموالها «تحت الحراسه» وتحيط قيادتها الاقتصادية بسياج سميك من التحفظ، وتحديد الإقامة، بل وأحيانا الاعتقال؟

إنها معضله بلا شك، تعبر عن تناقض خطير بين التفسير والواقع العملى. فكيف يمكن الخروج من هذا المأزق الجديد؟

والمعضله لم تقف عند هذا الحد.

بعد المواقف الجديدة «للفاشيه» ثم «الوطنيةالثوريه» ثم «الرأسماليةالكبيرة الاحتكاريه» برز فى الفكر الماركسى العالمى، ما أطلق عليه **«الطريق اللارأسمالى للبلاد المستقله حديثا»**.. **«طريق التطور الجديد الذى يقود فى النهاية إلى الاشتراكية»**. واحتلت بعض المطبوعات السوفيتيه الصدارة فى هذا الميدان. وكانت مصر فى مقدمة النماذج المعبرة عن إختيار هذا

الطريق حيث الرأسمالية الوطنيه التى «**تنازلت عن مصالحها فى سبيل مصلحة الأمة كلها**» كما كتب **كاتب سوفيتى** مشهور.

وعند قراءة هذه الافكار، التى لا تعدو أن تكون مجرد إجتهاد نظرى، تعاظمت سحب البلبلة عند فريق من القياديين وخاصه **قادة- المصرى- وقاده العمال والفلاحين**- بينما استقبل قادة «حدتو» هذه المطبوعات بالإبتهاج، باعتبارها تؤكد سلامة نظرية وجود «**مجموعة اشتراكيه**» فى قمه السلطه فى مصر.

لكن هذا الإبتهاج كان سطحيا.. ظاهرياً.. يخفى تحته إحساساً بالفشل.

فالنضال الطويل «**لحدتو**» منذ الأربعينيات من أجل قيادة حركه التحرر الوطنى والتقدم نحو الاشتراكيه وصل إلى مأزق صعب.. فالقيادة التى اعتبرتها «**حدتو**» دكتاتورية عسكرية، وعصابة خائنة، وأدانت توقعيها على اتفاقيه الجلاء، وهاجمت مجمل سياستها خلال سنوات ٥٣، و٥٤ وحتى نهاية ١٩٥٥، هذه القيادة هى التى قادت النضال الوطنى، وهى تسير بالمجتمع نحو الاشتراكيه!

وكان رد فعل «**الحزب الشيوعى المصرى**»- **حزب ٨ يناير**- بعد خروج «**حدتو**»، أشد عنفا.

ذلك أن ذروة الإنتصار الكبير لقيادة **الحزب الشيوعى المصرى**- الذى أطلق عليه اسم «الرايه»- كانت أثناء مرحله النضال ضد الفاشيه المزعومة.. وإقتناع جميع أعضائه، بعبقرية قيادته- التى كشفت العصابة الفاشيه منذ اليوم الأول. وكانت قيادة «**العمال والفلاحين**» تفخر بالموقف نفسه من هذه العصابه!

فكيف يكون رد الفعل، عندما تكتشف هذه القيادة، ومعها الحزب كله، بأن «الفاشيه» تسير فى طريق معاد للرأسماليه، وتحمل فى طياتها إمكانيه الاسهام فى بناء الاشتراكيه؟

عندئذ بدأت مقدمات الشعور بالاحباط.

الأمجاد القديمه تحولت إلى سراب، الثقه فى قيادة الحزب تهاوت تحت ضربات الأحداث. والامل فى حزب كبير يستوعب جميع الشوريين وتعترف به الأممية الاشتراكيه تبدد. فالحزب الذى أسفرت عنه الوحدة، تحول إلى فرق متنازعه. والكوادر الوسطى **للحزب الشيوعى المصرى- الرايه**- التى طالما هتفت بحياة الرفاق قادة الحزب، تمردوا على هذه القيادة. وقادة «**العمال والفلاحين**» غير قادرين على فهم ما يحدث، و«**حدتو**» تبدو ظاهرياً منتشيه بأوهام إنتصار خطها السياسى.

كل شئ بدا غريبا. لم يبق من الحزب الذى اتحد فيه جميع الشيوعيين، سوى لافته سرية وهميه.. تحت قيادة منقسمة على نفسها.. وتحت هذه قيادة العديد من الفرق والاتجاهات الساخطه أو المحبطه.

ومع الافراج عن جميع المعتقلين والمسجونين الشيوعين عام ١٩٦٤، وخروج القيادات

الرئيسية من المعتقل والسجن، وهم فى حاله يرثى لها من الخلافات والتشرذم، كانت الخيوط الرفيعه بين الاحباط والانهيار، توشك على التمزق.

ثم جاء الانقاد «الوهمى» فى صورة تكوين الدوله الناصرية لحزب طليعى سرى، يكون بمثابه قيادة للاتحاد الاشتراكى. إنه حزب «**طليعه الاشتراكيين**».. الذى تقود مستوياته، وسياسته السلطه الرسميه، المتمثله فى القيادة الناصريه.

وبسرعة مذهلة تحول الفرقاء إلى حلبه سباق مثير نحو حزب «**طليعه الاشتراكيين**»

وكان معظم قادة «**حدتو**» هم الأسرع خطا فى هذا السباق. فلم ينتظروا حتى ينعقد مؤتمر «**حدتو**» ليعلن «حل التنظيم رسميا».. بل سارعوا إلى حزب السلطه دون التفات إلى المؤتمر الذى اقتصر على عدد محدود جداً، وأصدر بيانا يعلن حل تنظيم حدتو.. ويرسل **كمال عبد الحليم** برقيه إلى السلطه لإثبات أسبقية **حدتو** فى حل التنظيم والولاء للسلطه.

ثم لحق بهم بقية المتسابقين من بقايا قيادات وبعض كوادر «**الحزب الشيوعى المصرى**» - **الرايه - وحزب العمال والفلاحين.**

وفى بداية عام ١٩٦٥، نشرت صحيفة الأهرام خبراً قصيرا.. يعلن أن **الحزب الشيوعى المصرى، عقد مؤتمراً وقرر فيه اعلان حل نفسه وإنهاء تنظيمه المستقل.**

إنها نهاية مأساويه، ومنطقيه، فيها يتجسد البحث عن خلاص من محنه الفشل.. والهروب من الحساب. والبحث عن دور جديد فى ظل القيادة التى اعترف بها الجميع. قيادة السلطه الناصرية.

وهناك عوامل أخرى أسهمت فى تقرير هذه النهايه.. من بينها أوهام المشاركه فى السلطه على المدى الطويل، واحتياج هذه السلطه إلى «**منظرين**» لسياستها الجديدة.. والوعود التى قدمت بوضع بعض هذه القيادات فى مناصب هامه فى دولة «**التطور اللارأسمالى**» الذى يمهد الطريق إلى الاشتراكيه.

لكن هذه العوامل ثانويه. العنصر الرئيسى هو الاحباط النابع من التخبط الفكرى والأيديولوچى، حول تحديد هوية السلطه، والذى تأرجح بين الفاشيه والدكتاتورية، والبورجوازية التى هى من نوع جديد، ثم الرأسماليه الكبيرة التوسعيه.. ورأسماليه الدولة الاحتكارية.. وأخيراً السلطه الثوريه المتجهه إلى الاشتراكيه.

وقد يسأل البعض وأين كنت أنت أثناء هذه التطورات؟

وأجيب بالآتى: لقد قبض علىَّ قبل إنطلاق «**حركه الجيش**». وفى السجن - كما سبق أن أشرت - كنت من المؤمنين عند قيامها بأنها حركه وطنية، تعتبر إمتداداً متطوراً لإنتفاضه الثورة العرابية. وسجلت موقفى هذا فى برقيه أرسلتها إلى قادة الحركه، وفى محضر التحقيق معى أمام النيابة.

وجاء موقف قيادة الحزب خارج السجن ليبدد هذا الاقتناع. أو لنقل دفعنى أول الأمر إلى الخضوع لقرارتها، والمتمثله فى أنها حركه فاشيه، رغم قناعتى بعكس ذلك.

ومع تطور الأحداث، وإنعزالى فى السجن، تراجعت عن قناعتى، واعترفت بخطأ موقفى.. واندفعت فى تيار الإشادة بالقيادة العبقريه التى اكتشفت الفاشيه منذ الساعات الأولى.

لكن موقفى هذا تغير منذ مؤتمر باندونج.. أى منذ عام ١٩٥٥ وقبل أن تغير قيادة الحزب خارج السجن موقفها. وعدت إلى ما توصلت إليه من قبل.. أى عند قيام حركه الجيش باعتبارها الجزء الأكثر قدرة فى الحركه الوطنية على الإطاحة بالنظام الملكى القديم. وأن سلطه ٢٣ يوليو تعبر عن مصالح البورجوازية الوطنية، وإن كان ممثلوها فى السلطه ليسواهم الممثلين التقليديين لها. والذين بدأوا يتناقضون معها منذ قيام المؤسسة الاقتصادية عام ١٩٥٤، وكان تأميم بنك مصر ضربة لمصالح البورجوازية الاحتكارية، ثم كانت اجراءات يوليو ١٩٦١ ضربة لمصالح البورجوازية الكبيرة لمصلحه البورجوازية المتوسطه.

فيما يتعلق بالجانب التنظيمى، المتعلق بقرار «حل الحزب» فإننى لم أشارك فى هذا المؤتمر.. ولم أدع إليه.. بل كنت ضمن القراء الذين التقطت عيونهم هذا الخبر فى صحيفة الأهرام عام ١٩٦٥.

ومرةً أخرى يبرز سؤال بماذا نفسر هذه السلسة الطويله من الأمجاد النضاليه، والأخطاء السياسيه؟

فى اعتقادى أن من سيطروا على التنظيمات الرئيسيه الثلاثه فى الاربعينيات- الحركه المصرية للتحرر الوطنى بزعامه هنرى كوريل، وايسكرا بزعامه هليل شوارتز، والفجر الجديد بزعامه جاكو دى كامب، كانوا من الأجانب. ومن سيطروا على المنظمات الرئيسية- الحزب الشيوعى المصرى، والفجر الجديد- التى غيرت اسمها إلى طليعه العمال- والحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى منذ بدايه الخمسينات كانوا أشبه بالغرباء عن الواقع المصرى.

فالفكر الثورى لا يكتسب شرعيته من مجرد استناده إلى نظرية ثوريه. بل يجب أن يكون أولاً فكراً نابعاً من بيئته. أى أن يكون فكراً مصريا عربيا. ليس فقط بتقديه تصورات ونظريات تعبر بشكل ما عن الواقع- بل وهذا هو الأهم- أن يكون نتيجة أو محصلة لأسلوب مصرى عربى فى التفكير، ساهمت فى تشكيله عناصر عديدة. أوجمله معطيات.. تشمل الفهم الدقيق للواقع كما هو.. بكافة تفاصيله.. ونوع تناقضاته، وحركه هذه التناقضات أساسية كانت أم ثانويه.

فإنتماء المثقف الثورى الحقيقى إلى واقعه، يستلزم عدّة شروط، فى مقدمتها أن يكون بالفعل منتميا إلى واقع بلاده كما هى، وأن يفكر من داخل ثقافة وتقاليد وظروف وطنه. وذلك يستلزم الغوص فى مظاهر التفرد والخصوصيه لهذا الوطن. فلا يكفى التفكير والتنظير فى

قضاياه.. بل ينبغى أولاً التفكير من خلال تاريخه وتراثه، وتقاليده، ونوعيه جماهيره وكيفيه التعامل معها.

هذه العناصر مجتمعه هى التى تشكل أسس التفكير الثورى كما ينبغى أن يكون.

لكن معظم القيادات الماركسيه- وأنا من بينها- كانت تتحدث بالعربية، وتقدم نظريات وبرامج تبدو من حيث الشكل مصريه عربية، بينما هى من حيث المضمون أجنبية. أى أنها جاءت ثمرة لطريقة فى التفكير، ترتبط عناصرها ومناهجها بعالم آخر.. طريقة تفكيره تستند إلى خلفية ثقافيه غريبة عن عالمنا.. ترتكز إلى تراثه الثقافى ومحيطه الاجتماعى.. بل ونظرته إلى مجرى الثوره، كما تحددها مكونات منهجه. فكيف تتفق الرؤية المنبثقه من ثقافة بلد بعينه.. مع ظروف بلد آخر؟

وقد يرى البعض أننى شديد القسوة على رفاقى وأصدقائى من قيادات الحركه الشيوعيه خلال مرحله الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات.

وقد يذهب أخرون إلى ما هو أكثر من ذلك.. فيرون فى منهج نقدى لما جرى، نوعا من الهجوم على تاريخ عظيم صنعه أبطال هذه المرحلة التى أتناولها بالتحليل والنقد.

وأعترف أننى كنت واضحاً فى رؤيتى.. حاداً فى تحليلى.. وأن هذا التحليل سوف يسبب الضيق لعدد من رفاق المسيرة النضاليه المشتركه، وقد يرون فيها اتجاها عدائيا.

وأريد أن أوكد لهؤلاء الرفاق والأصدقاء، اننى مازلت أحمل لهم أروع مشاعر المحبه والتقدير.. لكن اصرارى على الصدق مع النفس، ومع التاريخ، وفى عرض شهادتى كما هى، بلا غطاء زائف، وبلا مجامله لا مكان لها فى كتابه التاريخ.

وكل ما ذكرته من أخطاء لا يقلل بأى حال من روعة الإخلاص والتضحيات التى قدمها أبناء ذلك الجيل، وما أحدثوه من تأثير فكرى على المجتمع المصرى، يشهد بعمق نضالهم فى هذه الجبهة بصفة خاصه، - أى الجبهة الفكريه والثقافيه- وصياغه الأسس التى ما تزال تؤثر فى الأعمدة الرئيسيه لهذه الجبهة حتى الأن .

القسم الثانى

ملاحظات حول كتابة التاريخ

مقدمـــة

١-نموذج للاتجاه المتحيز

٢-نموذج للاتجاه «المتقولب»

إن القضية الرئيسيه التى تعترض كتابة تاريخ مصر الحقيقى منذ أوائل القرن العشرين، وحتي الآن، يمكن تلخيصها فى أمرين متلازمين:

أولهما: يتمثل فى التحيز أو التعصب، النابع من الانتماء إلى إطار فكرى أو حزبى محدد، يدفع المؤرخ إلى اختيار ما يشاء من احداث بعد إنتزاعها من سياقها ليصل إلى ما يتفق مع أفكاره المسبقه.

وثانيهما: «التقولب» المنطقى. وقد يبدو هذا التعبير غريبا. لكننى أقصد به معنى محدداً.. وهو إختيار «قالب» يبدو منطقيا لتفسير الاحداث بما يتفق مع هذا القالب، ثم الاجتهاد فى «تقطيع» أو «تقصير» كل حدث، بحيث يدخل فى «القالب» المنطقى المقرر سلفا.

وتلك قضيه قديمه تناولتها الأساطير اليونانيه، عندما تحدثت عن سفاح كان يصنع صناديق ضحاياه، وفق مقاسات محدده.. فإذا كانت الضحية أطول من الصندوق، يقوم بتقطيع أطرافها، حتى تدخل فى قالبها المحتوم.. أو يسعى إلى شد أطرافها عندما تكون أقصر من الصندوق.ذلك هو ما يمكن أن نطلق عليه «**التقولب**».

ومن الواضح أن هذين الاتجاهين، أى التحيز الحزبى أو الأيديولوجى، أو «**التقولب**». لايقدمان لتاريخ مصر الحديث، الرؤية الموضوعية لدلالات ما جرى من أحداث... ولا يخدمان قضية البحث عن الحقيقة كما هى، بدون إضافات أو حذف، وبغير الإبتعاد عن الهدف الكبير. وهو: **كيف نقدم تاريخ مصر، ونضال أجيالها المتعاقبه، من خلال منهج يعلو على كل «تحزب» أو «تقولب».. غايته الكبرى حماية أبنائنا من التشوية. أو التلاعب بالقوالب المنطقية الشكليه؟**

فبعد الإنتهاء من كتابة «رؤيتى» لتاريخ الحركه الشيوعية المصرية، ١٩٤٥- ١٩٦٥، برز أمامى سؤال مهم وهو: **هل يمكن أن تقف هذه الرؤية عند سرد وتحليل الاحداث التى عاصرتها، أم ينبغى أن تشمل رؤيتى لما كتب من قبل عن تاريخ الحركه الشيوعية ؟**

وهو سؤال ينبع من إنتشار المؤلفات، والدراسات والخواطر الشخصية حول هذا التاريخ والتى عانت للأسف من التحيز حينا والتقولب حينا آخر مثل بعض مؤلفات **الدكتور رفعت السعيد وبعض كتابات للاستاذين طارق البشرى ومحمد سيد أحمد.**

فكيف يرى هؤلاء الكتاب الافاضل تاريخ الحركه الشيوعية المصرية ؟، وكيف أراها أنـا ؟

نموذج للاتجاة المتحيز

يعتبر الدكتور رفعت السعيد وبحق أبرز المؤرخين لتاريخ الحركه الشيوعية المصرية، بفضل جهوده الواضحة فى استقصاء كل ما كتب ونشر فى الصحف ووثائق السفارات وملفات القضايا، فضلا عن الشهادات الشخصية التى سجلها لعدد من قادة المنظمات الشيوعية.. مما يجعل من مؤلفاته مرجعاً هاما لكل من يريد دراسه تاريخ الحركه الشيوعية.

فكيف كانت رؤية الدكتور رفعت السعيد لهذا التاريخ ؟

فى كتابه «**منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠ - ١٩٥٧**» يقول «**ونحن نكتب التاريخ أمينا كما كان، وكما يجب أن يكتب ، لا ننتقى ولا ننفى، لسنا نزوق الحديث كى يبدو أكثر جمالاً أو خاليا من العيوب. فهو كما هو بدون تزويق بل وبكل ما فيه من العيوب**»

ومن يقرأ هذه السطور فى مقدمة الكتاب يشعر بالثقه والاطمئنان ويقبل على الكتاب بأمل الالتقاء مع أول مؤرخ مصرى يتناول تاريخ اليسار «**كما يجب أن يكتب**» لكن هذا الأمل يواجه بصدمات متتاليه.. تتصاعد مع فصول الكتاب، تدل على أن منهج الكتاب لا يتفق مع مقدمته التى تقول «**نحن نكتب التاريخ أمينا كما كان**»

والأمثله على التناقض بين ما يعدنا به الكتاب من موضوعية وأمانه، وبين ما تنطوى عليه سطوره من تحيز، كثيرة جدا، لا يتسع لها المجال هنا. لذلك سأكتفى بالقاء بعض الأضواء على ما يتصف به هذا الكتاب من افتقار إلى الحد الأدنى من الموضوعيه.

يقول الدكتور رفعت السعيد فى ص٢٦ «**حدتو بعد أن خاضت معاركها الواحدة تلو الأخرى، لتهدو وقد خرجت خاسرة من كل منها ، تصمم على العودة.. خاضت معركه التوحيد.. وخاضت معركتها ضد حرب فلسطين، معلنه قبولها لقرار التقسيم، وأن الواجب الأول هو تحرير القنال من الاحتلال البريطانى، فحوصرت جماهيرياً، وفقدت كثيراً من أعضائها. الخ**»

ولا بد أن نقف هنا قليلا.

أولاً: أن معارك حدتو- والمؤلف هنا يتحدث عن فترة ما قبل سنه ١٩٥٠- من أجل التوحيد- أى وحدة الشيوعيين- لم يكن لها أى وجود. بل الصحيح أن جميع الإنقسامات لم تكن نتاجاً للرغبة فى الإنقسام عند البعض، بل كانت الثمار الطبيعية لمنهج «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» بقيادة هنرى كورييل بعد الوحدة مع «**ايسكرا**» وتكوين «**الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى**»- حدتو- كما سبق أن أشرت-. المنهج القائم على أن «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**»- ح.م-. هى «**الثوريه**»، والآخرون فى «**ايسكرا**» «**الانتهازيه**»، وأنه يتعين «**تجنيد**»

عناصرها الجيده إلى «التيار الثورى»- تيار ح.م.

من هنا ينبع المنهج الإنقسامي.. فهو لم يبدأ من نظريه سيد سليمان رفاعي- بدر- عن النمو الذاتى، ولا من «الحزب الشيوعى المصرى»- الرايه- عن أن لا شيوعيه خارج الحزب.

ثانيا: أن حديث الدكتور رفعت السعيد عن وقوف «حدتو» ضد حرب فلسطين، جاء ضمن استعراض نضالها، مما يعنى الإشادة بهذا الموقف.

وهنا تنبغى الإشارة إلى الاسس الذى استندت إليها «حدتو» فى الوقوف ضد هذه الحرب.. والتى لا تقتصر على الموقف العالمى المؤيد للتقسيم، بما ذلك موقف الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكيه. كما لم تقتصر على شعار طرد الاستعمار من مصر أولاً. إنما ينبع هذا الموقف من التحليل الشهير الذى أصدرته «حدتو»، حول وجود «قوميه اسرائيليه»، تنطبق عليها جميع شروط الأمة، كما حددها ستالين.. من لغه مشتركه، وتكوين نفسى مشترك، وأرض مشتركه...الخ. وبما أن اسرائيل أمه، فإن من حقها أن تكتسب شرعيتها فى صورة دولة.. ويصبح دفاع هذه الدولة عن وجودها، حقاً مقدساً، وحرب ١٩٤٨، هى حرب «تحرير» فى مواجهه الرجعية العربية.

فكيف نصف مثل هذا الخطأ التاريخى حول فهم قضيه فلسطين «بالنضاليه» وخصوصاً بعد انكشاف الاهداف الاستعماريه الكامنه وراء زرع اسرائيل فى هذه المنطقة؟

ولكن الدكتور رفعت السعيد لا يعتبر هذا الموقف خطأ تاريخياً، ربما لأنه من «الشيوعيين أصدقاء هنرى كورييل» الذين وصلهم خطابا منه بعد حرب ١٩٦٧، يقول فيه: «الجماهير الاسرائيلية ترى أن الحرب لم تكن عدوانا من اسرائيل ولكن نضالاً من أجل بقاء بلدهم. هل يعقل أن تطلب منهم العودة إلى وضع يصبحون فيه مهددين بالإبادة والفناء؟ وضع عليهم فيه أن يتنازلوا عن الثمار التى حصلوا عليها فى مقابل تضحياتهم الجسيمة وذلك بدون أى مقابل؟»(١)

إن هنرى كورييل حتى آخر يوم فى حياته كان يؤمن بقوميه اسرائيليه»- وهو ما يؤكده جيل بيرو- أنه «كان يدين المغامرات التوسعيه الصهيونيه لكن لم يغير من موقفه فى الوجود الآمن لاسرائيل»(٢).

فإن كان الدكتور رفعت السعيد يؤمن بما كان يؤمن به هنرى كورييل منذ أسس «ح.م» وحتى مماته، فإنه يكون منطقيا مع نفسه حين يعتبر الموقف من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان موقفاً «نضاليا» لحدتو. وفى هذه الحاله فانه ينبغى عليه أن يعيد النظر فى مواقفه السياسيه

---

(١) النسخه الفرنسيه. GiLLES PERRAULT: UN HOMME A PART PAGE - 535.

(٢) IBID - PAGE 530. -

كى تتسق مع ما يؤمن به نظريا.

فى نفس الكتاب أيضا، نلاحظ ظاهرة أخرى، أشد إثارة للتأمل والتعجب.. تتمثل فى التناقض الصارخ بين عنوان الكتاب **منظمات اليسار المصرى**- وبين القضيه الرئيسيه التى تمثل الجزء الأساسى من الكتاب، وهى قضيه نضال «حدتو» ومواقفها الثوريه بين الجماهير، وأمام سلطات التحقيق والمحاكم.. مع تجاهل شبه كامل لبقية مواقف اليسار المصرى، بشتى مدراسه ومواقعه فضلا عن تجاهل نضال المنظمات الشيوعية الأخرى.

وهنا نلاحظ عدداً من الأخطاء التى يدهشنى حقا وقوع مؤرخ ومفكر واع فيها.. نستطيع تركيزها فى الأتى:

أولاً: أن اليسار المصرى خلال الفترة التى يتناولها الكتاب لم يكن قاصراً على المنظمات الشيوعية. بل كان أكثر إتساعاً، ويشمل جميع القوى السياسية التى كانت تناضل من أجل التحرر الوطنى والعدل الاجتماعى، وكانت فى ذلك الحين، إلى جانب المنظمات الشيوعية، تتمثل فى الاشتراكيين، واللجنه العليا للحزب الوطنى، والطليعه الوفدية.. فضلا عن عشرات من العناصر الديموقراطيه فى حزب الوفد، مثل المرحوم الدكتور عزيز **فهمى** والمرحوم الدكتور **محمد مندور**، والمرحوم **حنفى الشريف**، والمرحوم **مصطفى موسى**، والاستاذ **ابراهيم طلعت** وغيرهم، أو المستقله ، مثل الاستاذ **خالد محمد خالد**.

وقد يقال أن الدكتور رفعت يقصد اليسار الشيوعى فقط. وذلك لايبرر مثل هذا الخطأ، أو التناقض بين عنوان الكتاب ومضمونه.. خصوصاً وأنه صدر فى فترة تتميز بالإتساع الهائل للاتجاهات المختلفه لليسار فى مصر.

إن مفهوم اليسار - **كما يعرف الدكتور رفعت السعيد** - يتسع ليشمل مختلف المواقف السياسية المعادية للإستعمار والصهيونية وللتبعية الرأسمالية الاحتكارية العالمية، والسياسات الاستبدادية بكل صورها. أى أن اليسار يشمل كل المناضلين من أجل الاستقلال والتحرر والتقدم الاقتصادى والاجتماعى والازدهار الديموقراطى والوحدة القومية .. الخ. بداخل هذا الموقف الفكرى العام، تختلف الرؤى، والاجتهادات والممارسات ، من حيث المضمون أو المنهج، وفقا لإقتراب هذا الفهم أو إبتعاد هذا الاتجاه أو ذاك من الفهم الواعى لحقيقة الأوضاع الطبقية، ومدى وقوفه وبوعى إلى جانب الطبقات ذات المصلحه الحقيقية فى تحقيق الأهداف المتفق عليها.

ثانيا: وإذا تجاوزنا عن التناقض بين عنوان الكتاب ومضمونه، وخضعنا لما يقصده المؤلف من اصطلاح «اليسار» فى الكتاب، أى اليسار الشيوعى فقط، فاننا نصطدم بالمنهج نفسه المحدود الرؤيه.. النابع من ظروف انقسامات الحركه الشيوعية المصرية، وعجز المؤلف عن الافلات من هذه الظروف.

فالكتاب يتألف من ٣٩٨ صفحه- باستثناء الملاحق-. أكثر من نصف هذه الصفحات يتركيز حول «حدتو». وإذا أضفنا إليها المنظمات الصغيرة التى اتحدت معها- وظلت السيطرة لحدتو- نكتشف أن حوالى ثلثى الكتاب عن «حدتو» والحزب «الموحد» الذى يعترف المؤلف بأن «حدتو» كانت القوة الرئيسية فيه.

والمفارقه تبدو أكثر غرابة عندما نتأمل عدد الصفحات التى خصصها المؤلف لمنظمة «حدتو» والصفحات التى خصصها للمنظمات الأخرى.

حدتو تحتل ١٦٤ صفحه، فاذا أضفنا «حدتو ت ث»[1] يصبح عدد الصفحات ١٧٤، وعند إضافة الصفحات المخصصه «للحزب الشيوعى المصرى الموحد»- وهو حدتو بعد تغيير الاسم- يصل العدد إلى أكثر من ٢٠٠ صفحه. بينما لم تحتل منظمة «الحزب الشيوعى المصرى» التى وصفها المؤلف بأنها كانت «تطاول» حدتو من حيث عدد الأعضاء والنفوذ، أكثر من ٢٣ صفحه.. وكلها تقريبا مكرسة للهجوم على الحزب الشيوعى المصرى، أو حزب «الراية» كما يصفه الدكتور رفعت السعيد.

أما منظمة «ع.ف»- أى «حزب العمال والفلاحين»- فإن نصيبها تساوى مع الحزب المصرى تقريبا. وكان بالتحديد ٢٤ صفحة.. معظمها استعراض محدود الرؤيه يحاول اثبات عدائها للوحده، ولحركه السلام، وللمواقف النقابية فى صفوف الطبقة العامله.. رغم علم المؤلف بأن هذه المنظمة كانت بعد الحرب العالمية الثانيه صاحبة النفوذ الأكبر فى الحركه النقابيه المصرية، وأن أسماء كوادها والمرتبطين بها يصعب إنكار دورهم الكبير.. من أمثال محمود العسكرى ويوسف المدرك ولجيب سوس وغيرهم.

والواقع أن جوهر الفكر الإنقسامى، كان ولا يزال يتجسد فى إتهام الآخرين بالإنتهازية، أو الاستسلامية، أو الانحراف عن المبادئ، واعتبار الثورية، والمبدأية، والجماهيرية، والبطولية، مجسدة فى «التيار الثورى» الوحيد دون سواه.

وأعود إلى القضيه الرئيسية. وهى:

لماذا سيطر الفكر الإنقسامى على الحركه الشيوعية المصرية- الوسيطه-؟ ولماذا انتقل الفكر الإنقسامى من مجال التنظيمات المنفصلة، ليصل إلى أخطر أشكاله أثناء الفترة التى شهدت ما أطلق عليه زوراً اسم: المد الوحدوى؟

إن الوثائق التى نشرها الدكتور رفعت السعيد، بالغة الأهمية، تستحق التقدير لما بذله من جهد للحصول عليها.. وإن كانت هذه الوثائق نفسها، تثير التساؤل حول مدى استفادة المؤرخ من دلالتها.

---

(١) انقسام عن «حدتو» بزعامة سيد سليمان رفاعى- بدر- وأطلق عليه «حدتو ت.ث» إختصار.. تيار ثورى.

ذلك أن هذه الوثائق لا تدع مجالاً للشك فى أن «حدتو» أثناء فترة «الحزب الشيوعى الموحد» ورغم هزيمتها السياسية، ظلت تحافظ على كيانها، وعلى ثقتها بأنها «التيار الثورى» الذى ينبغى على الآخرين الانضمام إليه. وأن نظرية «النمو الذاتى» كانت عند «حدتو» هى المحرك الأول للوحدة.

فى كتاب «تاريخ الحركه الشيوعية المصرية- الوحدة- الانقسام- الحل- ١٩٥٧- ١٩٦٥» يقول الدكتور رفعت السعيد فى صفحه ٢٤. ٢٥: «لقد حققت «حدتو» إنتصاراً حاسما فى صفوف «الموحد».. وتوهمت أن بالإمكان تكرار ذلك مرّه أخرى» ويستطرد:

فقد سبق لحدتو أن قبلت دور المنهزم.. دخلت الوحدة مهزومه سياسياً وتنظيمياً. كانت الخطوط السياسية للحزب الموحد تدين خطها التاريخى فى تأييد حركه الجيش.. ولم تكتف بمجرد تجاوزه أو حتى انتقاده.. وكانت الأغلبية فى اللجنة المركزية ضد حدتو تاريخا وموقفاً. ومع ذلك سرعان ما انقلبت الموازين. ثم يقول: «وقد تصور البعض من ممثلى التنظيمات الصغيرة فى اللجنه المركزية للحزب الموحد، أن هذا الوضع سيستمر.. ولكن ما تصوروة كان وهما.. فحدتو المهزومة سياسيا فى بدايات تشكيل الموحد، تحولت إلى منتصرة.. وكان رفاق حدتو فى اللجنه المركزية للحزب الموحد هم الذين قادوا حمله تغيير الموقف السياسى للحزب. وقد كسبت هذه الحمله بعض رفاق الموحد من ممثلى المنظمات الصغيرة فى اللجنة المركزية.. وإن كان البعض منهم قد ظل على اصراراه فى التمسك بالموقف القديم، أذكر من هؤلاء على وجه التحديد، فوزى جرجس وعبد الله كامل». ويستطرد: «ولم يكن من الممكن تصور إختفاء الصله بين التأييد الجديد المطلوب والتأييد السابق الذى منحته حدتو لثورة يوليو عند قيامها. ولم يحدث تغير فى الموقف السياسى للموحد فحسب، بل وحصل تعديل فى الوضع التنظيمى وبالذات داخل اللجنه المركزية للموحد. عاد كمال عبد الحليم إلى اللجنة المركزية وكان مستبعداً منها عمليا. ومن ناحية أخرى تعاون عدد من رفاق المنظمات الأخرى الصغيرة مع رفاق حدتو فى القيادة المركزية بود ورفاقيه عاليه، مثل محمود العالم، بهيج نصار، حسين غنيم، فخرى لبيب، أحمد خضر. وبهذا التغير فى الوضع القيادى المركزى، أصبحت غالبية اللجنه المركزية موحدة.. وتياراً حزبياً يصون الوحدة.. وانتقال ممثلى حدتو فى قيادة الموحد من وضع الأقليه إلى وضع الأغلبية خلال أشهر قليله».

ذلك غرس فى نفوس رفاق حدتو غروراً.. وثقة زائده عن الحد، وتصوروا أن ما جرى فى الموحد، سيجرى تكراره بالتمام والكمال عندما تتم الوحدة بينه وبين والتنظيمين الآخرين».

والفقرة السابقة من كتاب الدكتور رفعت السعيد تعبر بوضوح عن المأساة الحقيقة للإنقسام والوحدة والانقسام، ثم تتويج ذلك كله باعلان حل الحزب.

فهو يسجل بأمانه يشكر عليها، أن «حدتو» التى اتحدت مع عدد من التنظيمات الصغيرة

عام ١٩٥٥، ليظهر «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» كتنظيم يتجاوز مرحله إنقسام هذه التنظيمات، ظلت كما هى بلا تغيير.. مثلما كانت أثناء «الحركه المصرية للتحرر الوطنى» و «إيسكرا» عام ١٩٤٧، أو كما كان عليه الأمر أثناء وحدتها مع منظمة «جبهه تحرير الشعب»- جات- عام ١٩٥٠، ثم مع منظمة «نحو حزب شيوعى مصرى»- نحشم- عام ١٩٥١.. ظلت محتفظه بكيانها، ومؤمنه بإنتصار تيارها، واتخاذ الوحدة الشكليه سبيلا «لتجنيد» عناصر المنظمات إليها. وذلك هو الجوهر الحقيقى لمأساة الفكر الإنقسامى فى الحركه الشيوعية المصرية.

ومن هذا المنطلق، اشتركت «حدتو» فى الوحدة مع التنظيمين الآخرين أى «الحزب الشيوعى المصرى»- الذى يطلق عليه اسم «الرايه»- و «طليعه العمال»، الذى أطلق على نفسه اسم «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» ومن هذه الفقرات الطويلة. الواضحه لأبرز مؤلفات الدكتور رفعت السعيد، يبرز الوجه الحقيقى لتيار «حدتو» فى تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، الذى يعتبر الوحدة وسيلة لتصفية التيارات الأخرى وليس الاندماج والتفاعل معها.

هكذا، حين نسى الدكتور رفعت السعيد منهج المؤرخ الموضوعى الذى وعدنا به فى مقدمة بعض مؤلفاته، وتغلبت مشاعره الخاصه، تحول المؤرخ «الموضوعى» الذى يستند إلى مئات الوثائق الهامه، إلى مدافع متحمس- بل ومتعصب- عن اتجاه تاريخى فى الحركه الشيوعية- لم يكن إطلاقاً أقلها خطأ أو خطيئة، كما لم يكن- بشهادة الدكتور رفعت- أقل حماساً لقضية «حل الحزب»، بل كان سباقاً إلى ذلك، واضعاً الآخرين فى موقف المتخلف من هذا السباق- سباق حل الحزب- وضرورة اللحاق بالمتسابق الأول- حدتو-. وكلاهما كانا معبرين عن أزمه، أو خطيئه من المستحيل التعرض لها فى سطور خاطفة، لانها تحتاج إى دراسات أكثر عمقا مما جاء به الدكتور رفعت.

والحقيقة أن موقف «حدتو» وإن كان يتصف بالوضوح الكامل، إلا أنه لا يختلف من حيث الجوهر مع التيارين الرئيسين، وهما «الحزب الشيوعى المصرى»- الراية- و «حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى- طليعة العمال-».

ومن هنا جاءت الكوارث، التى إنتهت نهاية مأساوية- كما سبق وأشرت- وإن كانت منطقيه مع السياق العام لفوضى الانقسام والتشرذم.

والمنهج المتحيز الذى اختاره الدكتور رفعت السعيد، أدى به إلى اسقاط فترة من تاريخ حدتو، وهى الفتره التى توليت فيها المسئوليه السياسية فى هذا التنظيم.

وعلى الرغم من أنه «نسى» الحديث عن تلك الفترة فى كتابه «المنظمات اليساريه ١٩٤٠- ١٩٥٠»، إلا أنه لم ينس، «مايقال عن أن مصطفى طيبه قد عاون هنرى كورييل فى اعداد خط القوات الوطنيه والديموقراطيه» كما كتب فى الكتاب نفسه، كما لم يحقق فى هذا القول بسؤال هنرى كورييل، أو بسؤالى.

وبعد سنوات، وفى عام ١٩٨٣، أصدر الدكتور رفعت السعيد كتاب «**منظمات اليسار المصرى ١٩٥٠-١٩٥٧**»، كتب فيه نقلاً عن حديث أجرته معى الباحثه «سليما بوتمان» فى ٨/١٠/١٩٧٨، فقرة عن «**الحزب الشيوعى المصرى**»- **الرايه**- وتجاهل تماماً ما قلته للباحثه المذكوره عن تاريخ «ح.م» و«حدتو» بشكل عام، وعن الفتره التى كنت خلالها المسئول السياسى «لحدتو» بشكل خاص.

وفى أخر كتاب للدكتور **رفعت السعيد** «**هكذا تكلم الشيوعيون**» الصادر فى أوائل عام ١٩٨٩، نشر مقابلة له معى لم تحدث بتاريخ ٨- ١٠- ١٩٧٨. وماكتبه فى صفحتى ٣٤٥ . ٣٤٦ من هذا الكتاب، هو جزء من حديثى مع الباحثه الأمريكيه «سليما بوتمان» والذى سبق أن أشرت إليه. وعلى الرغم من أنه نشر كلامى عن «ح.م» و«حدتو»، وعن تصعيدى إلى اللجنه المركزية «لحدتو» بعد القبض على **هنرى كورييل**، إلا أنه لم يشر الى الفترة التى كتبت فيها خط «**الطبقة العامله والجماهير الكادحه**» والتى توليت خلالها المسئوليه السياسية للتنظيم.

هكذا، للمرّة الثالثه، «ينسى» الدكتور رفعت السعيد تسجيل تاريخ فترة فى حياة« **الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى**»، فهى قد «سقطت» منه فى كتابه «**المنظمات اليسارية ١٩٤٠-١٩٥٠**» الصادر بتاريخ و«سقطت» منه للمرةُ الثانيه فى كتابه «**اليسار المصرى**» ١٩٥٠- ١٩٥٧ الصادر فى عام ١٩٨٣. و«سقطت» منه للمرةُ الثالثه فى المناقشه التى أجريتها من الباحثه الأمريكيه فى أواخر عام ١٩٧٨، بعد أن نسبها إلى نفسه، فى كتابه «**هكذا تكلم الشيوعيون**» الصادر فى عام ١٩٨٩.

ويصل اتجاه التحيز عند الدكتور **رفعت السعيد** إلى ذروته عندما يقف طويلاً عند نجاح وسائل التعذيب الرهيبة فى السجن الحربى، فى اضعاف إرادة أحد قادة «**الحزب الشيوعى المصرى**»[1] ومحاوله إرغامه على الاعتراف باسم قائد هذا الحزب، فبدلاً من الإشادة بموقفه، والاعتراف بأنه إستطاع الصمود فى وجه أبشع وسائل التعذيب، دون أن يبوح باسم سكرتير الحزب- **الرفيق خالد- أى الدكتور فؤاد مرسى**.نجده يعالج بطريقة توحى باستسلام الزميل وبطريقه تنال من شجاعته.

كما لم يتحدث الدكتور رفعت السعيد عن بطولات بعض أعضاء «**الحزب الشيوعى المصرى**»- الذى يطلق عليه اسم «**الرايه**»- فى السجن الحربى ومن بينهم **مختار جمعه** الذى جاء إلى سجن الواحات بجسم يعانى من أهوال التعذيب دون أن يعترف بكلمة واحده. وكان الدكتور **رفعت السعيد** يعلم وقتئذ.. أن تعذيب **مختار جمعه** كان يفوق كل طاقة بشرية.. لأنه كان أحد ضباط الصف فى الجيش.. وهى وظيفة كانت تثير القلق عند قيادات مكافحة

---

(١) وهو الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله.

الشيوعية، خوفاً من وجود قواعد شيوعية منظمة فى الجيش. والغريب أن الدكتور رفعت السعيد لم يقف طويلاً عند ما أطلق عليه «فضيحة بيان السجن الحربى» فى أوساط الحركه الشيوعية المصرية، وهو البيان الذى حاول كمال عبد الحليم اقناع قيادات وكوادر «حدتو» فى نهاية ١٩٥٤، بالتوقيع عليه والذى يعلن فيه تأييدة للسلطه المسئوله عن وضع وتعذيب الشيوعيين فى السجن الحربى.. وهو البيان الذى ظل يثير عند جميع أعضاء منظمة «حدتو» الشعور بالحرج بل والخطيئه.

الاتجاه المتقولب فى بعض كتابات الاستاذين
طارق البشرى، ومحمد سيد أحمد

فى المقالين المنشورين للأستاذين **طارق البشرى**، ومحمد سيد أحمد «فى عددى ابريل ويونيو **١٩٨٨** من **مجله الهلال**»، يتفق الكاتبان، أو يلتقيان حول نقطه رئيسية، وهى أن اعتناق أحد اليهود للماركسيه- **هنرى كورييل**- واسهامه فى تكوين منظمة شيوعية، قضية تدخل فى نطاق الألغاز المحيرة، التى تحتاج إلى ابحاث مكثفه للكشف عن الأهداف الحقيقية لهذا الأختيار «الغريب»... أى اختيار أحد اليهود للماركسية أثناء الحرب العالمية الثانية !

ولأن هذه القضية بدت شديدة الغرابة للأستاذين الكاتبين- مع أنها كانت ظاهرة عادية فى ذلك التاريخ- فإن البحث عن خفاياها عند الأستاذ **طارق البشرى**، قادة إلى نتيجة بدت له منطقية جداً... وهى أن هنرى كورييل «**كان منقطع الجذور.. بارد الفكر والأعصاب.. قرارته تتشكل دون دخل لأى عواطف أو غرائز.. مثل هذا التكوين الوجدانى يتلاءم بشده مع أنشطة المخابرات**» !

وهذا هو الحكم الأول الذى أصدره الاستاذ **طارق البشرى** على **هنرى كورييل**.

أما القرار الثانى، فهو إنه بهذه الصفة «**يقوم بتوجيه التنظيم لمقاومة حركات شعبية اسلامية، وعربيه مصرية باسم أنها حركات فاشيه**»

والاستاذ البشرى، يقصد طبعا، مقاومة الاخوان المسلمين والتيارات التى كانت ترى فى المانيا النازية، وإيطاليا الفاشية، المنقذ الأعظم لمصر من الاحتلال البريطانى.. أى حزب مصر الفتاة.. وربما الموقف من حركه ٢٣ يوليو ١٩٥٢ واتهامها بالفاشيه.

ثم يضيف الاستاذ **طارق البشرى**، حكما ثالثا، وهو أن طبع الكتب الماركسية كان يستهدف كما يقول بالحرف الواحد: «**فكان النشاط يتعلق إذن بدعوة مذهبية أكثر مما يقوم على برنامج سياسى.. يتعلق بترويج أيديولوجى فى الأساس. وأولوية هذا الأمر هنا، تتفق مع الوجهة اليهودية الأجنبية، من السعى لتكوين منطقة أيديولوجية فى السياسة المصرية بين الشباب، منطقة تصلح للوجود الأجنبى فى السياسة المصرية**»!!

أما رابع هذه الأحكام، فهو: «**وأثناء الحرب كان لكورييل وتنظيماته السياسية، نشاطها مع من يسميهم «يهود فلسطين»**».. وهى عبارة لا تلتبس لدى القارئ المصرى والعربى، فهى لا تعنى لدية غير الصهاينه فيما يبدو.. والفرقه التى كونوها أيام الحرب، لتعمل مع الحلفاء،

---

* مقال للمؤلف نشر فى عدد نوفمبر ١٩٨٨ من مجله الهلال تحت عنوان «حول أوراق هنرى كورييل: مطلوب تقييم موضوعى للتاريخ» وتأخر نشره اكثر من ثلاثه شهور.

وهو العمل الذي أكسب الصهاينة خبرة وتدريبا، استخدموه بعد الحرب في طرد الفلسطينين العرب وقتلهم وتدبيحهم، حتى نشأت إسرائيل».

بهذة الأحكام الحاسمة، تكون الحركة الشيوعية التي أسست أثناء الحرب العالمية وبعدها، مجرد أداة لفئة من «اليهود»، لتحقيق أهداف الصهيونية، وربما المخابرات البريطانية أيضا!

ويصبح كل ما كُتب عن النضال الوطني والإجتماعي للحركه الشيوعية المصرية في ذلك التاريخ، بل وما كتبه الاستاذ طارق البشرى نفسه عن منجزات وأخطاء هذه الحركه في بعض مؤلفاته، مجرد وهم أو خداع.. ما دام المهيمن والموجه على أكبر هذه الحركات، وهو هنرى كورييل، شخصية «منقطعة الجذور»، تخدم أهدافاً صهيونية وبريطانية.. ويوجه نشاط الشيوعيين المصرين، نحو الاصطدام بالحركات السياسية والحركات القومية!

■■■

أما الصديق محمد سيد أحمد، فإنه- كعادته- لم يهتم كثيراً بما يحمله مقال الاستاذ طارق البشرى من إتهامات لتاريخ الحركه الشيوعية المصرية... ولم يقف لحظه واحدة عند المنهج المستخدم، إنما إنطلق بعيداً.. ليشيّد «أحد قوالبه الرياضية المنطقية»، ويقحم بداخله ما يتفق مع هذا القالب من أحداث،- حتى ولو كانت تفتقر إلى الدقه ليخرج في النهاية متفقاً مع الاستاذ طارق البشرى في الأهداف «الخفية» لليهود الماركسيين، وإن إختلف معه في «القالب المنطقي» المفضي إلى النتيجة نفسها!

وقبل الرد على هذين المقالين، أريد توضيح حقيقتين هامتين، للحيلولة دون حدوث أي وهم أو التباس حول موقفي.

الحقيقة الأولى: أنني قد إنتهيت منذ شهرين، من كتابة المراحل الأساسية لتاريخ الحركة الشيوعية المصريه الوسيطه، التي تكونت في بداية الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات.. بإعتباري أحد القياديين في «الحركة المصرية للتحرر الوطني»، ثم في «الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطني».. ثم أحد المؤسسين «للحزب الشيوعي المصري» الذي أعلن عام ١٩٥٠، فضلا عن علاقاتي مع معظم قيادات وكوادر التنظيمات الأخرى.. وخصوصاً أثناء فترة سجني واعتقالي والتي بدأت منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦٤.

والحقيقة الثانية: أن أحد الأجزاء الهامة التي يتكون منها كتابي الجديد، والذي أقوم بمراجعه أخيرة له الآن، يتناول بالبحث والتحليل، القضية المثارة الآن- رغم أن هذا الجزء كتبتة منذ أكثر من عام-، أي قضيه هنرى كورييل، ولكن من منطلقات تختلف جذرياً عما طرحه الاستاذ البشرى والصديق محمد.

فلم أطرح القضية على أسس دينية أو تآمرية.. ولا من خلال علاقات مريبة بالصهيونية والمخابرات البريطانية. إنما من خلال المنجزات والأخطاء التي عايشتها واشتركت فيها.

وشرحت بالتفصيل، لماذا تحولت من «يونس»–الاسم الحركى ليونس– متشدد، إلى خصم سياسى وأيديولوجى له.. بل شاركت فى تأسيس الحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٥٠، الذى إعتبر جميع التنظيمات الشيوعية الأخرى، إنتهازية ومعادية للماركسية والثورة والشعب. واعتبر جميع القيادات الأجنبية والمصرية لهذه التنظيمات– وعلى رأسهم هنرى كورييل طبعا– مجموعة من الإنتهازيين المضللين.. لايمكن الوحدة معهم.

■■■

من هاتين الحقيقيتين، ينطلق حوارى مع المقالين اللذين نشرتهما مجله الهلال فى عددى ابريل ويونيو ١٩٨٨.

فلا يمكن إذن تصنيفى ضمن دائرة من ظلوا على علاقات وثيقة مع كورييل، حتى بعد إبعاده من مصر. فكما قلت، إنقلبت علاقتى به من الزمالة والتقدير إلى الخلاف العميق.. منذ أوائل عام ١٩٤٩، ولم يهدأ لحظه واحده.. بل اشتعل وانتقل إلى من إحتفظوا بعلاقات معه وهو فى المنفى.. من قيادات «حدتو».

وبالتالى يصعب تفسير موقفى الآن، بأنه دفاع عن كورييل.

فعندما أتصدى للرد على تحليلات وأحكام تفتقر إلى الموضوعية والدقة، فإنما أقوم بذلك دفاعاً عن تاريخ مجيد عظيم، للحركه الشيوعية المصرية رغم ما شاب هذا التاريخ من أخطاء، تشهد عليه مواقفها الوطنية والقومية، المعادية للاستعمار والصهيونيه. ومواقفها الاجتماعية دفاعا عن الطبقات الشعبية.

وبما أن حملة تشويه هذا التاريخ، تستتر الآن تحت قناع الهجوم على «اليهود» الماركسيين، الذين أسهموا بدور كبير فى اعادة تأسيس الحركه الشيوعية فى بدايةالأربعينيات، فمن واجبى التصدى لهذه الحملة من خلال الوقائع التى لا خلاف حولها، التى ترسم الخطوط الحقيقيه لهذا التاريخ.

■■■

يقول الاستاذ طارق البشرى: «إما أن يقوم هؤلاء بوصفهم الأجنبى المتميز، وبدوافع تبدأ بكونهم جاليات أجنبية على رأس تنظيمات سياسية مصريه، تقاوم حركات شعبية إسلاميه، وعربية مصرية، باسم أنها حركات فاشيه، فهذا ليس غريبا لدى كورييل. ونحن نلحظ أن الأسباب التى ساقها كورييل والعيه.. وأن نظرته تنسجم مع وضعه هو وزملائه بوصفهم اناس مقتلعى الجذور. ولكن الغريب أن يوجد من بيننا نحن من ينظر إلى الأمور بنظرة هؤلاء»

تلك كلمات واضحة لا لبس فيها. فالاستاذ طارق البشرى، يرى أن التنظيمات السياسية، التى كان هؤلاء الأجانب على رأسها، أى التنظيمات الشيوعيه كانت تقاوم حركات شعبية إسلامية، وعربيه مصريه بإسم أنها حركات فاشية.!

فهل تتفق الحقائق التاريخية، التى تحدث عنها باستفاضة الاستاذ طارق البشرى فى أكثر

من كتاب له مع الإتهامات التى ساقها فى مقاله «قراءة مصرية فى أوراق هنرى كوريبل»؟

لنبدأ بالحركات الشعبية الاسلامية. ونطرح بعض الأسئله الهامه: من الذى بدأ باعلان الحرب على الآخر، الحركات الشيوعية، أم الحركات الاسلامية، أى الاخوان المسلمين؟

ومن الذى حمل لواء الدعوة إلى تكوين اللجنة الوطنية للطلبه والعمال، وسعى بكل طاقته إلى توحيد جميع الفئات السياسية والدينيه، فى أول جبهة تنبع من القاعدة الشعبية، وتصيب الاستعمار والرجعية بالخوف والإرتباك، بفضل قيادتها الناجحة لأكبر حركه شعبية وطنية بعد الحرب العالمية الثانية؟

ومن الذى عمل على تحطيم هذه الجبهة وإن لم تحمل وقتئذ إسم الجبهة، بل وتحالف مع اسماعيل صدقى، لضرب الحركه الوطنية؟

من ياأستاذ طارق الذى كان يسعى إلى بناء الوحدة الوطنية، ومن الذى عمل بكل ما يملك، فى الطريق المعاكس؟

فى إعتقادى أن أفضل رد على هذه الأسئله يأتى من كتاب «الحركه السياسية فى مصر ١٩٤٥-١٩٥٢»

يقول الاستاذ طارق البشرى فى صفحة ١٠٧، وصحفة ١٠٨ «بعد أن تولى صدقى الوزارة زار مركز الإرشاد لجماعة الاخوان المسلمين ورأى أن إعتماده عليها هو خير ما يفتت الوحدة التى ظهرت بين الشباب فى مظاهرات هذه الفترة ورأى أن يستغل موقفها التقليدى المعادى للوفد وللتنظيمات الشيوعية والشباب التقدمى. وقد بادر الاخوان بتأييد صدقى عند مجيئه للحكم وروجوا لما قاله فى البداية عن عزمه على خدمة بلاده وعدم استعمال العنف. وعلق زعيم الاخوان بالجامعة على وعود اسماعيل صدقى بأية من القرآن «واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا» وفى مواجهة اللجنة التنفيذية العامة للطلبة شكل الاخوان لجنة الطلبة التنفيذية العليا تفتيتا لحركة الشباب، فلما انشئت اللجنه الوطنيه للعمال والطلبه وقادت مظاهرات يوم الجلاء فى ٢١ فبراير بادر الاخوان إلى تشكيل «اللجنة القومية».شكلت فى اجتماع بمركز الاخوان منهم ومن مصر الفتاة وحزب الفلاح الاشتراكى وجبهة مصر التى كان قد أنشأها على ماهر منذ ١٩٤٥ وبعض شباب الأحرار الدستوريين والحزب الوطنى. وقابلت اللجنة صدقى فى أول مارس فأظهر عطفا عليها (واتفق على أن يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف هو ممثل الحكومة فى اللجنة) ثم أعلنت بيانا بشأن الموافقة على اعتبار ٤ مارس يوم الحداد العام، وأفسحت الحكومة للجنة فى الصحف بنشر بياناتها فى ذات الوقت التى كانت فيه تمنع نشر بيانات وأخبار اللجنة الوطنية».

ويستطرد الاستاذ طارق البشرى فيقول «على أنه من الملاحظ أن جماعة الاخوان كان يطرد مسلكها على رفض الاشتراك مع غيرها من الهيئات والتنظيمات فى شمل واحد وعلى الحرص

على العمل المنفرد، وقد ساهمت فى تشكيل اللجنة القومية لتحطم بها اللجنة الوطنية التى جمعت حولها الكثير من عناصر الشباب فى الأحزاب المختلفه.. »

أما تقييم الاستاذ طارق البشرى العام للحركه الشيوعية المصرية فإننا نراه واضحا فى صفحه ٥٩٧ من كتاب «المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية» فيقول «وفى الأربعينيات أيضا، ظهرت الحركه الشيوعية كواحدة من القوى ذات التأثير وأسهمت اسهاماً لا بأس به بين فيالق حركه التحرير الوطنى ضد الاستعمار، وأغنت السياسات الوطنية بمفاهيم جديدة، تتعلق بالمضمون الإجتماعى لحركه التحرير الوطنى، والتصنيف الطبقى للمجتمع، والتأكيد على التحرر الاقتصادى من الأستعمار جنبا إلى جنب مع التحرر السياسى، فضلا عن صياغة خريطة الصراعات الدوليه على أساس من المحتويات الاجتماعية للنظم السياسية المختلفة، الأمر الذى كان له أثره فى إنضاج الفكر السياسى المصرى، فيما تلا الأربعينيات من أعوام، عندما رسمت مصر المستقله سياستها الخارجية فى ضوء إرتباطها بحركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار، ووصلها الاستقلال السياسى بالتحرر الاقتصادى والتنمية الاقتصادية المستقله».

فكيف يتفق هذا التقييم مع منهج مقاله فى مجله الهلال- أوراق هنرى كورييل- والذى لا يرى فى الحركه الشيوعية المصرية إلا كل ما هو سبىء ومريب!

■■■

ويقول الاستاذ البشرى فى المقال نفسه: «بهذه الرؤية ومن هذا الموقف، ينظر كورييل إلى المظاهرات الشعبية الكثيفة التى جرت فى ٢ نوفمبر سنه ١٩٤٥، بمناسبه ذكرى وعد بلفور، وتضامنا مع شعب فلسطين فى جهادة ضد الصهيونية. يقول كورييل: «حاول الاخوان المسلمون بتحريض من الامبرياليه والحكومه المصرية، إثارة المظاهرات المعادية للسامية، وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية فى حماية البوليس. لكن الحركه المصرية للتحرر الوطنى، أستعدت لهذا اليوم كشفت المناورة».

تلك فقرة من مقال الاستاذ طارق البشرى، نقلتها كما هى من المقال نفسه، ومنها يستخلص ما يريد الوصول إليه، وهو أن اتجاهات الحركه المصرية للتحرر الوطنى، التى كان يتزعمها كورييل، كانت تقف موقفاً مضاداً للحركات الشعبية الاسلامية، ضد الصهيونية.

فهل كانت مظاهرات ذلك اليوم المشهور، جهاداً حقيقاً ضد الصهيونية، وتضامنا مع شعب فلسطين؟

لنترك الإجابة إلى الوقائع التاريخية كما جرت.

وهى وقائع تؤكد، أن مظاهرات ٢ نوفمبر ١٩٤٥، قادها منذ البداية، الاخوان المسلمون.. إلى جانب حزب مصر الفتاه كشريك صغير. وحملت شعاراتها طابعا متخلفاً. لا يخدم التضامن مع جهاد شعب فلسطين... بل قد يكون العكس هو الصحيح.

فمثل هذه المظاهرات، التى إقترنت بالهجوم على المنشآت والمحلات «اليهودية».. لم تكن واعية بجوهر الصراع ضد الصهيونية، وتأييد الشعب الفلسطينى، بل إنطوت على إتجاه لا يخدم قضايانا الوطنية، وتشويه صورة هذا الصراع، بتحويله إلى عداء لليهود!

ولا يستطيع مؤرخ منصف أن يتجاهل الأثر السلبى لمثل هذا الاتجاه.. فالهجوم على المنشآت أو الأحياء اليهودية، بلا تميز بين الصهيونية كحركه مرتبطه بالإمبرياليه العالمية، وبين اليهود كأفراد ينتمون إلى تيارات فكرية مختلفة، إنما قدم أعظم خدمة للحركه الصهيونيه، التى كانت تقوم بتحريض اليهود المصريين على الهجرة إلى اسرائيل. بدعوى أن حياتهم فى خطر.. وأن مخاطر ابادتهم فى مصر.. باتت وشيكه.. وقد تكون أشد فتكا مما حدث لليهود فى المانيا النازية!

فكيف يصف مؤرخ كبير مثل الاستاذ **طارق البشرى**، الأعمال المتعارضة مع تاريخ مصر- بل وتاريخ الأمه العربية والشعوب الاسلامية، والمتمثله فى هستيريا الصراع ضد «اليهود» المصريين، بدلا من الوعى بجوهر القضية، وهى أن الصهيونية- وليست اليهودية على إطلاقها- هى العدو الرئيسى لمصر وللعرب؟

إن العرب، ومصر فى المقدمة، تعاملوا تاريخياً مع اليهودية، باعتبارها دينا سماويا له احترامه.. وإحترام حق معتنقيه فى حرية إقامة شعائرهم. وعشنا قرونا بهذه الروح الأصليه النابعه من الفهم الحقيقى للإسلام.

أما عدونا، فهو الكيان الصهيونى العدوانى.. الذى زرعته الامبريالية العالمية فى قلب وطننا العربى.

وضد هذا العدو بالتحديد. ينبغى أن نوجه كل ما نملكه من طاقات.

وما أظن الاستاذ **طارق البشرى** يختلف معى فى هذه النظرة، بل أذهب إلى أبعد من ذلك.. فأرى الاستاذ البشرى، لم يقف طويلا عند أرقام تحمل دلالات عميقة... وهى أن السياسية الحمقاء لبعض الأحزاب والجماعات المتخلفة فى وطننا، بل وأخطاء بعض الحكومات، تتحمل جزءاً كبيراً من مسئوليه دفع اليهود إلى الهجرة إلى اسرائيل، وهى الهجرة التى منحت اسرائيل أكثر من ٦٠٪ من سكانها، خلال السنوات الأولى من تأسيسها.

ومن المؤكد، أن هذه «الهدية» الثمينة التى قدمها العرب لإسرائيل- أى حوالى ٦٠٪ من ثروتها البشرية أستخدمت بعد ذلك ضد العرب، أثناء حروب اسرائيل العدوانية، وخصوصا أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، وحرب يونيو عام ١٩٦٧.

■■■

وتبقى بعد ذلك بعض الملاحظات المنهجية.

أولى هذه الملاحظات، أن منهج الأحكام المسبقة حول المجموعات التى أسهمت فى تأسيس

الحركه الشيوعية المصرية الوسيطه، يصطدم بحقائق يصعب تجاهلها. فافتراض صراع بين المصريين، والأجانب المتمصرين، حول قيادة الحركه الشيوعية المصرية، وإفتراض الأثر الحاسم لهذا الصراع فيما حدث من إنقسامات فى هذه الحركه، لا يستند إلى أسس واقعيه. فالصراع الذى عشته وشاركت فى معظم مراحله الحاسمة، لم يدر حول هذه القضية. والإنقسامات التى أحالت «حدتو» إلى أشلاء مبعثرة، نبعت من حيث الجوهر من الخطيئه الرئيسية للحركه الشيوعيه المصرية والمتمثله فى نظرية «النمو الذاتى».

وهى النظرية التى حفرت بصماتها فى فكر وسلوك جميع التنظيمات الشيوعية بلا إستثناء.. واعتقاد كل تنظيم بأنه «التيار الثورى» الذى ينبغى التسليم بجدارته فى قيادة الحزب والثورة.

وتلك قضية لم يختلف حولها الأجانب أو المصريون... بل أن القيادة المصريه «النقية» للحزب الشيوعى المصرى، الذى شاركت فى تأسيسه عام ١٩٥٠، كانت أشد تطرفاً فى التمسك بهذه النظريه.. إلى حد إتهام المنظمات الأخرى بالخيانة.. ورفع شعار معروف، وهو: لا شيوعية خارج الحزب.

■■■

ومن أعماق هذه النظرية- النمو الذاتى- يمكن تفسير الانقسامات، بل أن هذه النظرية، وبعد سنوات طوال من إبعاد جميع الأجانب عن الحركة الشيوعية المصرية، هى المسئوله الأولى عن الطابع الإنتهازى للوحدة بين «الحزب الشيوعى الموحد» و«الحزب الشيوعى المصرى» و«حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى» فى ٨ يناير عام ١٩٥٨.. حيث جرت تحالفات لا مبدأية، بين طرفين، لتصفية طرف ثالث.. باعتبارة إنتهازى. ثم تحول الحليف الأقوى لتصفية صديق الأمس، والانفراد بالقيادة، إستناداً إلى نفس النظرية، أى وجود التيار الثورى الوحيد، الذى ينبغى أن ينمو ويضم إلى صفوفه، الأعضاء «المخدوعين» فى التنظيمات الأخرى، وتصفية القيادات الإنتهازية.

■■■

وثانى هذه الملاحظات: أن اشتراك الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية، كحليف رئيسى للولايات المتحدة وبريطانيا والمقاومة الفرنسية والأوربية عامة، حطم الستار الحديدى الذى كان هؤلاء الحلفاء يحيطون به الأتحاد السوفيتى.. وأتاح لشعوب العالم، ولأول مرة منذ إندلاع ثورة اكتوبر عام ١٩١٧، رؤية الوجه الأخر لأول تجربة اشتراكيه.. وجه الصمود والمقاومة الاسطورية ضد الجيوش النازية.

وكانت معركه ستالينجراد، ذروة هذا التطور.. واقتضت مصلحة الحلفاء الأوربيين والأمريكيين، ابراز الوجه المشرق لبطولات الجيش الأحمر السوفيتى.. ودوره التحريرى الكبير ضد الفاشيه والنازيه.. كضرورة حربية ومعنوية أثناء الحرب الدامية.

ومن هنا برزت فى العالم كله، بما فى ذلك مصر، موجات من التعاطف مع الإتحاد السوفيتى، وما يمثله من فكر اشتراكى.. رغم الدعاية الصاخبة التى كانت المانيا تطلقها بواسطة الأحزاب والجماعات المتعاطفة معها.. وخصوصا فى مصر. حيث اعتقد فريق من المصريين، بأن المانيا النازية، صديقه لمصر، لانها فى حرب مع العدو التاريخى، وهو بريطانيا.

لكن تعاطف قطاعات من المصريين مع النازية بسبب العداء للمحتل الانجليزى، لم يحل دون وجود قطاعات أخرى واعية ضد العدو الأشد خطراً، وهو النازية.. ومن بينها حزب الوفد.

فى ظل هذه الظروف، ظهر الفكر الماركسى فى مصر.. مثلما وصل وإنتشر فى معظم بلاد العالم.

ومن الطبيعى جداً، أن يصل هذا الفكر إلى المثقفين المصريين فى البداية، بواسطة بعض الأجانب، أو المتمصرين، يهوداً كانوا أو من أى أديان أخرى.

ففى أثناء الحرب العالمية الثانية، وخصوصاً بعد معركه ستا لينجراد، كان من المنطقى كما قلت وصول اشعاعات الفكر الماركسى إلى مصر.. بل وإنتشاره فى كثير من الدول، التى لم تعرف هذا الفكر من قبل.

فلماذا يرى البعض، فى ظاهرة عادية جداً، تكرر مثلها فى معظم دول العالم، أمراً يستوجب التحقيق، والتحليل، والتصيد؟

لماذا يكون إنتشار الفكر الصهيونى ظاهرة عادية بين اليهود فى مصر، وفى جميع دول العالم تقريبا، ويكون وجود الفكر الماركسى المعادى للصهيونية، بين قطاعات قليله جداً من اليهود، ظاهرة شاذة وغريبة لا يقبلها العقل أو المنطق؟

وثمة حقيقة أخرى، وهى أن إنتشار الفكر الماركسى بواسطة بعض الأجانب هى القاعده التى صاحبت ظهور هذا الفكر فى جميع الدول الفقيرة والمستعمرة فى القارات الثلاث.. آسيا و افريقيا و أمريكا الجنوبية. وما كان من الممكن أن تكون هناك وسيلة أخرى. فجميع النظريات العلميه والاجتماعية التى صاحبت الثورات الصناعية والعلمية والاجتماعية فى أوروبا، إنتقلت إلى البلاد المستعمرة أو الفقيرة، بواسطة أفراد ينتمون إلى جاليات أجنبية، كقاعدة عامه.. فنظريات آدم سميث وريكاردو فى الاقتصاد.. ونظريات المفكرين والمنظرين للنظم الرأسماليه والأفكار الليبرالية والديموقراطيه.. ونظرية دارون حول النشوء والإرتقاء، أو أصل الأنواع، انتقلت بنفس الأسلوب فى معظم الأحيان.. فضلا عن عشرات النظريات والمكتشفات العلمية، التى وصلت إلى الدول الأقل نمواً، عبر الطريق نفسه.

فالأفكار لا تعرف الحدود. إنها مثل الغلاف الجوى يصعب حصر حدوده بين دولة وأخرى.

ولعل ظاهرة التكفير والهجرة، أو الدعوة إلى تكفير المجتمع، التى تؤكد معظم التيارات الاسلامية المعتدلة أنها غريبة على روح الاسلام، تكون معبرة عن هذه الحقيقة. فالفكرة نبعت

أصلا فى الهند وباكستان بواسطة المفكر الاسلامى الشهير المرحوم أبو الأعلى المودودى. ومن شبه القارة الهندية، انتقلت الفكرة إلى مصر. ليتحضنها ويسير بها إلى نهايتها المرحوم المفكر الاسلامى الاستاذ سيد قطب. ومنه إنتشرت إلى المئات- وربما الألاف- من الشباب المسلم.

ولم يقل أحد، أن ظهور هذا الفكر فى مصر المشهورة بالاعتدال والتسامح،- رغم جذوره الأجنبيه- يحمل دلالات تتجاوز حدود الخطأ أو الصواب، فى عمليه النقل الآلى» لأفكار نبعث فى بيئه مختلفة، وهى البيئه التى عايشها المفكر الباكستانى الكبير المرحوم المودودى.

■■■

والملاحظه الثالثه: أن جميع المؤرخين، ومن بينهم الاستاذ **طارق البشرى**، يعترفون بأن هؤلاء «الأجانب» الذين أسهموا فى اعادة تأسيس الحركه الشيوعية المصرية فى الأربعينيات، اختلفوا حول قضية رئيسية، وهى تمصير قيادة الحركه. فهناك من رأى فى أن وجود قيادة أجنبية، ضرورة فى المرحلة الأولى. بينما رأى فريق ثان حتميه استبعاد الأجانب منذ البداية، وتمصير القيادة. أى أن تكون من مصريين ١٠٠٪.

وكان رأى هنرى كورييل، بعد مرحلة قصيرة من تكوين **الحركه المصرية للتحرر الوطنى**، وقبل الوحدة مع «**ايسكرا**»، ضرورة التمصير.. بل وسعى إلى أن تكون اللجنة المركزية، من ١٠ مصريين، و٢ فقط متمصرين.

وتلك واقعه تحدث عنها الاستاذ طارق البشرى فى كتاب «المسلمون والاقباط».

ومن حقى، استناداً إلى خبرتى الشخصية، ومما نشر من وثائق حول تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، أن أسال الاستاذ **طارق البشرى**، والصديق **محمد سيد أحمد**،: أين كان يدور هذا الصراع، بين الأجانب والمصريين إذا كان **هنرى كورييل**- المؤسس- هو نفسه الذى رفع شعار التمصير، وأسهم فى تصعيد ١٠ مصريين إلى اللجنة المركزية، التى لم تكن تضم بجانب هؤلاء العشرة. سوى ٢ من الأجانب، وهما كورييل وجومتالون؟

هناك فرق كبير، بين إبتكار «قالب» منطقى، و«اختراع» قوانين تحكم ما يدور من صراعات داخل هذا «القالب»، ثم الوصول «منطقيا» إلى ذروة هذا الصراع، وهو الإنقسامات، وبين حركة الأحداث كما جرت، بعيداً عن التحيز أو «التقولب».

لقد شرحت فى فصول كتابى، كيف إنتصر شعار النمو الذاتى، بعد الوحدة بين أكبر تنظيمين فى ذلك الحين، وهما «**الحركه المصرية للتحرر الوطنى**» و«**ايسكرا**». فمنذ الأيام الأولى للوحده، كان التوجية الأساسى لكوادر وأعضاء الحركه المصرية يتركز حول هدف رئيسى، وهو السعى إلى «تجنيد» كوادر وأعضاء «ايسكرا»، إلى «التيار الثورى»، وهو **الحركةالمصريةللتحررالوطنى**.

وكان **هنرى كورييل**، من أنشط المروجين لذلك. فالوحدة منذ بدايتها كانت شكليه هشة. بل كانت أشبه بجبهة بين اتجاهات مختلفة.

فمن ناحيه «اسكرا» كان المثقفون المصريون، ومن بينهم المرحوم **شهدى عطيه الشافعى**، يحاولون تأصيل الثقافة الماركسيه بين كوادر الحركه المصرية. وتأكيد الأهمية الحيوية لفهم واستعياب الماركسيه.

بينما كانت قيادة الحركه المصرية، وعلى رأسها كورييل، تحاول تجنيد كوادر ايسكرا، باسم أن العمل الجماهيرى الثورى، هو الذى يحدد مصير كل شئ. بغض النظر عن درجة الوعى النظرى.

وهنا نرى كيف تختلف الوقائع التاريخية، مع التحيز الفكرى، ومع القوالب الشكليه. فالاستاذ **طارق البشرى** يرى فى مقالته، أن الاهتمام بطبع الكتب الماركسيه، أى الاهتمام بالنظرية، كان ينطوى على مؤامرة، يقودها كورييل. وتستهدف كما يقول بالحرف الواحد **«السعى لتكوين منطقة أيديولوچية فى السياسية المصرية بين الشباب، تصلح مكانا للوجود الأجنبى فى السياسة المصرية»**

هكذا يصل منهج التحيز إلى ذروة إصدامه بالوقائع الحقيقية. ذلك أن أحد الاتهامات الرئيسيه التى وجهت إلى كورييل وقيادة الحركه المصرية ثم الديموقراطيه عموما، هو إهمال الجانب الأيديولوچى، وليس السعى إلى تكوينه وتأصيله. فلم تكن مجموعة الكتيبات التى أشار إليها كورييل، تعبر عن الاهتمام بالتكوين الايديولوچى.. ولا كانت تستهدف تكوين «منطقة ايديولوچية» بين الشباب المصرى.

بل يمكن القول، بأن الانقسامات التى خرجت من الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى، والتنظيمات التى تكونت بعيداً عنها- ومن بينها الحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٠- كانت تتهم قادة «حدتو» بالسعى إلى نشر سياسة «التجهيل» بالماركسية والإنحراف عن القاعدة المعروفة بأن: لا توجد حركه ثورية، بغير نظرية ثوريه.

■■■

ولا أدرى كيف يقع مؤرخ كبير مثل الاستاذ **طارق البشرى** فى مثل هذه الأخطاء.. التى يعرفها كل من شارك أو حتى اقترب، من قضايا الصراع الفكرى بين «حدتو» والمنظمات المعارضه لها. ولا أدرى أيضا، كيف يؤدى الانحياز إلى اتجاه فكرى يتميز بعداء للشيوعية، إلى دفع مؤرخ ومفكر كبير، إلى التقاط وقائع بعينها، أو فقرات من كتاب تنتزع بقسوة من سياقها، لمجرد الرغبة فى تشويه أحد التيارات السياسية التى أسهمت بدور هام فى **«إغناء السياسة الوطنية بمفاهيم جديدة تتعلق بالمضمون الاجتماعى لحركه التحرير الوطنى، والتصنيف الطبقى للمجتمع، والتأكيد على أن التحرر الاقتصادى من الاستعمار، جنبا إلى جنب مع التحرر السياسى»**..كم سبق أن كتب الاستاذ **طارق البشرى** عن الحركه الشيوعية فى الأربعينيات فى كتاب «المسلمون والأقباط».

من العسير، أن لم يكن من المستحيل، أن نجد صلة بين الفقرات السابقة من كتابات طارق البشرى فى مؤلفاته، وما كتبه فى مقاله بمجله الهلال، وإن كان ظاهر المقال، يوحى بأنه ضد هنرى كورييل.. أو الأجانب فى الحركه الشيوعية... وليس كل من شارك فى هذه الحركة من المصريين.

بينما جوهر المقال للأسف، يؤكد أن الموجه الأكبر لهذه الحركة فى الأربعينيات- كورييل- كان يدفعها إلى أعمال تخريبية... مثل مناهضة الحركات الاسلامية والوطنية، ونشر الفكر المذهبى الذى يتيح للأجنبى مكانا للوجود فى السياسة المصرية.. والتصدى للمظاهرات الشعبية المعادية للصهيونية.

■■■

لست أعترض على حق كل كاتب أو مؤرخ فى اعادة النظر فى تكوينه الفكرى.. أو تغيير رؤيته إلى أحداث تاريخية بعينها.

فذلك حق يستحيل إنكاره، لكن تغيير المناهج أو الأفكار، لا يعنى بالضرورة تجاهل ما هو جوهرى فى الأحداث التاريخية، والتقاط ما هو ثانوى، ثم تركيز الأضواء على هذا الوجه.

فمن المعروف، أن الأحداث المعاصرة، وأحداث الماضى البعيد أو القريب، تنطوى على جانبين متناقضين. كلاهما يعبر عن أحد وجوه الأحداث .

فكما يستطيع الحزب الوطنى فى مصر- مثلا- التأكيد على ماتحقق من انجازات هائلة خلال السنوات القليلة الماضية، تستطيع المعارضه اثبات العكس.

والأمر نفسه ينطبق على حركه مصطفى كامل ومحمد فريد، أو حتى ثورة ١٩١٩ وقائدها سعد زغلول. كما ينطبق على المرحلة الناصرية.

الفرق بين التقييم الموضوعى، والتقييم «المتحيز» يكمن فى نقطة أساسية. وهى الخلاف حول ما هو جوهرى أو ثانوى لكل مرحلة.

وفى اعتقادى، أن ما هو جوهرى فى مرحلة الأربعينيات فى تاريخ الحركه الشيوعية المصرية، يتمثل فى السطور التى كتبها الاستاذ طارق البشرى فى صفحه ٥٩٧ من كتابه «المسلمون والأقباط».

وهى السطور التى أشرت إليها من قبل.

أما الثانوى فى تاريخ هذه الحركه، فهى الأخطاء، التى يعترف بها وبشجاعه كل من شارك فى الأحداث العظيمة- من حيث الجوهر- لهذه المرحلة من تاريخ مصر.

والملاحظة الأخيرة أو جهها إلى الصديق محمد سيد أحمد خلا صتها: أن الحركه الشيوعية المصرية فى الأربعينيات لم «تشكل رافداً للصراع العربى الاسرائيلى» كما جاء فى مقاله بل كانت رافداً متشدداً للأمميه.

فالإندفاع العنيف نحو الأممية، كان السمة الرئيسية. وهو اندفاع نعترف الآن بأخطائه أو خطاياه.

بل أن هذا الاندفاع، ظل يهمين على الحركه الشيوعية المصرية، طوال الخمسينيات، وحتى قرب منصف الستينيات.

ولعل الصديق محمد، يذكر الجدل العنيف الذى كان يشتعل بين الفصائل المختلفة للشيوعيين، لمجرد نشر مقال لهذا القائد الماركسى أو ذاك ، فى الدول الاشتراكية.. أو قادة الأحزاب الشيوعية فى الدول الأوربية.

وهل نسى الصديق محمد، كيف كانت كلمه الأمميه، أو مواقف الاتحاد السوفيتى، أو حتى مقال تنشرة صحيفة أو مجله سوفيتيه، لها الكلمة الحاسمة عند نشوب اى خلاف بين الشيوعيين؟

إن الموقف من قرار تقسيم فلسطين، لم يكن وحده النموذج على هذا السلوك.. فالأقليه التى رفضت هذا الموقف، كانت توصف بالانحراف عن الأممية، بل والخروج على تعاليم الماركسية.وأستطيع أن أقرر، من واقع خبرتى الطويله فى الحركه الديموقراطيه للتحرر الوطنى، ثم الحزب الشيوعى المصرى. ١٩٥٠، أن أحد المصادر أو الأسباب الكامنه فى الأخطاء السياسية للحركه الشيوعية المصرية، إنما يرجع إلى التطرف فى الالتزام بالأممية. وليس العكس.

وظل هذا الالتزام يحكم خطى الحركه الشيوعية، حتى بدايه الستينيات.. عندما ظهرت التحليلات السوفيتيه تتحدث عن «الطريق اللارأسمالى» وعن «البورجوازية الوطنية التى تنازلت عن مصالحها من أجل مصالح الأمه»، وعن إمكانية السير فى الطريق المؤدى ألى الاشتراكيه.. بدون قيادة الطبقة العامله.

وهى التحليلات، التى أسهمت بدور هام، فى تبرير قرار «حل الحزب» عام ١٩٦٥، والانضمام إلى التنظيم الطليعى للدولة الناصرية، وهو التنظيم الوهمى الذى أثبتت الأحداث مدى عبثيته.

ومن جهة أخرى، فان الصديق محمد يفترض أثناء الحقبه موضع البحث، أن الشيوعيين المصريين، كانوا يملكون وعيا كاملاً بالخطر الصهيونى، وأثره على الأمن المصرى والقومى.. وبالتالى الوعى بالعلاقه بين الوطنية المصرية والقومية العربية.

والحقيقة التى يجب الاعتراف بها، أن هذا الوعى جاء متاخراً. وكل ماكتب فى الصحافة الشيوعية واليسارية خلال مرحلة الأربعينيات ضد الصهيونية، لم يكن سوى أحد الأشكال البارزة للتضامن الأممى مع شعب يعانى الاضطهاد. مثلما كان عليه الأمر، مع الشعوب الأخرى فى مختلف دول العالم.

الوعى القومى بالأمة العربية، والوعى العميق بمخاطر زرع الكيان الصهيونى، جاء متاخر[١]

بل وأعترف أن كتابات مفكر عربى قومى مثل ساطع الحصرى، كانت بالنسبة لنا فى الخمسينيات إضافة لو عينا بحقيقة وجوهر الانتماء القومى.

وحديثك أيها الصديق محمد عن صراع موهوم بين الأجانب والمصريين حول هذه القضية، أثناء الأربعينيات لا يستند إلى وقائع حقيقية.. لأن جميع الخطوط السياسية للحزب الشيوعى المصرى ١٩٥٠، وكافة تقاريره ضد المنظمات الأخرى، لم تنطلق مما توهمتة فى مقالك.. بل من أنها تنظيمات إنتهازية.. أو حتى خائنه.. خصوصاً بعد أن «باركت» «حدتو» حركه ٢٣ يوليو ١٩٥٢، التى اعتبرها «الحزب الشيوعى المصرى» «المتطهر» من كل يهودى أو أجنبى، حركه فاشيه استعمارية يجب مقاومتها وإسقاطها.

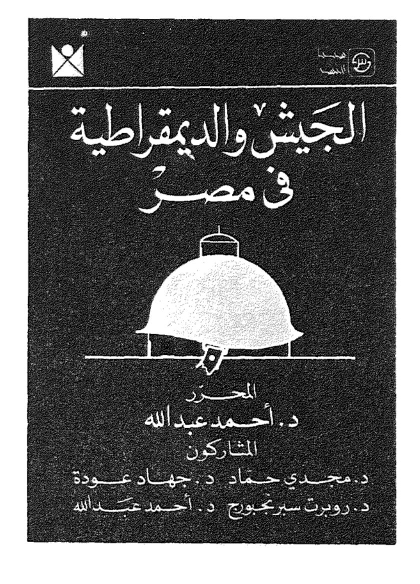
يوليو ١٩٨٨

القاهـــرة

الفهـــرس



صدر حديثاً عن دار سينا





صدر حديثاً عن دار سينا



رقم الايداع : ٥٠٩٩ / ١٩٩٠



مدينة العاشر من رمضان المنطقة الصناعية A1
تليفون ٣٦٢٨٨١-٠١٥

الحركة الشيوعية المصرية

١٩٤٥ ـ ١٩٦٥ رؤية داخلية

الكتب التى تناولت تاريخ الحركه الشيوعية المصرية كثيرة. ومعظم هذه الكتب كتبها مؤرخون ممن إرتبطوا خلال فترة من حياتهم باحدى المنظمات الشيوعية.

والكتاب الذى نقدمه للقارئ الآن ، يختلف من حيث الرؤية والمنهج لتاريخ هذه الحركه عن كل ماسبقه. فكاتبه ليس من المؤرخين الذين اعتمدوا على شهادات شخصيه، أو وثائق تم إختيارها لتخدم رؤية بعينها. إنما هو أحد القادة والمؤسسين لأكبر تنظيمين فى تاريخ الحركه الشيوعية المصرية.

إنه كتاب لا يدّعى تناول هذا التاريخ من كافة جوانبه، بل هو شهادة موضوعية لأبرز مراحله التى شارك المؤلف فى صنعها. وهو يتناول بالتحليل العوامل التى مهدت الطريق إلى هذه المراحل، والنتائج السلبية والايجابية التى برزت من تداخل أحداثها.

من هنا تبرز الإضافة الحقيقية التى يقدمها هذا الكتاب. فلأول مرّة يتصدى بشجاعة، واحد من أبرز القيادات التاريخية لهذه الحركة بالتحليل الموضوعى لجذور الانقسامات، وفشل جميع محاولات الوحده، والأسباب الحقيقية للنهاية المأساوية للحزب الشيوعى المصرى عام ١٩٦٥. أى نهاية أهم مرحلة فى تاريخ هذه الحركه، والتى امتدت منذ بداية الأربعينيات وحتى منتصف الستينيات.

ومن خلال العرض الدقيق لمواقف عدد من أبرز قادة الحركه الشيوعية المصرية المؤلف على الالتزام بالصدق مع النفس، والصدق مع الوطن، والصدق مع التاريخ.